

دكتور محمد مؤنس أحمد عوض

الزلازل في بلاد الشام

عصر الحروب الصليبية

الزلازل فى بلاد الشام
عصر الحروب الصليبية

دراسة عن النصف الثاني من
القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى
(٥١١ - ٥٩٨ هـ / ١١٥٦ - ١٢٠٢ م)

إعداد
د. محمد مؤنس أحمد عوض
كلية الآداب - جامعة عين شمس
وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أبها

الطبعة الأولى
١٩٩٦م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

مدير النشر : محمد عبد الرحمن عفيفی

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

٦ شارع يوسف فهمی - اسانس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spatos - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

المحتويات

صفحة

الإهــداء

إلى أسرتى الكبيرة ، بلادى الحبيبة مصر ، العشق الأبدى الخالد حتى النزع الأخير ، وإلى أسرتى الصغيرة ، زوجتى ، واحتى الخضراء فى صحراء العمر المجدبة ، وابنى هانى ، وداليا عصفورتى الحب ، والأمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منيت بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، وعلى نحو خاص خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، بالعديد من الهزات الزلزالية العنيفة التى كان لها آثارها الفعالة ، وذلك على كافة الأصعدة والمستويات ، السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والبشرية ، وكذلك الأدبية ، وقد امتدت فعالياتها لتشمل الجانبين الإسلامى ، والصليبى على حد سواء ، ولا نزاع فى أنها بذلك احتلت مكانتها المهمة في تاريخ المنطقة خلال تلك المرحلة الجديرة بالدراسة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى.

وأهمية الموضوع تتمثل في أنه يعكس فكرة محورية ، ألا وهى صورة الطرف الآخر المعادى، وبصورة أكثر تحديدا ، كيف عالجت المصادر التاريخية الإسلامية آثار تلك الهزات الزلزالية المدمرة فى المناطق الصليبية ، وكذلك طريقة معالجة المصادر الصليبية لما حل بالمناطق الخاضعة لسيادة المسلمين السياسية من خسائر ، ودمار .

ولا نغفل ناحية أخرى جديرة بالملاحظة ، تتمثل فى أن دراسة الزلازل فى بلاد الشام خلال تلك المرحلة توضح لنا أن العوامل الجغرفية - أحيانا - كانت لها الغلبة فى تسيير حركة التاريخ بصورة واضحة ، وفاقت بذلك قدرة الإنسان - بوصفه الفاعل التاريخى باذن الله تعالى - على مواجهتها .

ونظراً لأهمية الموضوع ، وحيويته ، والآثار المهمة التى تمخضت عنه ، فقد وجدت من الضرورة تناوله من خلال المصادر التاريخية المتنوعة سواء الإسلامية أو الصليبية المعاصرة ، والمتأخرة ، وكذلك الدراسات الحديثة العربية ، والأجنبية .

أما الدافع لتناول الزلازل الشامية خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، على نحو خاص ، فذلك مرجعه إلى أن تلك المرحلة شهدت تزايدا ، وتركزا للنشاط الزلزالى هناك ، وتأثرت بذلك العديد من المدن الشامية الكبرى سواء لدى المناطق الإسلامية أو الصليبية ، ثم أن لدينا عددا من المؤرخين المعاصرين سواء من المسلمين أو الصليبيين قدموا لنا إشارات قيمة عنها ، وعن تأثيراتها المتعددة على نحو أمكن معه

الاقتراب من آثارها التدميرية قدر الامكان ، بصورة لم تتوافر - بنفس القدر - خلال النصف الأول من القرن المذكور ، وكذلك بالنسبة للقرن التالى ، ونعنى به القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

أضف إلى ذلك ، أن النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، شهد تسابقا بين القوى الإسلامية ، والصليبية من أجل توازن القوى ، وقد تطور الأمر بصورة واضحة لحساب المسلمين خلال معركة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية ، وما أعقب ذلك من تقدم الحملة الصليبية الثالثة للمنطقة ، واخفاقها فى تحقيق أهدافها ، ومعنى ذلك أن تلك المرحلة زخرت بالأحداث الجسام ، ومن الضرورى أن تكتمل صورتها من خلال التعرض لأثر العوامل الجغرافية ذاتها ، وخير مثال دال عليها يتضح فى الزلازل ، وآثارها حينذاك .

والواقع أن هناك عدة مصاعب تعترض طريق الباحث عند دراسة الزلازل فى بلاد الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وآثارها ؛ إذ أننا نجد أن المصادر التاريخية المعاصرة لم تكن متوازنة فى تناولها للزلازل ، فعلى حين اهتمت ببعضها، نجد أنها أغفلت الإشارة إلى البعض الآخر ، وقد انتقل الأمر إلى المصادر المتأخرة التى نقلت عنها ، ومن ثم فليس لدينا إشارات كافية عن كافة الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة .

وينبغى أن نلاحظ أن تعليل الوضع السابق يعود إلى أن بعض الزلازل كان ذا تأثير محدود فى منطقة معينة ، بينما كان البعض الآخر أكثر تأثيرا ، واتساعا فشمل مناطق متعددة ، ثم أن مؤرخى التواريخ المحلية عنوا عناية خاصة بتناول تأثيرات الزلازل على المدن التي أرخوا لها ، ولم يعطوا نفس الاهتمام لما حل بالمدن الأخرى من صنوف التدمير ، وألوان الخراب من جرائها .

ومن جهة أخرى ، نجد أن اهتمام المؤرخين المعاصرين يتجه نحو الأحداث ذات الطابع السياسى ، والحربى وجعلوا جل اهتمامهم منصبا على التاريخ للملوك ، والسلاطين ، والأمراء، وكل ذلك أدى بالضرورة إلى عدم إعطائهم العناية الكافية لمثل تلك الكوارث الطبيعية وتأثيراتها ، ونتيجة لذلك فان حجم ماورد فى المصادر التاريخية المعاصرة سواء الإسلامية أو الصليبية عن تلك الهزات الزلزالية قليل إذ ما قورن بحجم ما أورده أولئك

المؤرخون بشأن المعارك الحربية ، والغارات المتبادلة بين الجانبين الإسلامى ، والصليبى ، وما صاحبها من عمليات السلب ، والنهب ، خلال ذات المرحلة الزمنية موضوع الدراسة .

أضف إلى ذلك ، أن أولئك المؤرخين - ولا سيما الرسميين منهم - عجزت كتاباتهم عن تصوير حجم الدمار الكبير الذى حل بمنازل الشرائح الدنيا من المجتمع الشامى والتى عانت - على مايبدو - أكثر من غيرها من جراء تلك الكوارث الطبيعية نظرا لضعف التكوين المعمارى لمنازل تلك العناصر ، ولتكدسهم بأعداد كبيرة فى مساحات محدودة ، وهكذا ، فحيث أن أولئك المؤرخين عنوا عناية خاصة بالتاريخ لعلية القوم ، وأغفلوا العامة ، ونظروا إليهم نظرة إزدراء ، فمنطقى ألا تكشف لنا مؤلفاتهم بوضوح عن حقيقة معاناة العناصر الدنيا ، والتي لا نرتاب لحظة فى أنها زادت من فقرها ، وانحطاط أوضاعها الاقتصادية ، والإجتماعية بصفة عامة .

وإذا نحينا جانبا تلك النواحى السابقة ، نجد أن ذلك العصر لم يعرف البيانات الإحصائية الدقيقة ، وسادته روح المبالغة بطبيعة الحال ، خاصة فى الناحية الرقمية ، وبالتالى فليس فى الإمكان التوصل إلى أرقام محددة دقيقة تعكس مدى الخسائر البشرية الناجمة عن مثل تلك الكوارث الطبيعية ، ومن ثم فان الأرقام التى ترد في مؤلفات المؤرخين المعاصرين على نحو خاص ، ومن اعتمد عليهم من المتأخرين تعبر بصفة عامة عن حجم الفاجعة ، والكارثة التى نجمت عن تلك الهزات الزلزالية ، وأصدائها النفسية ، ولا تنبىء بالضرورة عن أعداد القتلى ، أو أية خسائر مادية أخرى بصورة دقيقة ، ولا أدل على ذلك من أن تلك المصادر تتحدث - بصفة مستمرة - عن أعداد القتلى ، دون الإشارة فى قليل أو كثير إلى أعداد الجرحى الذين أصيبوا من جراء تهدم المنازل إلى غير ذلك ، وتعميم المصادر التاريخية هذه الصورة فيما يتصل بحجم الخسائر البشرية ، وقصرها الحديث على القتلى فقط يكشف بجلاء عدم دقتها إلى حد ما .

ومع ذلك ، فمن الممكن الإفادة من تباين الأرقام الواردة في تلك المصادر عن حجم الخسائر البشرية - ارتفاعا وانخفاضا - من أجل إدراك صورة عامة عن اختلاف تأثير بعض الزلازل عن بعضها الآخر ، فى منطقة واحدة ، وفى مرحلة زمنية متقاربة نسبيا .

ومن جهة أخرى ، نجد أن المؤرخين المحدثين الذين قدموا لنا دراسات هامة عن تاريخ الحروب الصليبية ، أغفل عدد كبير منهم الإشارة إلى الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد

الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، أما الذين أشاروا إليها ، فقد اتسمت إشاراتهم بالاقتضاب ، والايجاز فى معظم الأحوال ، دونما دراسة لتأثيراتها على تطور الأحداث التاريخية التى مرت بها المنطقة حينذاك ، ولا نزاع فى أن ذلك مثل عقبة كبيرة أمام البحث التاريخي عن الزلازل خلال المرحلة موضوع الدراسة ، وقد حاولت قدر الامكان ، الإفادة من أية إشارات وردت فى مؤلفات الباحثين الدارسين لمرحلة الحروب الصليبية ؛ الذين فاق جهدهم جهدى المتواضع .

زد على ذلك ، من الملاحظ تخصص البحث فى مرحلة محددة ألا وهى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ولم يشمل كافة المرحلة الزمنية الممتدة على مدى القرنين السادس ، والسابع الهجرى / الثانى عشر ، والثالث عشر الميلادى ، على اعتبار أن ذلك يحتاج إلى أعوام عديدة أخرى لظهور دراسة متكاملة عن الزلازل فى بلاد الشام .

وقد تطلب تخصص البحث بهذه الصورة ، وإيجاد تصور عام عما حل ببلاد الشام من آثار ونتائج تمخضت عن تلك الأحداث - تطلب جهدا خاصا فى مقارنة الروايات التاريخية ، ومحاولة استنتاج أكبر قدر من الدلالات المهمة من أصغر إشارات مصدرية - دون تحميليها مالا تحتمل - وقد سعيت ما وسعنى السعى ، نحو تحقيق ذلك بعون الله تبارك وتعالى .

وقد قسمت هذا البحث إلى مدخل ، وخمسة فصول ، أما المدخل ، فقد اختص بعرض المصادر التاريخية التى أعانت على دراسة الموضوع ، وقد تعددت ، واشتملت على الوثائق ، ومؤلفات الرحالة ، وكتب الحوليات ، وكذلك تواريخ المدن ، وتم تناول المصادر التاريخية للجانب الإسلامى ، وكذلك الجانب الصليبى ، أما الفصل الأول ، فقد تناول طبيعة الهزات الزلزالية وأحداثها فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ؛ إذ أن دراسة الهزات الزلزالية خلال تلك المرحلة ، تعد مدخلا طبيعيا لتناول ما حل بالمنطقة من هزات خلال النصف الثانى من ذلك القرن ، مع عدم إغفال الاختلافات المتعددة - والضرورية - بين المرحلتين من حيث الآثار التدميرية .

ومن جهة أخرى ، تناول الفصل الثانى الزلازل التى حلت بالشام خلال المرحلة الممتدة من عام ٥٥١ - ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٩ م ، وهى التى شهدت وقوع العديد من الهزات الزلزالهة المدمرة ، وبكثرة لم تعهدها المنطقة خلال المرحلة موضوع الدراسة ، والواقع أن تلك

الهزات الزلزالية التى وقعت حينذاك ، تمثل وحدة مستقلة قائمة بذاتها ، ولم تحدث من بعدها هزات زلزالية ، ذات شأن إلا عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وكذلك عامي ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ ، ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، ومن ثم تم تخصيص فصل مستقل بها .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، الذى ترك آثاراً تدميرية كبيرة سواء لدى المسلمين أو الصليبيين ، مع ملاحظة أن حجم الدمار فى مناطق الآخيرين فاق المناطق الخاضعة للسيادة الاسلامية بصورة جلية .

وتصدى الفصل الرابع لزلزالى عامى ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، وقد أحدثا آثارا تدميرية كبيرة فى عدد من المدن الشامية ، وجاءا فى ختام القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى .

أما الفصل الخامس ، فقد اختص بتناول زاوية مهمة فى البحث ، ونعنى بها الآثار الناجمة عن تلك الزلازل فى مناطق المسلمين و الصليبيين ، وذلك على كافة الأصعدة ، والمستويات السياسية ، والحربية ، والسكانية ، والاقتصادية ، وحتى الأدبية ، ولا ريب فى أن هذا الفصل - على نحو خاص - يعكس الأهمية التى نعلقها على دراسة الزلازل فى بلاد الشام خلال تلك المرحلة المؤثرة من تاريخها فى مرحلة العصور الوسطى بصفة عامة ، ومرحلة الصراع الإسلامى - الصليبى بصفة خاصة ، وأخيرا اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التى توصل إليها البحث على مدى فصوله السابقة .

ومن جهة أخرى ، تم تزويد البحث بعدد من الخرائط والملاحق ، واحتوت الأولى على توزيعات الزلازل الشامية خلال المرحلة موضوع الدراسة ، أما الملاحق فقد اشتملت على نصوص مصدرية من المؤلفات التاريخية المعاصرة على نحو أعان على إدراك طبيعة الهزات الزلزالية المدمرة التى منيت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة .

وختاما ، فان الولوج إلى محراب الشكر ، والعرفان ، يتطلب من المرء أن يصدق القول ، ويقدم أزاهير الثناء ، وورود التقدير لعدد من الباحثين القديرين الذين أفدت منهم ، وأخص بالشكر أ. د . قاسم عبده قاسم ؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة الزقازيق ، وكذلك جامعة الكويت ، الذى أفادنى من خلال مناقشاتى الثرية معه بشأن جوانب متعددة من البحث لاسيما الآثار الناجمة عن الزلازل ، وكذلك أتوجه بالشكر إلى أ.د.إسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية اللآداب - جامعة عين شمس ، الذى أفدت من

خبرته العريضة ، وهناك تقدير خاص مقدم إلى أ . د . أحمد رمضان أحمد فارس الدراسات الشامية فى عصر الصليبيات الذى لا يشق له غبار ، وقد أفدت من مناقشاتى معه .

كما أتوجه بالشكر لأخى العزيز د . الحسين عمر زغلول أستاذ مساعد التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة عين شمس لقيامه بترجمة إحدى الدراسات المهمة باللغة الألمانية ، على نحو أفادنى بصورة فعالة فى إعداد هذا الكتاب .

كذلك لا يفوتنى أن أشكر أ . د / صلاح هريدى أستاذ التاريخ الحديث الذى قام بمراجعة هذا الكتاب فى نسخته الأصلية ، كما أتوجه بالشكر للدكتور / محمد على مسفر عسيرى أستاذ مساعد تاريخ الأيوبيين والمماليك الذى أبدى ملاحظاته خاصة فيما يتعلق بتخصيص فصل مستقل عن الآثار الناجمة عن الزلازل .

من زاوية أخرى ، هناك تقدير خاص لأخى د . سعد الحميدى أستاذ تاريخ المشرق الإسلامى، ابن جامعتى الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومانشستر ، الذى أبدى ملاحظات قيمة عند مطالعته الأصل المخطوط للكتاب ، ولازلت أتذكر دقته الشديدة ، ورؤيته الفاحصة.

ثم هناك تقدير للدكتور / أحمد معتوق الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام بأبها ، وقد أفدت من ملاحظاته فى مجال جيمورفولوجية الزلازل على نحو خاص .

وأخيرا أقدم شكرى لزميلى وصديقى الدكتور / حسن عبد الوهاب حسين أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، الذى زودنى بدراسة مهمة للمؤرخ الألمانى المعاصر هانز ماير أثرت البحث بصورة جلية .

وأود أن اتوجه بالتقدير الخاص للقائمين على العديد من المكتبات فى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، ومنها مكتبة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، والمكتبة المركزية بنفس الجامعة ، ومكتبة كلية العلوم بها ، ومكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ومكتبة المعهد الألمانى للآثار الشرقية ، ومكتبة دير الأباء الدومنيكان ، ومكتبة الجامعة الأمريكية ، وخاصة قاعة كريزويل ، ومكتبة المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بضاحية حلوان بالقاهرة، ومكتبة كلية الآداب - جامعة الزقازيق ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومكتبة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، أما فى المملكة العربية السعودية ، فهناك مكتبة قسم التاريخ بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها ، وكذلك مكتبة فرع جامعة الامام بنفس المدينة،

ثم مكتبة كلية التربية - جامعة الملك سعود ، وأيضا نادى أبها الأدبى بحى الخالدية ، ومكتبة أبها العامة بحى العزيزية ، وجمعية الملك فيصل الخيرية وخاصة مركز الملك فيصل لدراسات الحضارة الإسلامية بالرياض .

وفى نهاية المطاف ، أقدم شكرى وتقديرى لوالدى ، وزوجتى وابنى هانى وداليا الذين قدموا لى دعاءهم الصادق ، فلهم خالص العرفان ، ووافر الشكر .

وبعد ، فهذا جهدى المتواضع ، وأردد قول الله تبارك وتعالى ... « وفوق كل ذى علم عليم » .

صدق الله العظيم

د . محمد مؤنس أحمد عوض

أبها في ١٤١٦ هـ

المـدخل

مصادر تاريخ الزلازل فى بلاد الشام
فى النصف الثانى من
القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى

(٥٥١ - ٥٩٨ هـ / ١١٥٦ - ١٢٠٢ م)

مصادر تاريخ الزلازل فى بلاد الشام
فى النصف الثانى من
القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى
(٥٥١ - ٥٩٨ هـ / ١١٥٦ - ١٢٠٢ م)

يتناول هذا المدخل ، المصادر التاريخية المتعددة التى تناولت الزلازل التى منيت بها بلاد الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، إذ أن لدينا العديد من المصادر التاريخية التى ألقت الأضواء الكاشفة على تلك الكوارث الطبيعية المدمرة، وانقسمت إلى مصادر إسلامية ، وكذلك مصادر صليبية .

أما المصادر الإسلامية ، فيمكن تقسيمها إلى : الوثائق ، وتواريخ المدن الشامية ، ثم مؤلفات الرحالة المسلمين ، وكذلك كتب الحوليات ، ثم القصائد الشعرية ، بينما نجد المصادر الصليبية تنقسم بدورها إلى : الوثائق ، والحوليات الصليبية سواء اللاتينية أو السريانية ، ثم مؤلفات الرحالة الأوروبيين .

وفى الصفحات التالية سيتم تناول المصادر الإسلامية ، ثم من بعد ذلك المصادر الصليبية.

أولا : المصادر الإسلامية

١ - الوثائق :

وتأتى فى مقدمة المصادر التاريخية الإسلامية من حيث الأهمية ، وهى تعبر عن وجهة النظر الرسمية حيال تلك الكوارث الطبيعية المدمرة ، وتفيد فى إلقاء الضوء على حجم التدمير الناتج عنها ، وكذلك مداه الجغرافي ، وتلك الوثائق عبارة عن مراسلات صادرة من جانب ديوان الإنشاء فى عهد الدولة النورية ، وكذلك الدولة الأيوبية ، ولدينا فى هذا الصدد ثلاث وثائق على جانب كبير من الأهمية ، وسيتم عرض محتويات كل وثيقة على حدة .

والوثيقة الأولى ، صادرة عن ديوان الإنشاء فى عهد الدولة النورية ، وترجع إلى عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وهى عبارة عن رسالة مرسلة من جانب الدولة النورية إلى الخلافة العباسية فى بغداد في عهد الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧١ م) ، وقد وردت بصورة كاملة لدى المؤرخ ابن الفرات [١] (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) فى كتابة تاريخ

الدول والملوك [٢] ، كما ورد قسم منها لدى اختصار الفتح بن على البندارى[٣] (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) لكتاب البرق الشامى[٤] الذى ألفه العماد الكاتب الأصفهانى[٥] (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) ، غير أن قيمة ابن الفرات تتمثل فى أنه أوردها كاملة ، أما الفتح بن على البنداري ، فقد اختصرها ، على الرغم من الأهمية الكبيرة للجزء الذى اختصره بشأن تأثيرات الزلازل ، على المواقع الخاضعة للسيادة الصليبية .

والوثيقة المذكورة ، عبارة عن رسالة استغاثة من جانب الدولة النورية - الحليف التقليدى للعباسيين فى بلاد الشام - بالخلافة العباسية ، وفيها تستنجد الدولة النورية ، من أجل تقديم الدعم المالى الضرورى للقيام بعمليات إعادة تعمير ما قد تهدم من الحصون ، والقلاع ؛ لاسيما فى المناطق الحدودية بين المسلمين ، والصليبيين ؛ خشية أن تتعرض مناطق المسلمين إلى هجوم من جانب الصليبيين ، استغلالا للموقف العصيب الذى نجم عن وقوع تلك الهزات الأرضية المدمرة ، ويبدو أن حجم المساعدة المطلوبة من العباسيين كان كبيرا ، من خلال إدراكنا لاتساع نطاق التأثير المدمر لذلك الزلزال الذى وقع عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

وتعد الوثيقة ، بمثابة مصدرنا الإسلامى الرسمى الأساسى بالنسبة للتعرف على أهمية ما حل ببلاد الشام من جراء زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، مع عدم إغفال أهمية المصادر التاريخية الأخرى بطبيعة الحال ، غير أن المأخذ الذى يؤخذ عليها ماندركه من أنها لاتقدم التحديد الزمنى للزلزال ، ولذلك فان الإستعانة بالمصادر التاريخية الأخرى المتنوعة تقدم لنا ما يسد تلك الثغرة التى وجدناها فى الوثيقة المذكورة .

وتجدر الإشارة ، إلى أن من العوامل التى تجعلنا نعطى أهمية متزايدة لتلك الوثيقة أننا لا نملك وثائق أخرى صادرة عن ديوان الإنشاء النورى بشأن الزلازل السابقة الواقعة خلال المرحلة عام ٥٥١ إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ إلى ١١٥٩ م ، فهى قد جاءت بعد ما يمكن وصفه بانقطاع وثائقى - إذا جاز التعبير - ، مما عكس أهميتها .

أما الوثيقة الثانية ، فقد وردت فى صورة كتاب مرسل من دمشق إلى مصر لإطلاع الدولة الأيوبية بها بنتائج زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ ، وقد وردت الوثيقة المذكورة لدى عبد اللطيف البغدادى[٦] ، (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) فى كتابه الإفادة والاعتبار [٧].

أما الوثيقة المذكورة ، فيتضح من خلال أنها تقدم لنا التحديد الجغرافى الدقيق للمناطق المنكوبة من جراء الزلزال ، سواء لدى المسلمين أو الصليبيين . مع ملاحظة أن مناطق كل طرف

قد تحددت معالمها من خلال صلح الرملة الذى تم توقيعه بين السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، والملك الانجليزى ريتشارد الأول الملقب بقلب الأسد Richard I the Heart of Lion وذلك فى عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م ، كما أفادت الوثيقة فى التحديد الزمنى للزلزال .

أما الوثيقة الثالثة ، فقد أوردها نفس المؤرخ فى كتابه السابق ، وتتصل بزلزال عام ٥٩٨هـ / ١٢٠٢ م أيضا ، وهى عبارة عن كتاب ورد من حماه يعكس ما حل بها من تدمير[٨] ، واتفقت الوثيقة الأخيرة مع سابقتها ، من حيث إيراد التوقيت الزمنى للزلزال .

وتجدر الإشارة ، إلى أن الوثيقتين الأخيرتين ، تعدان بمثابة مصدرنا الإسلامى الرسمى الوثائقى عن زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، وبذلك يتشابه زلزال ذلك العام مع زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، من خلال أن لدينا عنه وثائق رسمية تعكس مجاله التدميرى ، وتأثيراته فى مناطق المسلمين ، والصليبيين .

وعند مقارنة الوثيقتين الثانية ، والثالثة ، بالأولى ؛ نجد أنهما تتميزان باحتوائهما على التحديد الزمنى للزلازل ، بينما افتقدت الوثيقة الأولى ذلك . كما أن الوثيقة الأولى ؛ لها طابع الاستغاثة ، وطلب المساعدة من قوة خارجية ، الأمر الذى لانجده فى الوثيقتين الأخيرتين.

وعلى الرغم من أوجه الاختلاف بين الوثائق الثلاث ، إلا أنها تشترك فى كونها ، مصادر وثائقية مهمة من ذلك العصر ، بالإضافة إلى أنها أتت من عهود متتابعة ؛ ونعنى بها الدولة النورية ، وكذلك الدولة الأيوبية التى خرجت من عباءة الأخيرة .

ولا نغفل حقيقة أخرى ، ألا وهى أن المساحة الزمنية لم تكن كبيرة بين الوثائق الثلاث ؛ إذ أنها جميعها قدمت على مدى نحو ثلاثة وثلاثين عاما فقط ، ولم يفصل بينها فاصل زمنى كبيرة ، بالإضافة إلى أنها توصف بأنها شامية الطابع ، وصدرت جميعها من إقليم جغرافى واحد ، ونعنى به بلاد الشام .

٢ - تواريخ المدن الشامية :

وتمثل تواريخ المدن الشامية ، أحد المصادر التاريخية القيمة عند دراسة تاريخ الزلازل فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . وتمتاز تلك المؤلفات التاريخية بأنها تختص بالحديث عن مدن معينة فى بلاد الشام تعرضت لتأثيرات تلك

الهزات الأرضية المدمرة ، ومن ثم فانها تفصل الأمر بالنسبة لتلك المدن ، على خلاف الإيجاز الذى قد نجده لدى المؤلفات التاريخية الأخرى لاسيما كتب الحوليات .

ويأتى فى مقدمة تواريخ المدن الشامية ، كتابان مهمان لموضوع الدراسة ونعنى بهما ، ما ألفه المؤرخ الدمشقى ابن القلانسى[٩] (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، فى صورة كتابه ذيل تاريخ دمشق [١٠] ، وما ألفه المؤرخ الحلبى ابن العديم [١١](ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) فى صورة كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب [١٢].

ومن المعروف ، أن دمشق ، حاضرة الشام الكبرى ، وكذلك حلب ، حاضرة شمال الشام ، قد حل بهما تأثير الهزات الزلزالية خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، على نحو مدمر مع ملاحظة أن حلب ، فاقت شقيقتها دمشق فى ذلك المجال بصفة عامة .

ومن هنا تظهر لنا قيمة وجود مؤرخين شاميين ينتسبون إلى تلك المدن المصابة بتلك الزلازل، ويبرزون لنا حقيقة ما حل بمدنهم من صنوف التدمير ، وأشكال التخريب .

ويعد ابن القلانسى ، وبحق شاهد عيان دمشقى معاصر لأحداث جانب من الهزات الزلزالية التى أصابت بلاد الشام خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وقد وصفها وصفا دقيقا ، وأورد حتى أعدادها [١٣]، وتوقيت حدوثها ، إن كان نهارا أم ليلا [١٤]، ووصف تأثيراتها النفسية على المعاصرين فى صورة الهلع ، والرعب الشديدين اللذين حلا بهم، وكذلك الخسائر البشرية من حيث أعداد القتلى ، والعمائر الحربية التى أصيبت من جراتها مثل القلاع ، وأيضا العمائر الدينية ؛ كالمساجد إلى غير ذلك .

لقد أورد ابن القلانسى نصوصا عن الزلازل الشامية خاصة تلك الواقعة على مدى الأعوام من ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، ونصوصه فى هذا المجال تتفوق – فى شكلها ، ومضمونها – على أى مصدر تاريخى آخر تناول أحداث الزلازل خلال نفس المرحلة الزمنية سواء لدى المسلمين أو الصليبيين ، ثم إذ مالاحظنا وضعيته الرسمية ، بوصفه قد احتل منصبا كبيرا فى ديوان الإنشاء ، وضح لنا أهمية ذلك المؤرخ على نحو خاص ، وأهمية إشاراته بشأن الزلازل فى بلاد الشام لاسيما فى دمشق الفيحاء .

ومن الملاحظ أنه بعد وفاة ابن القلانسى فى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، نواجه قلة الإشارات المصدرية المفصلة ، وإن وجدت لا تصل إلى نفس ثراء ما أورده ذلك المؤرخ الدمشقى، وتفتقر إلى التحديد الزمنى الدقيق ، والاهتمام ببلاد الشام ، ودمشق على نحو خاص .

وتجدر الاشارة إلى أن ما أورده ابن القلانسى ، بشأن زلازل بلاد الشام خلال المرحلة الممتدة من عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م إلى عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، قد استفاد منه المؤرخون الذين أتوا من بعده ؛ نظرا لإدراكهم لأهمية ما أورده ، وخير مثال دال على ذلك ، ما نجده لدى المؤرخ أبو شامة المقدسى[١٥] (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٠ م) الذى نقل بصورة شبه حرفية ما أورده ابن القلانسى فى هذا الصدد ، وضمنه كتابه الروضتين .

ومع ذلك ، فنظرا لكون تاريخ ابن القلانسى تاريخا محليا يركز الاهتمام على مدينة دمشق ، فلم يقدم لنا - للأسف - التأثيرات المدمرة للزلازل فى المناطق الشمالية من بلاد الشام ، وهى التى شهدت - فى أغلب الأحيان - الجانب الأكبر من فعاليات تلك الكوارث الطبيعية ؛ إذ أن تلك المناطق لم تحظ لديه بنفس القدر من الاهتمام الذى أولاه لحاضرة الشام الكبرى دمشق ، وهو أمر متوقع تماما وأمكن تعويضه من خلال المصادر التاريخية الأخرى المعاصرة ، والمتأخرة .

أما ما ألفه ابن العديم الحلبى (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) تحت عنوان « زبدة الحلب من تاريخ حلب » ، فيحتل أهمية خاصة عند دراسة فعاليات تلك الهزات الزلزالية فى حاضرة الشام الشمالية حلب الشهباء .

ويلاحظ أن اهتمام ابن العديم بتلك المدينة ، وجعله إياها مركزا لتأليفه لكتابه قد عوضنا عن النقص الذى نجده لدى ابن القلانسى حيال المناطق الشمالية من بلاد الشام وقد أفاد من خلال تناوله لزلازل عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م [١٦] ، ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م [١٧] ، وقد اهتم بايراد أسماء المواقع المنكوبة ، من جراء تلك الهزات الزلزالية ، خاصة خلال العام الأول ، كما أنه قدم تفصيلات قيمة عن الظروف التى واكبت تهدم شيرز ، من جراء زلزال ذلك العام وكيفية انقراض أسرة بنى منقذ .

وفيما يتعلق بالتحديدات الزمنية فى زبدة الحلب ، من الملاحظ ، أنه اختلف فى معالجته للزلازل ، فأحيانا يوردها بأقل تحديد زمنى ، وأحيانا أخرى نجده يوردها بأدق تحديد ، ومن

ذلك - على سبيل المثال - أنه عندما تناول زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، نجده اكتفى بتحديد الشهر فقط ،دون أن يحدد لنا اليوم ، والساعة ، التى وقعت فيها تلك الكارثة الطبيعية ؛ بينما نجد ابن العديم الحلبى يحدد توقيت زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م بدقة كبيرة تشبه ما قد اعتدناه لدى ابن القلانسى من قبل .

ومن جهة أخرى ، تتضح أهمية ما أورده ابن العديم فى كتابه ، من خلال تناوله لتأثير زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، فى مدينة حلب ، وقد أوضح أنه ترك بها أثرا مدمرا كبيرا ، وحرص على أن يورد رقما محددا عن عدد القتلى ، وقدره بعدة آلاف (١٨) ، مع ملاحظة إمكانية المبالغة الرقمية فى نصوص مصادر ذلك العصر . كذلك حرص على إيراد أثر تلك الزلازل على البنية الاقتصادية للدولة النورية لاسيما الأسواق التجارية التى عرفت بازدهارها قبل تلك المرحلة ، وقد أشار بوضوح إلى التدمير الذى لحقها على نحو بذلت الدولة معه جهدها الجهيد لإعادة إعمارها(١٩) .

ومع ذلك ، فهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام بالنسبة لما أورده ابن العديم بشأن زلازل شمال الشام ، لاسيما ما حدث عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، إذ أن إشاراته خلت من تناول فعاليات الزلازل فى المناطق الصليبية ، وقد تفوقت عليه نصوص العماد الكاتب الأصفهانى (ت٥٩٧هـ / ١٢٠١ م) فى هذا المجال ، الذى لم تقتصر رؤيته على المناطق الإسلامية فقط ، بل تعدتها إلى المناطق الصليبية أيضا .

وقد يرى البعض تبريرا لموقف ابن العديم ، من خلال أنه كتب تاريخا محليا عن حلب ، بيد أن تأثير ذلك الزلزال على إمارة أنطاكية الصليبية المواجهة لحلب جعلنا نتوقع أن يورد إشارات هامة ، عما حدث للصليبيين هناك ، غير أنه غض الطرف عن ذلك ، على الرغم من أهميته ، ومن ثم كان لزاما علينا التوجه صوب المصادر اللاتينية ، والسريانية ، من أجل كشف النقاب عن حقيقة ما حدث فى تلك الإمارة الصليبية الواقعة فى شمال الشام .

٣ - مؤلفات الرحالة المسلمين :

وفى هذا المجال ، نجد رحلة عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣٤ م) المسماه الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة ، والحوادث المعاينة بأرض مصر ، وعلى الرغم من أن الرحلة المذكورة عنيت فى المقام الأول برصد أوضاع مصر ، إلا أنها احتوت على إشارات قيمة عن أوضاع بلاد الشام خلال المرحلة ، خاصة أن من الزلازل ما أثر فى مصر ، والشام على حد

سواء - غير أن التأثير فى مصر يعد خارجا عن موضوع دراستنا - وهكذا اتحد الإقليمان المتجاوران جغرافيا ، فى المصير المشترك حيال الزلازل ، وتأثيراتها المدمرة .

وتتمثل أهمية تلك المرحلة فى تناول مؤلفها لزلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م وهو يعد معاصرا له ، وقد أوضح اتساع نطاق ذلك الزلزال ، ثم أنه اتجه إلى أن يقدم لنا إشاراته عن الجانب الصليبى ، ولم يقصر رؤيته على الجانب الإسلامى فقط ، وقد ذكر أن خسائر الصليبيين من جرائه ، فاقت خسائر المسلمين [٢٠]، وهو بذلك تشابه مع ما أورده العماد الكاتب الأصفهانى بشأن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، فى المقارنة بين تأثير الزلزال المذكور فى مناطق الطرفين المتحاربين .

٤ - كتب الحوليات :

وفى هذا المجال ، توجد كوكبة من مؤرخى الإسلام على مدى المرحلة الواقعة من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وحتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ونذكر منهم العماد الكاتب الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٢ م) ، وابن الأثير[٢١] (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) وسبط بن الجوزى[٢٢] (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٩ م) ، وأبو شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) ، وابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م) والمقريزى[٢٣] (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) وابن قاضى شهبة[٢٤] (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) والسيوطى[٢٥] (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٨ م).

ومن الملاحظ ، أن تلك المجموعة من المؤرخين احتوت على المؤرخ المعاصر لأحداث تلك الزلازل ، وكذلك المؤرخ المتأخر الذى أحيانا اعتمد على مصادر معاصرة مفقودة ، مما أعطى لما كتبه أهمية متميزة ، بيد أنهم اتفقوا جميعا فى أنهم افادوا بكتاباتهم فى إلقاء الأضواء الساطعة على تاريخ الزلازل فى بلاد الشام ، خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى .

ومن هذه المؤلفات الحولية ، نذكر ما ألفه العماد الكاتب الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٢م) فى صورة كتابه البرق الشامى خاصة فيما اختص بزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وحيث أن ذلك الكتاب لم يصل إلينا كاملا ، وقد قام باختصاره الفتح بن على البندارى (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥ م) تحت عنوان سنا البرق الشامى ، فمن ثم تتضح لنا أهمية ذلك الاختصار .

ويعد العماد الأصفهانى شاهد عيان معاصر لزلزال ذلك العام ، وأوضح حجم الدمار الناتج عنه ، واتساع نطاق المدن ، والمناطق المنكوبة من جرائه ، وحرص على إيراد تلك المدن - خاصة الخاضعة لسيادة الدولة النورية - وبالإضافة إلى ذلك يقدم لنا تحديدا زمنيا دقيقا لتوقيت حدوث الزلزال .

ونظرا لأهمية النصوص التى أوردها العماد الكاتب الأصفهانى فى كتابه ، فقد اتجه بعض المؤرخين الذين أتوا من بعده ، إلى الاستفادة منه فى أمر زلزال ذلك العام ، ومن أمثلتهم أبى شامه المقدسى (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) الذى استعان بما ألفه العماد الكاتب بصورة شبه حرفية ، مما عكس أهمية البرق الشامى فى هذا المجال وأهمية نقول أبو شامة عنه .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك ما ألفه ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) فى صورة كتابيه : الكامل فى التاريخ [٢٦]، والتاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية [٢٧]، ولعل أهم ما أورده ابن الأثير فيها - على نحو خاص - ما اتصل بزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، ونجد أن ما تناوله فى التاريخ الباهر بشأنه فاق فى تفصيلاته ما أورده فى الكامل ، وقد أوضح اتساع نطاق الزلزال ، بحيث شمل مناطق متعددة من بلاد الشام ، وأشار إلى اتساع حجم الضحايا من جرائه بصورة فاقت إمكانية الإحصاء ، وقدم تناولا للدور الذى قامت به الدولة انورية ؛ من أجل مواجهة حجم الدمار الذى حل بالمناطق الخاضعة لها فى بلاد الشام . كما أنه ، قدم إشارات مهمة عن اختصاص مدينة حلب بحجم أكبر من الدمار ، والتخريب ، من جراء تلك الهزات الزلزالية .

كذلك ، قدم ابن الأثير تناولا مفيدا لخطط الدولة النورية من أجل مواجهة احتمال هجوم صليبى مفاجئ فى أعقاب تلك الهزات الزلزالية المدمرة ، خاصة من خلال توزيع القوات الحربية فى المناطق المجاورة لحدود الصليبيين ، ومن أمثلتها بارين ، التى من الواضح من خلال إشارات ابن الأثير بشأنها ، أنها تعد نموذجا لسياسة الدولة النورية تجاه القلاع ، والمراكز الحدودية المنكوبة ، ذات الأهمية الاستراتيجية ؛ خاصة خلال تلك الظروف العصيبة التى مرت بها تلك الدولة من خلال صراعها مع العدو الصليبى .

ومن المؤرخين الذين أفادوا فى الدراسة ، سبط بن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٩ م) وكتابه مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان [٢٨] ، وقد حظيت الزلازل فى بلاد الشام باهتمام ذلك المؤرخ على نحو خاص ، ومع ذلك لم يتناولها جميعا خلال المرحلة الواقعة فى النصف الثانى

من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى ، وإنما قصر تناوله على زلزال عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م ، وزلزال ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وكذلك زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

وتجدر الإشارة إلى أن سبط ابن الجوزى لا يحدد المصادر التاريخية التى نهل منها مادته التاريخية عن زلازل بلاد الشام خلال المرحلة المذكورة ، ويمكن القول أن تناوله لزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، لم يقدم فيه إشارة متميزة عن غيره من المؤرخين السابقين ، ومع ذلك فان أهمية ما أورده يتمثل - وعلى نحو خاص - فيما اتصل بزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م.

والصفة المميزة لتناول سبط بن الجوزى لزلزال العام المذكور ، أنه ينطلق من زاوية التوزيعات الجغرافية ، ورصد امتداد الهزات الزلزالية ، على نحو يقدم معه صورة عامة لامتداد زلزال ذلك العام ، وقد أوضح أثره على حاضرة الشام الكبرى دمشق ، وكذلك حلب ، وحماه ، وحمص ، كما أشار إلى الأضرار التى لحقت باللاع الصليبية ، حيث قرر أن أحد حصون الصليبيين لم يعد لسوره أثر ، كما تعرض لجهود الدولة النورية ، من أجل مواجهة احتمال هجوم صليبى مباغت اهتبالا للموقف ، واغتناما للفرصة .

كذلك ، فان سبط بن الجوزى لا يوضح أثر ذلك الزلزال من خلال رؤية قاصرة على منطقة محددة من بلاد الشام ، بل يرسم لنا ما يشبه خريطة لتوزيعاته ، وهو يقرر أن التخريب لحق بالشام ، وحلب ، والعواصم ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وجبلة ، وجميع بلاد الساحل إلى الداروم ، ثم تتبع سير الزلزال .

ومع ذلك فان ذلك المؤرخ ، لم يقدم أية إشارات رقمية تقريبية عن حجم الخسائر البشرية بالنسبة لزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، على الرغم من أنه قدم مثل ذلك خلال تناوله لزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، ومع ذلك فانه اختتم حديثه بعبارة موحية دالة أبعد الدلالة ، إذ ذكر أنه لم ير الناس زلزلة من أول الاسلام مثلها أفنت العالم ، وهذا - ولا ريب - يعطى انطباعا بحجم التدمير - والهلاك الشديدين اللذين نجما عنهما .

أما فيما اتصل بزلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، فان ذلك المؤرخ ، أفاد فى توضيح المدن التى أضيرت من جرائه ، وكذلك فى توضيح حجم الخسائر البشرية ؛ إذ ذكر رقما هو أعلى الأرقام التى وردت فى موفات مؤرخى تلك المرحلة التاريخية الهامة ، إذ أوضح أن القتلى بلغوا ألف ألف ومائة ألف إنسان ، وبالطبع فان مثل هذا الرقم يحوى مبالغة واضحة ، ويوقع

سبط بن الجوزى فى تناقض بين لأنه من قبل ، وفى حوادث عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، أشار إلى أنه لم يصب بمثلها المسلمون ، وأنه لم ير الناس زلزلة من أول الإسلام مثلها ، أفنت العالم، على الرغم من أنه بعد ذلك وفى معرض تناوله لأحداث عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، إذ ذكر أن زلزلة ذلك العام قضت على مليون ، ومائة ألف إنسان .

أضف إلى ذلك ، أن نصوص المصادر التاريخية المعاصرة ، وكذلك اللاحقة ، لا تعطى لنا مثل هذا التصور ، والأرجح أن الهزات الزلزالية التى وقعت عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، - كما سيتضح لنا من خلال الفصل المخصص لها - كانت هى الأعنف ، والأشرس ، والأفتك ، وذلك على ضوء ما تحت أيدينا من نصوص مصدرية ، إسلامية ، وصليبية معاصرة .

والواقع أن تعليل الوضع السابق أن مؤرخى ذلك العصر ، وهم قد تكونوا تكويناً دينيا قويا، حرصوا على الإفادة من أمر الزلازل من زاوية الترهيب ، فلجأوا إلى المبالغة الرقمية من أجل إشعار معاصريهم بخطورة الابتعاد عن جادة الدين لأن العواقب ستكون وخيمة كالزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية .

مهما يكن من أمر ، فان سبط بن الجوزي قدم لنا إشارات على جانب كبير من الأهمية عن الزلازل التى نكبت بها بلاد الشام خلال المرحلة موضوع الدراسة ، ولا ينقص من قيمتها التاريخية ، طابع المبالغة الرقمية الذى اتجه إليه أحيانا .

ويضاف إلى ما سبق من المؤرخين ، هناك أبو شامه المقدسى (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) فى صورة كتابيه : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية ، والصلاحية [٢٩] ، والذيل على الروضتين[٣٠] .

ويلاحظ أن أبا شامة قد اعتمد فيما أورده عن زلازل تلك المرحلة على مؤلفات ابن القلانسى ، والعماد الكاتب الأصفهانى ، وابن الأثير الجزرى ، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال قولنا بأن ذلك المؤرخ اعتمد على ابن القلانسى فيما ألفه عن زلازل المرحلة الواقعة من عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م إلى عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، والعماد الكاتب الأصفهانى خاصة فيما يتعلق بزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وكذلك ابن الأثير الجزرى فيما اتصل بالزلزال الأخير على نحو خاص .

وهناك ملاحظة جديرة بالأهمية ، يمكن ذكرها بشأن أهمية ما أورده أبو شامة فى كتابه الروضتين ، إذ أنه من خلال اعتماده على البرق الشامى فى تناوله زلزال عام ٥٦٥ هـ /

١١٧٠ م ، قدم لنا إشارات مهمة أغفلها الفتح البندارى عندما اختصر البرق ، على نحو يعطى الروضتين أهمية متميزة ، ومن أمثلة ذلك :

أولا : أورد أبو شامة إشارة تفيد التحديد الجغرافى للمدن ، والمواقع ، والحصون الصليبية التى أصيبت من جراء زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، ولم ترد فى سنا البرق الشامى ، إذ اختصرها الفتح البندارى ظنا منه عدم أهميتها على الرغم من عكس ذلك .

ثانيا : أورد أيضا قصيدة شعرية مهمة ، نظمها العماد الكاتب الأصفهانى ، تضمنت إشارات قيمة عن تأثيرات الزلازل فى المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية ، ومشاعر المسلمين تجاه الصليبيين ، من خلال ما حل بأعدائهم من تدمير .

وبالإضافة إلى المؤرخين السابقين ، هناك عدد من المؤرخين المتأخرين ، لهم أهمية متميزة بالنسبة لموضوع الدراسة ، ونذكر فى هذا المجال ابن الفرات (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) فى صورة كتابة بعنوان تاريخ الدول والملوك ، ويعد هذا المصدر - على نحو خاص - من أهم مصادرنا التاريخية بشأن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

ومرجع الأهمية التى يمكن أن نعلقها على كتاب تاريخ الدول والملوك ، فيما يتصل بزلازل بلاد الشام خلال ذلك الحين ، أنه اعتمد فيه على ما ألفه المؤرخ الحلبى ابن أبى طئ[٣١] (ت ق ٧ هـ / ١٣ م) ، والذى ألف كتابا بعنوان معادن النهب فى تاريخ الملوك والخلفاء وذوى الرتب ، ومن المعروف أن أبى طئ مؤرخ حلبى شيعى معاصر ، وقد فقد كتابه ولم يصلنا باستثناء نقول أوردها لنا المؤرخون المتأخرون ومن أمثلتهم ابن الفرات ، ون خلال ذلك قدم لنا المؤرخ الأخير مادة تاريخية هامة عن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م فى بلاد الشام .

ويستفاد من إشارات ابن الفرات - نقلا عن ابن أبى طئ - أن الزلزال دمر تدميرا كبيرا مدينة حلب ، وأن الحلبيين فروا إلى الصحراء نجاة بأنفسهم ، ونزلوا فى الخيام ، وكذلك أوضح أن الزلزلة ظلت تتردد خمسة وعشرين يوما ، وهى بالطبع توابع الزلزال الأصلى .

وبالإضافة إلى أولئك المؤرخين ، هناك من المؤرخين المتأخرين ، المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ، وابن قاضى شهبة (٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) ، وقد وردت فى مؤلفاتهما زوايا مهمة عن الزلازل فى بلاد الشام ، خلال المرحلة الزمنية موضوع الدراسة .

ويلاحظ أن المقريزى - شيخ مؤرخى مصر الإسلامية - فى كتابه « إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء »[٣٢] ، قد أورد روايات عن زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وكذلك عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وأغفل ذكر الزلازل الأخرى التى وقعت بين التاريخين ، والتى أوردها العديد من المؤرخين السابقين ، وعلى رأسهم ابن القلانسى وغيره ، ويبدو أن المقريزى رأى أنها ثانوية وبالتالى لم يحرص على إيرادها خاصة إذ وضعنا فى الاعتبار أن إهتمامه الأكبر بمصر أكثر من الشام فى الغالب الأعم .

ومن المقرر أنه بالنسبة لزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، أوضح المقريزى المدن التى أصيبت من جرائه مثل شيزر ، وحماه ، وكفر طاب ، وأفامية ، وحلب ، وإن ذكر أن دمشق لم يحل بها أى تخريب .

أما زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، فنجد أنه فصل فيه الحديث بالمقارنة باشاراته المقتضبة عن زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وقد عدد عشرات المدن ، والقلاع ، التى أضيرت من جرائه ، وقد أورد أن حصون الدعوة الخاصة بعناصر الإسماعيلية النزارية قد أصابها الهدم والتخريب ، ولعل هذه تكاد تكون من أوائل الإشارات الصريحة الدالة على أن عناصر الإسماعيلية النزارية أضيرت هى الأخرى من جراء الزلازل ، مع ملاحظة أن إيراد المصادر التاريخية السابقة إشارات إلى إصابة إمارة طرابلس بالزلازل كان يعنى ضمنيا أن قلاع الدعوة أضيرت هى الأخرى ، بيد أن المقريزى أشار إليها صراحة فى كتابه ، ويلاحظ أن إنعزالية ، وتقوقع الوجود الإسماعيلى النزارى فى بلاد الشام ، وقلة ما ورد عن قلاع الدعوة فى المصادر التاريخية السنية بصفة عامة ، قد جعل تلك الإشارة لها أهميتها الخاصة .

أما ابن قاضى شهبة (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) فكتابه هو الكواكب الدرية فى السيرة النورية [٣٣] ، ويلاحظ أنه اعتمد فى تناوله لزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م على ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ، والتاريخ الباهر لابن الأثير ، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزى .

أما زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، فقد اعتمد فيه على ما ألفه سبط بن الجوزى ، وكذلك ابن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) فى تاريخه ، وقد أوضح المناطق التى أصيبت من جراء زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، أما بالنسبة لزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م، فنجد أنه أوضح - وعلى نحو خاص - تأثيره على حلب ، وجهود الدولة النورية لإعادة إعمار ما قد تهدم من أبنية ، وعلى نحو خاص العمائر الحربية ، من أجل مواجهة احتمالات التدخل العسكرى الصليبى .

وبالإضافة إلى ما ألفه أولئك المؤرخون ، هناك مصدر تاريخي متأخر مهم ، هو ما ألفه السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٨ م) تحت عنوان « كشف الصلصلة [٣٤] عن وصف الزلزلة »، وقد تناول فيه على النمط الحولي الزلازل التي وقعت قبل الإسلام ، ومن بعده ، وحظيت تلك التي وقعت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي باهتمامه ، فأورد بشأنها تفاصيل هامة ، ويلاحظ أن مصادر السيوطي بعضها وصل إلينا ، والبعض الآخر يعد مفقودا ، بالإضافة إلى مصادر أخرى لم يكشف النقاب عنها ، ويمكن ملاحظة ذلك على النحو التالي :

أ - اعتمد السيوطي في تاريخه لزلازل المرحلة موضوع الدراسة ، على ما ألفه ابن القلانسي [٣٥] ، وأبو شامة المقدسي [٣٦] ، وابن الأثير الجزري[٣٧] ، وابن الجوزي[٣٨] ، وسبط بن الجوزي[٣٩] ، والذهبي [٤٠] ، ومؤلفات أولئك المؤرخين وصلت إلينا .

ب - أما المصادر التاريخية التي اعتمد عليها السيوطي وفقدت ، فلعل في مقدمتها يأتي كتاب الحافظ ابن عساكر [٤١](ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) ، عن الزلازل وبالتحديد «الإنذار بوقوع الزلازل »[٤٢] ، ومن هنا تتضح أهمية كتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة .

وعلى الرغم من إفتقادنا للكتاب الذي ألفه مورخ مدينة دمشق ، إلا أننا بامكاننا رسم صورة تقريبية عنه دون اعتساف في الأحكام ، فبالنظر إلى أن ابن عساكر في الأصل أحد علماء الحديث ، فالمرجح أنه أورد العديد من الأحاديث النبوية المشرفة فيه ، كذلك يستفاد من إشارة السيوطي لكتاب ابن عساكر عن حوادث زلازل عام ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م ، وآثارها في بلاد الشام لاسيما دمشق ذاتها - يستفاد من ذلك من حيث أن مؤلفه جعله هلى النمط الحولي وأن بلاد الشام قد حظيت باهتمام خاص لديه .

وقيمة كتاب ابن عساكر المفقود ؛ أن مؤلفه معاصر لتلك المرحلة وخاصة حتى مطلع سبعينات القرن السادس هـ / الثاني عشر م ، إذ أنه توفى في عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦م ، ومن المنطقي تصور أن ما حل ببلاد الشام من زلازل مدمرة ، قد حفز مؤرخ مدينة دمشق على أن يخصص كتابا يتعرض فيه لتلك الأحداث العنيفة ، الأمر الذي يعكس أهمية دراسة أمر الزلازل لدى المؤرخين المعاصرين أنفسهم .

وتتمثل أهمية استعانة السيوطي بكتاب ابن عساكر من خلال أنه ربما يكون أول كتاب شامي متخصص عن الزلازل يعود إلى تلك المرحلة الزمنية ، ثم أن المؤرخين المعاصرين ،

والمتأخرين لم يعتمدوا عليه فى مؤلفاتهم التى تناولت زلازل الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .

والواقع أننا لا نستطيع أن نحدد بدقة تعليل السبب الكامن وراء إغفال المؤرخين المعاصرين للنصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى أو المتأخرين عن تلك المرحلة ، والذين أرخوا لزلازل الشام - إغفالهم الاستعانة بكتاب ابن عساكر بينما كان ابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق أكثر حظا منه فى الإستعانة بكتابه من جانب المؤرخين مثلما اتضح فى عرضنا السالف ، وهكذا فعلى حين كثر الاقتباس من الأول ، أغفل الأخير على الرغم من أنه ألف كتابا متخصصًا عن الزلازل .

وربما كان تعليل الموقف السابق ، أن ابن عساكر اشتهر كمؤرخ بكتابه تاريخ مدينة دمشق، وتفوق على ما سواه من مؤلفات ، وربما كان لخصوصية موضوع الزلازل أن قل من استعان به ، ومن المحتمل أن ذلك هو تعليل الموقف السابق ، وتفوقت شهرة الكتاب الضخم الخاص بدمشق على كتاب الإنذار المشار إليه فندرت الإستعانة بالأخير .

جـ - اتجه السيوطى إلى الاستعانة بمصادر تاريخية لم يفصح عنها ، ويتضح ذلك من خلال حديثه عن زلازل عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، حيث أورد نصا هاما ، واصفا فعاليات الزلازل ، وآثارها التدميرية دون أن يحدد مصدره ، واكتفى بالقول « قال بعض البلغاء » ، دون أن يحدد أسماءهم ، وهكذا ، لم يكن فى مقدورنا تتبعهم فيما كتبوا من مؤلفات .

٥ - القصائد الشعرية :

وبالإضافة إلى المؤلفات التاريخية السابقة ، يأتى الشعر العربى ليحتل المكانة البارزة من بين مصادر دراسة الزلازل فى بلاد الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى .

وفى هذا المجال لدينا أشعار لأحد الشعراء المعاصرين أضيروا شخصيا ، وبصورة مباشرة من جراء تلك الأحداث ، وانعكست مأساته على أشعاره بصورة صادقة ، ثم هناك قصائد نظمها شعراء معاصرون لم يتضرروا شخصيا من جراء تلك الزلازل ، وقد أعانت أشعارهم على إلقاء أضواء كاشفة عن تلك الأحداث ، ثم هناك نوع آخر من القصائد الشعرية مجهولة المؤلف، وتلقى الضوء على الصدى أو الأثر النفسى الذى أحدثته تلك الزلازل على نفوس المعاصرين ، وخاصة الشعراء وهم مرهفي الشعور فى الأصل .

ومن أمثلة النوع الأول ، هناك الشاعر المعاصر أسامة بن منقذ الشيزرى [٤٣] (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) وقد أورد العديد من الأشعار عن أثر الزلازل المدمرة على مسقط رأسه فى مدينة شيزر ، وانقراض أسرته هناك ، من جراء زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م .

ولا نزاع ، فى أن أسامة بن منقذ - على نحو خاص - يعد من أكثر المعاصرين الذين يمكن أن نتلمس من خلال كتاباتهم الأثر النفسى لتلك الهزات الزلزالية ، إذ نجم عنها انقراض أسرته، ونجد انعكاس ذلك ، على ما كتبه ، من خلال المحنة الشخصية الأليمة التى تعرض لها ، أما المؤرخين الآخرين ، فلا نجد فى كتاباتهم نفس الموقف ، إذ أن تلك الأحداث لم تمسهم شخصيا أو أسرهم ، على نحو ما حدث لذلك الشاعر الشيزرى ، ومن ثم فان أشعاره تعد مرآة صادقة لمأساة كل أسرة شامية فقدت أغلب أبنائها تحت الأنقاض حينذاك .

وبالاضافة إلى ذلك ، هناك قصيدة نظمها العماد الكاتب الأصفهانى فى مدح الملك العادل نور الدين محمود ، وقد وردت فيها إشارات هامة إلى زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، وتأثيره المدمر لاسيما على مناطق الصليبيين ، وقد وردت لدى ابن الفرات [٤٤] بعض أبيات منها ، كذلك نجد أن أبا شامة حرص على أن يورد عددا كبيرا من أبياتها بصورة فاقت ما لدى ابن الفرات .

زد على ذلك ، أن هناك قصيدة هامة ، كثيرا ما ترددت فى المصادر التاريخية ، وهى مجهولة المؤلف ، وأوردها ابن القلانسى فى كتابه [٤٥] ، ويلاحظ أنها - على ما يبدو - من نظم شاعر مغمور ، لم يلق أى قدر من الشهرة ، وذيوع الصيت ، وإغفال ابن القلانسى نفسه - وهو المؤرخ الدقيق الذى يذكر الشواهد الشعرية فى تاريخه مصحوبة باسم ناظميها - بعكس بصورة أو بأخرى ، أن القصيدة المذكورة التى شاعت على مستوى عام ، لم ينظمها أحد من فحول الشعراء المعاصرين له .

والجدير بالذكر ، أن تلك القصيدة قيلت فى زلازل عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، وفيها يرد التحديد الجغرافى للمدن التى نكبت من جراء تلك الهزات الزلزالية ، وتعكس الفزع ، والرعب اللذين حلا بنفوس المعاصرين من جراتها .

ومن الملاحظ أن الأشعار التى وصلت إلينا قيلت فى وصف زلازل عامى ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، بينما لم ترد فى المصادر التاريخية المنشورة - وفق علمى - أشعار عن الزلازل الأخرى التى منيت بها بلاد الشام فى المرحلة موضوع الدراسة بعد العام

الأخير ، ونعنى به عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، مع ملاحظة إمكانية المبالغة بالطبع فى بعض القصائد الشعرية كشأن الشعراء دوما ، غير أن مقارنتها باشارات نصوص المصادر التاريخية الأخرى يدعم الإفادة منها ، دون الوقوع فى نطاق المبالغات .

ثانيا : المصادر الصليبية :

وإذا نحينا المصادر التاريخية الإسلامية جانبا ، نجد أن المصادر التاريخية الصليبية تمثل هى الأخرى ، أهمية واضحة بالنسبة لموضوع الدراسة ؛ إذ أنها عكست وجهة النظر الصليبية فيما حدث ، والآثار التى نجمت عن تلك الكوارث الطبيعية على الجانب الصليبى ، ومن الملاحظ أن المناطق الصليبية عانت بصفة عامة من قلة الاهتمام من جانب المؤرخين المسلمين بما حل بها من مظاهر التدمير ، والتخريب ، ومن ثم فان ما ألفه المؤرخون الصليبيون يقوم بسد تلك الثغرة ، ويفيدنا فى تعدد نوعية المصادر وعدم الاعتماد على وجهة نظر واحدة فى تصور الأحداث .

وقد تعددت المصادر التاريخية الصليبية فشملت : الوثائق ، وكتب الحوليات ، ومؤلفات الرحالة الأوربيين ، وهى جميعها تعاونت مع المصادر التاريخية الإسلامية من أجل إلقاء الأضواء الكاشفة بشأن الزلازل ، وتأثيراتها خلال المرحلة موضوع الدراسة .

١ - الوثائق اللاتينية :

وتعد الوثائق اللاتينية فى مقدمة تلك المصادر التاريخية الصليبية ، وهى تلقى الضوء على أحداث تلك الزلازل التى تعرضت لها المناطق الصليبية ، وقيمة تلك الوثائق تتمثل فى أنها رسائل مرسلة من جانب بعض القيادات السياسية ، والحربية الصليبية ، إلى بعض ملوك أوربا حينذاك ، وكذلك كبار رجال الكنيسة ، وهى أشبه شئ بتقارير ميدانية تصف ما حدث بصورة دقيقة ، وتعرض افتقادنا إلى المصادر التاريخية الأخرى ، وهذه الوثائق تتصل اتصالا وثيقا بزلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م الذى لانجد بشأنه وفرة فى المادة التاريخية لاسيما فيما يتصل بالمناطق الصليبية ، وهكذا جاءت تلك الوثائق اللاتينية لتسد تلك الثغرة المصدرية .

والواقع أن لدينا وثيقتين ، الأولى عبارة عن رسالة مرسلة من جانب جودفرى الدنجونى Godffrey of Donjon ، والذى عمل فى منصب مقدم هيئة الإستبارية Hospitallers فى المدة من عام ١١٩٣ إلى ١٢٠٢ - ١٢٠٣ م / ٥٨٩ إلى ٥٩٨ - ٥٩٩ هـ ، وقد أرسلها إلى

الملك سانشو السابع ملك نافارا Sancho VII of Navarra [٤٦] وتؤرخ الوثيقة وفقا لمجهودات المؤرخ الألمانى هانز ماير Hans Mayer بشهر يونيو من عام ١٢٠٢ م [٤٧].

وقيمة الوثيقة المذكورة تتمثل فى أنها تقدم لنا صورة دقيقة فى شكل تقرير ميدانى عن زلزال ذلك العام ، وآثاره المدمرة فى المناطق الصليبية ، ويتحدث فيها مقدم الاسبتارية عن أثر زلزال ذلك العام على المناطق الصليبية ، والخسائر الفادحة فى الأرواح التى نجمت عن تلك الكارثة الطبيعية ، وامتداد آثاره فى صور Tyre ، وطرابلس Tripolis ، وعرقة Arka ، وحصن الأكراد Crac des chevaliers وغيرها من المناطق التابعة للسيادة السياسية الصليبية .

والواقع أن قيمة الوثيقة تتمثل فى أنها صدرت من مقدم هيئة الاسبتارية ، وهو من كبار القيادات السياسية ، والحربية الصليبية الفعالة ، فى الكيان الصليبى ، ولا ريب فى أن منصبه القيادى هذا يعطى أهمية متزايدة لكل المراسلات الصادرة عنه ، ولأنه رجل عسكرى فى المقام الأول ، فقد جاءت الوثيقة تتسم بدقتها ، ووضوحها ، وتحديدها الدقيق للموقف فى المناطق الصليبية .

ومن وجهة أخرى ، أعانت الوثيقة على إلقاء الضوء على آثار زلزال ذلك العام على القلاع الحربية الصليبية ، ولاسيما تلك التابعة لهيئة الاسبتارية ، ومن المعروف أنه خلال تلك المرحلة الزمنية ، كانت قلاع الصليبيين فى بلاد الشام ، قد آل معظمها لنفوذ ، وسيطرة فرق الرهبان الفرسان ، ونعنى بهم الإسبتارية ، والداوية .

ولا نغفل ناحية مهمة أخرى ، وهى أن عنف الأثر التدميرى لزلزال ذلك العام ، قد جعل مقدم الإسبتارية يسارع بطلب النجدة من الغرب الأوربى ، وفى هذا دليل وضاح على أن إمكانيات التنظيم كانت أقل من أن تتسع لمواجهة إصلاح ما قد تهدم ، وانهار من جراء تلك الهزات الزلزالية المدمرة ، ويعنى أيضا ، طبيعة العلاقة بين الكيان الصليبى ، والغرب الأوربى، إذ أن ذلك الكيان على مدى وجوده فى بلاد الشام لم يتمكن من الاعتماد على إمكانية الذاتة ، وإنما راح يقتات المساعدة ، والدعم المادى ، والمعنوى من الغرب الأوربى الذى ولدت فيه الحركة الصليبية الاستعمارية فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى .

وامتدادا للفكرة السابقة ، من الممكن ملاحظة أن مثل تلك الكوارث الطبيعية عندما كانت تحدث ، كانت تتخذها القوى الصليبية فى بلاد الشام فرصة سانحة من أجل جلب المساعدات المالية الوفيرة من الغرب الأوربى ، على نحو يعمل على تثبيت أقدامها فى المنطقة بفضل ذلك الدعم القوى .

ولا مراء فى أن تلك العناصر السابقة كشفت بجلاء عن أهمية تلك الوثيقة المرسلة من جانب مقدم الإسبتارية جودفرى الدنجوى إلى ملك سانشو السابع ملك نافارا ، على نحو يجعلنا نعدها فى مقدمة مصادرنا عن زلازل الشام ، وآثارها المدمرة فى المناطق الصليبية .

وبالإضافة إلى الوثيقة السابقة ، هناك وثيقة ثانية ، وهى عبارة عن رسالة أرسلها مقدم الداوية فيليب دى بليسيس Philip du plessis إلى أرنولد الأول رئيس رهبان سيتو Arnold I Abbot of citeaux [٤٨].

ويمكن تأريخ الوثيقة المذكورة ، وفق تحديدات هانز ماير بشهر يونيو عام ١٢٠٢ م ، وفيها يتناول مقدم الدواية بالحديث آثار زلزال ذلك العام .

وتتجه الوثيقة إلى توضيح الآثار المدمرة التى نجمت عن الزلزال ، سواء على المستوى المعمارى ، أو على المستوى البشرى ، وتتعرض للتحديد الجغرافى للمناطق التى تضررت من جراء ذلك .

وتجدر الإشارة ، إلى أن قيمة الوثيقة السابقة ، تتمثل في أنها تعبر عن وجهة نظر الهيئة المنافسة لهيئة الإسبتارية ، ونعنى بها هيئة الداوية ، وهي توضح أن تلك الهيئة الأخيرة نالها ما نال منافستها من التدمير فى الممتلكات ، والقلاع ، وأنها اتبعت نفس الأسلوب فى طلب العون من الغرب الأوربى من أجل دعمها ماديا ، وتثبيت أقدامها فى المنطقة على حساب القوى الإسلامية .

من جهة أخرى ، يمكن القول بأن الوثيقتين اللاتينيين اتفقتا على أن الخسائر البشرية فى الجانب الصليبى كانت فادحة من خلال أحداث زلزال عام ١٢٠٢ م / ٥٩٨ هـ .

٢ - الحوليات الصليبية :

وبالإضافة إلى الوثائق اللاتينية ، هناك الحوليات الصليبية اللاتينية ، وفى مقدمتها ما ألفه المؤرخ الصليبى وليم الصورى William of Tyre [٤٩] فى صورة كتابه : Historia

A History of deeds :(٥٠) وبالإنجليزية rerum impartibus transmarinis gestarum done beyond the sea أى تاريخ الأعمال التى جرت فيما وراء البحار .

وتجدر الإشارة إلى أن القيمة الكبيرة لتلك الحولية الصليبية تتمثل فى أنها تناولت – على نحو خاص – الآثار التدميرية للهزات الزلزالية التى وقعت عام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ ، وأثرها على المناطق الصليبية ، ويلاحظ أن وليم الصورى لم يشر إلى أية زلازل سابقة وقعت فى بلاد الشام وأشارت إليها المصادر التاريخية الإسلامية ، ومن المحتمل أنه اعتقد أنها كانت ثانوية فى تأثيرها التدميرى على الصليبيين ، سواء بالنسبة للأرواح أو الممتلكات ، ومن ثم لم يشر إليها .

كذلك يبدو أن انهماك ذلك المؤرخ الصليبى فى التأريخ للأحداث ذات اللطابعين الحربى ، والسياسى ، والمتصلة بملوك مملكة بيت المقدس الصليبية قد جعله يغض الطرف عن أحداث الزلازل السابقة على عام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ خاصة إذا ما كان تأثيرها محدودا بالنسبة للصليبيين . ويبدو أن زلزال عام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ كان من القوة التدمرية بحيث أن وليم الصورى تناول تأثيراته الواضحة على الصليبيين فى بلاد الشام ولاسيما فى إمارة أنطاكية الصليبية بتفصيل عكس اهتمامه الشخصى به ، خاصة أنه عاصره وبلغ عمره وقت وقوعه أربعين عاما تقريبا ، وكان قد عاد إلى بلاد الشام من أوربا فى عام ١١٦٢م / ٥٥٧ هـ ، ومعنى ذلك أنه عاصره هناك ، ولم يكن غائبا عن بلاد الشام وقت حدوثه .

وبالإضافة إلى وليم الصورى ، هناك حولية الأرض المقدسة ، وهى التى كتبت حوالى عام ١٢٢٤ م / ٦٢٠ هـ (٥١)، Chronique de Terre Sainte ، وقد أوردت أمر زلزال عام ١٢٠٢ م / ٥٩٨ هـ ، وأشارت إلى الدمار الذى لحق بمدن عكا ، وجبيل ، وصور ، وطرابلس، وهناك من يرى أن التقرير استعمل فى تقرير آخر عرف بحوليات الأرض المقدسة(٥٢)، Annales de Terre sainte والذى نجده قد امتد حتى عام ١٢٩١ م/ ٦٩٠هـ .

زد على ذلك هناك أيضا الحوليات الأرمينية ، ومنها حولية هيثوم الجريجورس (٥٣) Hethum count of Gorigos ، وقد أشارت إشارات مقتضبة إلى زلزال عام ١٢٠٢ م / ٥٩٨ هـ ، وإن لم تقدم تفاصيل كافة عنه .

ثم هناك الحوليات السريانية ، ونذكر منها الحولية السريانية المجهولة : Anonymous Syriac chronicle .(٥٤) وهى حولية مجهولة المؤلف ، وتناولت أحداث الحملتين الصليبيتين

الأولى ، والثانية وتنتهى بأحداث عام ١١٦٤ م / ٥٦١ هـ ، وقد قدمت إشارات مهمة بالنسبة للزلازل التى أصابت بلاد الشام خلال المرحلة موضوع الدراسة ، ومن مميزات الحولية السريانية المجهولة أنها لا تقتصر على تناول المناطق الصليبية فقط ، بل تتعداها لتشمل المناطق الإسلامية أيضا ، من ذلك أنها تناولت أمر الزلزال الذى أصاب مدينة شيزر عام ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ ، وإن حددت ذلك على اعتبار أنه وقع فى عام ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ ، وهو ما يتعارض مع إجماع المصادر التاريخية ، كذلك تناولت الحولية المذكورة ، أثر تلك الهزات الزلزالية على المدن الشامية الداخلية مثل حماه ، وسلمية .

ومع ذلك فالطابع العام الغالب على إشارات الحولية السريانية المجهولة هو الاختصار ، وعدم تقديم تفاصيل تشفى غليل الباحث عن الزلازل ، خلال تلك المرحلة ، ولا تقارن البتة بما ورد لدى حولية وليم الصورى التى تمتاز بثراء التفصيلات القيمة عن أحداث الزلازل لاسيما ما يتصل بعام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ .

٣ - الرحالة الأوربيون :

وبالإضافة إلى المصادر التاريخية السابقة ، هناك ما ألفه الرحالة الأوربيون الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية خلال المرحلة موضوع الدراسة ، وقدموا تناولا مهما عن الزلازل التى أصابت بلاد الشام حينذاك ، ومن أمثلتهم الرحالة اليهودى الأسبانى بنيامين التطليلى(٥٥) Benjamin of Tudela ، والرحالة الألمانى ثيودريش(٥٦) Theoderich .

وقد قدم الرحالة الأسبانى المذكور فى رحلته إشارتين هامتين عن التأثير التدميرى الذى أحدثته الزلازل فى حماه عام ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ ، وقدم تحديدا معينا لعدد الذين قتلوا من جرائه ، كما تناول ما أحدثته الزلازل فى طرابلس بشمال لبنان فى مرحلة لاحقة ، وذكر أعداد اليهود الذين هلكوا فى فلسطين من جراء تلك الكوارث الطبيعية ، ومع أخذنا بتلك الأرقام ذات طابع المبالغة ، إلا أنها تفيد من حيث أنها تعكس لنا طبيعة الدمار ، والهلاك حينذاك .

أما الرحالة الألمانى ثيودريش ، فقد أشار فى رحلته إلى أن أحد الأديرة فى مملكة بيت المقدس الصليبية قد تهدم من جراء الزلازل التى حلت بالمنطقة ، دون أن يحدد التوقيت الزمنى لحدوث ذلك ، ولما كانت رحلة ذلك الرحالة قد جرت على الأرجح بين عامى ١١٧٠ - ١١٧٣م/ ٥٦٦ - ٥٦٩ هـ (٥٧) ، فلذا من المحتمل أن تكون رحلته مصدرا للزلازل التى

وقعت مباشرة قبل مقدمة ونعنى بها زلزال عام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ ، وبصفة عامة ، تفيد رحلته فى توضيح صور الدمار الذى حل بمناطق الصليبيين ، والذى شمل كذلك العمائر الدينية.

ذلك عرض لأهم المصادر التاريخية الإسلامية ، والصليبية التى ألقت الضوء على الزلازل فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن السادس هـ / الثانى عشر م ، أما تناول تاريخ تلك الزلازل خلال المرحلة المذكورة بصورة مفصلة ونتائجها ، فهذا ما ستختص به الفصول التالية .

الهوامش :

١ - ابن الفرات : هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الفرات الحنفى المصرى ، ولد فى مصر عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م ، وقد انحدر من أسرة مصرية ، رفيعة الشأن ، تولى عدد كبير من أفرادها الوزارة ، وكذلك الوظائف الديوانية ، واشتغل ابن الفرات بالعلم ، والأدب وبدأ حياته العملية بدراسة علوم الحديث ، والفقه ، وتتلمذ على أيدى مجموعة من كبار علماء عصره، منهم على سبيل المثال، أبى بكر الصنهاج ، وبرع في التاريخ فألف كتابه تاريخ الدول والملوك ، وقد توفى ابن الفرات فى شوال عام ٨٠٧ هـ / أبريل عام ١٤٠٥ م .

عن ابن الفرات انظر :

السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ١ ، ط بيروت ب - ت ص ٥١ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٦٣ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٢٥٦، مقدمة تحقيق المجلد الثالث / القسم الأول من مخطوط تاريخ الدول والملوك ، إعداد حمدى أنور السيد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٥٨ م ص ١ ، أحمد الشامى ، « دراسة مخطوط الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات الحنفى » ، الدارة ، العدد (٢) ، السنة (٧) ، المحرم ١٤٠٥ هـ / سبتمبر ١٩٨٤ م ، ص ٦١ ص ٦٢ ، محمد كمال الدين عز الدين ، أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، ط . القاهرة القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ٤٣ - ص ١٠٢ ، الزركلى ، الأعلام ، جـ ٦ ، ط . بيروت ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٠ - ص ٢٠١ .

٢- ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م ٤ / جـ ١ ، تحقيق محمد حسن الشماع ، ط . البصرة ١٩٧٦ م . ص ٩٦ - ص ٩٧ .

وعن الوثيقة المذكورة انظر :

ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ط . بيروت ١٩٨٤ م . ص ٢١٢ - ص ٢١٣ .

٣ - الفتح بن على البندارى ، مؤرخ معاصر للنصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، والربع الأول من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى ، وكان أحد رجالات بلاط الملك المعظم عيسى فى دمشق ، وقد اهتم باختصار مؤلفات العماد الكاتب الأصفهانى ، وقد توفى الفتح بن على البندارى فى عام ٦٢٢ هـ / ١٢٥٢ م .

عنه انظر ، تقديم تحقيق فتحية النبراوى لكتاب سنا البرق الشامى ، إختصار الفتح البندارى لكتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهانى ، ط . القاهرة ١٩٧٩ م .

٤ - الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، ط . القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٨ - ص ٤٩ .

وانظر نص الوثيقة في القسم الخاص بالملاحق .

٥ - العماد الكاتب الأصفهاني ، هو عبد الله محمد بن محمد حامد الأصفهاني ، ولد في عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، في أصفهان ونشأ بها ، وقدم إلى بغداد في سن الشباب حيث تعلم في المدرسة النظامية ، وعاد أدراجه إلى أصفهان ، ثم قدم إلى بغداد مرة أخرى مع والده ، وذهب فيما بعد إلى دمشق ، في عهد الملك العادل نور الدين محمود ، وصار صاحب سره ، وولاه الإشراف على ديوان الإنشاء العربي ، والفارسي للدولة النورية ، وفي عام ٥٧٦ هـ / ١١٧١ م ، سافر إلى بغداد في سفارة دبلوماسية من جانب تلك الدولة ، وتولى التدريس في المدرسة النورية الشافعية ، والتي صارت تعرف بالمدرسة العمادية ، نسبة إليه ، وفيما بعد التحق بالخدمة لدى السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، واحتل لديه مكانة رفيعة ، ويقال أن صلاح الدين كثيرا ما كان يردد أنه انتصر بقلم العماد تعبيرا عن دوره في كتابة الرسائل الديوانية ، والقصائد الحماسية التي تدعو إلى الجهاد ، وللعماد الكاتب الأصفهاني ، العديد من المؤلفات التاريخية مثل تاريخ السلاجقة ، وعنوانه نصرة الفطرة وعصره القطرة في أخبار الدولة السلجوقية ، والبرق الشامي ، والفتح القسي في الفتح القدسي ، وكتاب العتبي والعقبي ، ونحلة الرحلة ، وكتاب خطفه البارق وعطفه الشارق ، وقد توفي العماد في عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

عن العماد الكاتب الأصفهاني انظر :

ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ١٩ . ص ١١ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ ٤ ، ط . القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٥٣٢ ، محمد بهجة الأثري ، « كاتب الدولتين النورية والصلاحية » ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م (٤) . جـ (١) عام ١٩٥٩ م ، ص ١٦ ، نظير حسان سعداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ، ط . القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٩ - ص ٢٨.

٦ - هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ولد في درب الفالوذج ببغداد عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م واتجه إلى طلب العلم ، وبرع في علوم النحو ، وعلم الكلام والطب وساح في العديد من البلدان ، ومن أمثلتها بلاد فارس ، والشام ، ومصر ، وألف العديد من المؤلفات الطبية على نحو خاص ، وبلغت مؤلفاته في المجال الأخير نحو ٥٤ مؤلفا ، ومن تلك المؤلفات مقالة في الراوند ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن سمجون ، وكتاب الكفاية في التشريح ، وكتاب في الرد على ابن الخطيب وشرحه لبعض كليات القانون ، وقد توفي عبد اللطيف البغدادي في عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م .

عن عبد اللطيف البغدادى انظر :

أبن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، جـ ٢ ، ط . القاهرة ، ص ٢٠١ - ص ٢١٣ ، القفطى ، أنباه الرواه ، تحقيق أبو الفضل ، جـ ١ ، ط . القاهرة ١٩٥٢ م ، ص ١٩٣ - ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، جـ ٢ ، ط . القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١٦ - ص ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ، ط . القاهرة ، ص ٢٧٩ ، الأسنوى ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبورى ، جـ ١ ، ط . بغداد ١٣٩٠ هـ ص ٢٧٣ - ص ٢٧٤ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ ٥ ، ط . القاهرة ، ص ١٣٢ ، بول غليونجى ، عبد اللطيف البغدادى ، طبيب القرن السادس ، ط . القاهرة ١٩٨٥ م . ص ١٧ - ص ٢٠ ، محمد توفيق بلبع ، « عبد اللطيف البغدادى ، أضواء جديدة على سيرته ومنهجه التاريخى » ، مجلة عالم الفكر ، م (١٩) ، العدد (٣) ، الكويت ١٩٨٥ م . ص ١١٩ - ص ١٨٠ .

Sarton , An Introduction to the history of science , Vol . II , part II , Washington 1947 , p . 599 .

Brocklemann , Geschicte der Arabichen literature , Vol , leiden 1943 , pp . 632 - 633 .

محمد مؤنس أحمد عوض ، تاريخ الطب العربى ومكانة عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م) فيه ، بحث مقدم لمؤتمر تاريخ العلوم عند العرب ، الرقة ، الجمهورية العربية السورية ، سبتمبر ١٩٩١ ص ١٧ - ص ٣٦ .

٧ - العنوان الأصلى للكتاب هو :

الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٨٣ م .

وانظر الوثيقة المذكورة فى ص ١٠١ .

٨ - نفسه ، نفس المصدر ص ١٠٠ - ص ١٠١ .

٩ - هو أبو يعلى حمزه بن القلانسى ، ولد بدمشق وتلقى علومه بها ، وأحاط إحاطة واسعة بعلوم الفقه والشريعة والتحق بديوان الرسائل ، وتقدم فيه حتى صار مايشبه عميد الديوان ، وبالإضافة إلى ذلك تولى منصبا هاما ، ألا وهو رئيس مدينة دمشق ، ومن الواضح أن كتابه ذيل تاريخ دمشق ، يعد بمثابة الأثر الأدبى الوحيد الى قام بتأليفه - كما يلاحظ هاملتون جب - وقد توفى ابن القلانسى فى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .

عن ابن القلانسى انظر :

ياقوت ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، جـ ٤ ، ط . القاهرة ، ص ١٤٥ ، أبو شامة ، الذيل على الروضتين ط . القاهرة ١٣٦٦ هـ ، ص ١٣٥ ، ابن تغرى بردى ، « المنهل الصافى المستوفى بعد الوافى »،

جـ ١ ، تحقيق نجاتى ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٣٦ ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ط . القاهرة ، ص ٣٣٢ ، لويس شيخو ، « تاريخ دمشق لابن القلانسى » ، المشرق ، عدد (٨) عام ١٩٠٨ م ، ص ٦١٩ ، صلاح الدين المنجد ، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م (٢) ، جـ ١ ، عدد مايو ١٩٥٦ م ، ص ٨٠ ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط . بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٣٤ ، هاملتون جب، تاريخ دمشق ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبى ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ت . يوسف أيبس ، ط بيروت ١٩٧٣م ، ص ٤٠ ، روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ت . صالح العلى ، ط . بيروت ١٩٨٣ ص ٢٠٣ .

١٠ - تحقيق سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٨٣م .

١١ - ابن العديم ، هو كمال الدين ابن العديم الذى ينتمى إلى أسرة حلبية عريقة ، وقد درس العلوم الدينية منذ حداثة عمره ، وبرع فى التاريخ على نحو خاص ، وتعددت مؤلفاته فيه ، وفى غيره من العلوم ، والمعارف ، مثل بغية الطلب فى تاريخ حلب ، ثم اختصاره وهو زبدة الحلب ، وكتاب نفح الطيب فى ذكر الطيبات والطيب ، وكتاب الدرارى فى ذكر الذرارى ، وقد توفى ابن العديم فى عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م.

عن ابن العديم انظر :

ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٥ ، ابن العديم ، الدرارى فى ذكر الذرارى ، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد ، ط . القاهرة ١٩٨٤ م ، ص ٥ ص ١١ ، أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٤ ، ط . إستانبول ، ص ٦٣٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٢٠٨ ، اليافعى ، مرآة الجنان ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ ، اليونينى البعلبكى ، ذيل مرآة الزمان ،جـ ١ ، ط حيدر أباد الدكن ١٩٥٤ م ، ص ٥١٠ ، ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ ٣ ، تحقيق إحسان عباس ، ط . بيروت ١٩٧٣ م ص ١٢٦ - ص ١٢٩ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٠٣ ، كرد على ، « تآليف ابن العديم » ، مجلة المجمع العلمى العربى ، ٣ (١٦) ، ١٩٤١ م ، سامى الدهان ، « بغية الطلب » ، الحوليات الأثرية السورية . م (١) جـ ١ عام ١٩٥١م يوسف نصر الله « ابن العديم ومكملوه » مجلة المسرة رقم (٤١) عام ١٩٥٥م ، راغب طباخ ، « بغية الطلب فى تاريخ حلب » مجلة المجمع العربى ، م (٢٣) ، عام ١٩٤٨م ، عباس عزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط . بغداد ١٩٨٧م . ص ٧٧ - ص ٧٨ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، جـ ٢ ، ط . بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٢٦٣ .

١٢ - الجزء الثانى ، تحقيق سامى الدهان ، ط . دمشق ١٩٥٤ م .

١٣ - ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣٥ .

١٤ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .

١٥ - أبو شامة المقدسي . هو شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان بن أبى بكر محمد المقدسي الشافعي ، ولد فى عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣م ، بمدينة دمشق ، ويلاحظ أن جده انتقل إلى هذه المدينة من بيت المقدس فى ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م ، وهو عام الغزو الصليبى للمدينة المقدسة ، وقد شد أبو شامة الرحال إلى بيت المقدس ، فى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م من أجل طلب العلم على أيدى العلماء من الشيوخ هناك ، كذلك سافر إلى مصر فى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م واشتغل بالتدريس فعمل فى المدرسة الركنية بدمشق ، وفى عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م تولى امر مشيخة الحديث الأشرفية ، الأمر الذى عكس ماتمتع به من مكانه علمية ، واجتماعية متميزة . وقد ألف أبو شامة العديد من المؤلفات مثل الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، والذيل على الروضتين ، والباعث على إنكار البدع والحوادث ، ونزهة المقلتين فى أخبار الدولتين العلائية والجلالية ، مختصر تاريخ دمشق الكبير فى خمسة عشر مجلد ، ومختصر تاريخ دمشق الصغير فى خمسة مجلدات ، وقد توفى أبو شامة فى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م .

عن أبى شامة المقدسى انظر :

ابن كثير ، البداية النهاية ، جـ ١٣ . ط القاهرة ، ص ٢٥٠ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٥ ط . القاهرة ، ص ٦١ ، النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، جـ ١ ، ط . دمشق ١٩٤٨ م ، ص ٢١ ، الصقاعى ، تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبله ، ط . دمشق ص ٩٩ ، ابن طولون ، قرة العيون فى أخبار باب جيرون ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . دمشق ، ١٩٦٤ م ، ص ١٤ ومابعدها ، حسين عاصى ، المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط بيروت ١٩٩١ م ، ص ١١ - ص ٤٤ ، بروكلمان ، المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ١٤ ، أحمد أحمد بدوى ، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ط . القاهرة ب - ت ، ص ٢٧٥ - ص ٢٧٧ ، صلاح الدين المنجد ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط . بيروت ١٩٧٨ م ، ص ١٥ ، « والمؤرخون الدمشقيون وأثارهم المخطوطة » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م (٢) ، جـ (١) مايو ١٩٥٦م ، ص ٩٣ - ص ٩٤ ، عمر الساريس ، نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية ، ط . جدة ١٩٨٥م ، ص ١٥٥ .

Gabrieli , Arab Historians of the crusades,trans . by costello , london 1969 , pp . XXX - XXXI .

Cahen , la Syrie du nord a l'epque des croisades , paris 1940 , p.66. Ahmed , Arabic Historiography during the zengid and Ayyubid period , in Historians of the middle east , Oxford 1962 , pp . 92 - 94 .

١٦ - ابن العديم ، االمصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

١٧ - نفسه ، نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٠ .

١٨ - نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

١٩ - نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

٢٠ - عبد اللطيف البغدادى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ص ١٠٢ .

٢١ - ابن الأثير الجزرى ، هو أبو الحسن على ابن أبى الكرم ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى ، الملقب بعز الدين ، ولد عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، بجزيرة ابن عمر الواقعة على نهر الفرات حيث كان والده يعمل بوظيفة هامة ورحلت أسرته إلى الموصل فى خدمة أمراء البيت الزنكى ، وقد نشأ ابن الأثير نشأة علمية ارستقراطية فى ظل حكمهم ، وأهم مؤلفات ابن الأثير : هى الكامل فى التاريخ ، والتاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، واللباب فى تهذيب الأنساب ، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة ، وتوفى عام ٦٣٠ هـ ./ ١٢٣٨ م .

عن ابن الأثير انظر :

أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البش ، جـ ٤ . ص ٣٨٩ . السبكى ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٢٧، عبد القادر طليمات ، ابن الأثير المؤرخ ، ط . القاهرة ١٩٦٩ م ، فيصل السامر ، ابن الأثير ، ط . بغداد ١٩٨٦م .

٢٢ - سبط بن الجوزى ، هو يوسف بن قزاوغلى (أي ابن البنت) تركى بغدادى ، قام بالترحال إلى دمشق عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م ، وعاش فيها نحو نصف قرن من الزمان ، وكان له اتصال بحكام دمشق ، وملوكها ، وألف عددا من الكتب مثل : منتهى السول فى سيرة الرسول ، وتذكرة الخواص من الأمة فى ذكر مناقب الأئمة ، وكتاب مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، وقد توفى عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م .

عن سبط بن الجوزى انظر :

ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ ، النعيمى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٧٨ ، ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ ٤ ، تحقيق إحسان عباس ، ط . بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٣٥٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ص ١٩٤ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ ، مسفر بن سالم الغامدى ، مقدمة تحقيق مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ ١ ، ط . مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٩ - ص ٥٦ .

٢٣ - المقريزى ، هو تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر ، ولد فى القاهرة عام ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م ، ويقال أن جده كان أصله من بعلبك بلبنان ، ووصف بأنه كان من كبار المحدثين بها ، وقد ذهب ولده على إلى

القاهرة ، وولى فيها بعض الوظائف فى مجال القضاء ، وكذلك فى ديوان الإنشاء ، ورزق فى القاهرة بابنه احمد ، وقد وصف المقريزى بأنه شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، نظرا لغزارة انتاجه فى مجال الكتابة عن مصر حتى العصر المملوكى . ومن مؤلفاته ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، والمقفى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، التبر المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، وقد توفى المقريزى عام ٨٤٥ هـ/١٤٤١م .

عن المقريزى انظر :

مصطفى زيادة ، تاريخ حياة المقريزى ، ضمن كتاب دراسات عن المقريزى ، ط القاهرة ١٩٧١ م ص ص ١٣ - ص ٢٠ ، محمد عبد الله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ، مصادر التاريخ المصرى ط . القاهرة ١٩٦٩ م ص ٨٧ - ص ١٠٤ .

٢٤ - ابن قاضى شهبة ، هو محمد أبى بكر احمد بدر الدين قاضى شهبة الدمشقى ، مؤلف كتاب الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، وقد توفى عام ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م ، ويلاحظ أن هناك مؤرخا آخر يحمل نفس الكنية ، وهو أبو بكر بن احمد بن محمد محمد تقى الدين الأسدى بن قاضى شهبة ، ومن مؤلفاته ، الإعلام بتاريخ أهل الإسلام ، وذيل تاريخ الإسلام ، وطبقات الشافعية ، والمنتقى من تاريخ ابن عساكر ، وقد توفى فى عام ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م .

عن ابن قاضى شهبة انظر :

صلاح الدين المنجد ، المؤرخون الدمشقيون ، وآثارهم المخطوطة ، ص ١٢٤ - ص ١٢٩ ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ص ٢٥٢ - ص ٢٥٣ ، يوسف درويش غوانمه ، التاريخ السياسى لشرق الأردن فى العصر المملوكى ، المماليك البحرية ، ط . عمان ١٩٨٢ م ص ١٧٠ .

٢٥ - السيوطى ، هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى جلال الدين أبو الفضل ، ولد عام ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م ، نشأ بالقاهرة ، وتلقى علومه الدينية بها ، وارتحل إلى الإسكندرية ، ودمياط ، وكذلك إلى الحرمين الشرفين ، وتعلم على أيدى شيوخ العلم وتولى أمر التدريس والإفتاء ، وقد ألف العديد من المؤلفات ، منها الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، والإتقان فى علوم القرآن ، ولباب المنقول فى أسباب النزول ، وتناسق الدرر فى تناسب السور ، وطبقات المفسرين ، والجامع الكبير والجامع الصغير ، والحاوى فى الفتاوى ، والمزهر فى اللغة ، وجزيل المواهب فى اختلاف المذاهب ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، وقد توفى السيوطى فى عام ٩١١ هـ / ١٥٠٨ م .

عن السيوطى ومؤلفاته انظر :

السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جـ ١ ، ط . القاهرة ب . ت ، ص ١٨٨ ، مجموعة من الباحثين جلال الدين السيوطى ، ط . القاهرة ١٩٧٨ م ، عدنان محمد سلمان ، السيوطى النحوى ، ط .

بغداد ١٩٧٦ م ، ص ٦١ - ص ١١١٩ . محمد جلال ابو الفتوح ، جلال الدين السيوطى ، منهجه وآراؤه الكلامية ، ط . بيروت ١٩٨١ م ص ١١ - ص ٢٥ ، أحمد الخازندار ، ومحمد ابراهيم الشيبانى ، دليل مخطوطات السيوطى وأماكن وجودها ، ط . الكويت ١٩٨٣ م ، ص ٧ - ص ٢٥ ، محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ط . القاهرة ، ص ٥٧ ، محمد عبد المنعم خاطر ، جلال الدين السيوطى ، ط . القاهرة ١٩٦٨ م .

٢٦ - عدة طبعات .

٢٧ - تحقيق عبد القادر طليمات ، ط . القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٨ - المجلد الثامن / القسم الأول . ط . حيدر آباد الدكن ١٩٥١ م .

٢٩ - الجزء الأول / القسم الأول ، تحقيق محمد حلمى أحمد ط . القاهرة ١٩٦٢م .

٣٠ - تحقيق الكوثرى ، ط . القاهرة ١٣٦٦ هـ ، ط . بيروت ١٩٧٤ م .

٣١ - ابن أبى طئ ، هو يحيى بن أبى طئ ، النجار الغسانى الحلبى ، ولد فى عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠م كان والده رئيس إحدى النقابات فى مدينة حلب ، وأحد الزعامات الشعبية فيها ، وقد عارض السلطان الملك العادل نور الدين محمود معارضة أدت إلى إبعاده عن حلب فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، كذلك تم نفيه إلى حران فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، وألف مايزيد على العشر مؤلفات منها كنز الموحدين فى سيرة صلاح الدين، وكتاب معادن الذهب فى تاريخ حلب وذيله ، وكتاب سيرة ملوك حلب ، وكتاب سلك النظام فى تاريخ الشام ، وكتاب تاريخ مصر ، وكتاب مختصر تاريخ المغرب ، وهناك من يقرر أن أسلوب ابن أبى طئ يتسم بطابع الاختصار والمباشرة عند معالجة الموضوع ، وهو يشبه أسلوب القاضى بهاء الدين بن شداد صاحب كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

عن ابن أبى طئ انظر :

ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ ٤ ، تحقيق إحسان عباس ، ط . بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٦٩ - ص ٢٧٠ .

Cahen , op . cit ., p.57, " Une chronique chiite au temps des croisades " comptes rendus de l' academie des inscrptions et belles lettres , paris 1935 , pp . 258 - 269 .

نظر حسان سعداوى ، المرجع السابق ، ص ٣ - ص ٦ ، حسين عاصي ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ - ص ١٧٥ ، أحمد أحمد بدوى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، جـ ١ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٥٥٥ ، حاشية (١) .

٣٢ - الجزء الثالث ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط . القاهرة ١٩٧٣ م .

٣٣ - تحقيق محمود زايد ، ط . بيروت ١٩٧١ م .

٣٤ - تجدر الإشارة إلى أن رسالة كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة قد طبعت فى الهند مرتين ، إحداهما ضمن تسع رسائل للسيوطى ، أما المرة الثانية ،، فكانت ضمن رسائل عشر أيضا ، بيد أن الطبعتين ناقصتان من آخرهما ، فالأولى طبع منها خمس صفحات فقط ، أما الثانية فقد طبع منها ثمان عشرة صفحة ، وتنتهى بذكر زلازل عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٩ م كذلك فقد طبعت فى المغرب بتحقيق قام به عبد اللطيف السعدنى ، وصدر عمله فى الرباط عام ١٩٧١ م ، وصدرت للرسالة المذكورة ترجمة فرنسية قام بها سعيد النجار فى الرباط أيضا وذلك فى عام ١٩٧٤ م .

ويلاحظ أننى استعنت بتحقيق آخر قام به عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوانى الصادر فى المدينة المنورة عام ١٤٠٤ هـ ، ومن بعد ذلك قام محمد كمال الدين عز الدين باعادة تحقيق كشف الصلصلة مع دراسة ضافية عن السيوطى ، وصدر عمله فى بيروت عام ١٩٨٧ م .

وقد استعنت بالتحقيقين الأخيرين ، وأشرت إليهما فى موضعهما من البحث .

عن تحقيق رسالة كشف الصلصلة انظر :

تقديم تحقيق عبد الرحمن الفريوائى ، ط . المدينة المنورة ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢ - ص ١٣ ، محمد مطيع الحافظ ، نصوص غير منشورة عن الزلازل من سنة ٩١٤ وحتى ١١٢٤ هـ / ١٥٠٨ - ١٧١٢ م .

B . E.O., T.xxx11 - xxx111, Annee 1980 - 1981 , p 264 , note (1)

٣٥ - السيوطى ، كشف الصلصلة ، ص ٩٨ .

٣٦ - نفسه ، ص ١٠١ .

٣٧ - نفسه ، ص ١٠٥ .

٣٨ - نفسه ، ص ٩٤ .

٣٩ - نفسه ، ص ٩٧٠ .

٤٠ - نفسه ، ص ١١١ .

٤١ - ابن عساكر ، هو أبو القاسم على بن الحسن هبة الله ولد بدمشق فى عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م وتلقى علومه الدينية بها ، وارتحل إلى بغداد حيث درس فى المدرسة النظامية ، ومن بعد ذلك طاف فى العديد من المدن ، والأقاليم طلبا للعلم مثل خراسان ، ومرو ، والكوفة ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبلاد الشام ، ومصر ، وبلغ عدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضعة وثمانين إمرأة ، وعاد إلى

الشام فصار من كبار فقهاء الشافعية ، وأمضى بعد ذلك فى دمشق أربعين عاما ، عاكفا على التدريس والتأليف . وأما مؤلفاته فهى متعددة منها : تاريخ مدينة دمشق ووقع فى ثمانين مجلد كل مجلد عشرة أجزاء . فهو - كما يقرر صلاح الدين المنجد - أعظم تاريخ ألف فى تراثنا العربى عن بلدة من البلدان ، ويعد مصدرا لتاريخ رجال الشام أجمعه لا دمشق وحدها ، ثم له كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ، وأربعين حديثا فى الجهاد ، وكتاب المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى ، وفضائل مقام ابراهيم ، وقد توفى ابن عساكر فى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م .

عن ابن عساكر ومصادر ومراجع ترجمته انظر :

ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ١٣ - ص ٨٧ ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٧٧ ، العماد الحنبلى ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، مجموعة من الباحثين ، المؤتمر الدولى عن ابن عساكر ، ط . دمشق ١٩٧٧ ، أحمد رمضان ، « المسجد الأموى بدمشق بين الحقيقة والأسطورة كما جاء فى تاريخ ابن عساكر » ، الدارة : ، العدد (٤) ، السنة (٥) عام ١٩٨٠ م ص ٩٣ - ص ١١٤ ، صلاح الدين المنجد ، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، ط بيروت ١٩٦٠ م ، ص ٨٨ - ص ١٥٧ ، مار جليوس ، المؤرخون العرب ، ت . حسين نصار ، ط . بيروت ب . ت . ، ص ١٦٦ ، كرد على ، الشاميون والتاريخ ، مجلة المجمع العلمى بدمشق م (١٧) جـ ٣ ، جـ ٤ ص ٩٩ - ص ١٠٠ .

Elisseeff , La Description de damas d.Ibn Asakir , damas 1959 , pp XV11- XXV111.

٤٢ - السيوطى ، كشف الصلصلة ، ص ٧٢ .

٤٣ - أسامة بن منقذ ، ولد أسامة بن منقذ فى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م فى شيزر ، وهى التى وقعت على بعد أربعة وعشرين ك . م باتجاه الشمال من حماه ، وكان من حق مرشد ، والد أسامة أن يقوم بتولى حكم إمارة بنى منقذ ، غير أنه عشق نسخ القرآن الكريم والصيد فتنازل عنها لأخيه ، واتجهت همة الأمير سلطان إلى أسامة لخلفه ، بيد أنه عندما رزق ولدا ذكرا . بدأ يتحول عن أسامة ، فرأى الأخير أن يغادر شيزر، وحياة أسامة تمثل لنا الفروسية العربية الإسلامية أفضل تمثيل ، وقد زار بيت المقدس وحج إلى الحرمين الشريفين ، وتنتقل بين العديد من المدن الإسلامية ، واتصل بالملك العادل نور الدين محمود ، وصاحب الخليفة الفاطمى الحافظ ، كما اتصل بعدد من الأمراء الصليبيين مثل بوهيمند وتانكرد ، والف عددا من المؤلفات مثل كتاب الاعتبار ، ولباب الألباب ، وديوان شعر ، وكتاب العصا ، والمنازل والديار ، والقلاع والحصون ، ومختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وتوفى أسامة عام ٥٨٤ هـ ./ ١١٨٨ م .

عن أسامة بن منقذ أنظر :

ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٣ ، ص ٣٧٠ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ - ص ٢٤٥ ، العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ ، أحمد بدوى ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ط . القاهرة ب - ت ، ص ١٧١ - ص ١٨٨ ، عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ط . دمشق ١٩٨٠ م ، ص ٣٠٧ ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ط . بيروت ١٩٨٦م ص ٨٦ - ص ٨٨ - شوقي ضيف ، الرحلات ، ط . القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٥٦ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٦ . ت السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ، ط . القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٢٢ ، أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ط . جدة ب - ت ، ص ٢٥١ - ص ٢٥٢ .

٤٤ - ابن الفرات ، المصدر السابق ص ٩٧ .

٤٥ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ ، السيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٤٠ .

٤٦ - عن هذه الوثيقة ، انظر نصها اللاتيني لدى روهرشت وهانز ماير :

Ruhricht , Regesta Regni Hierosolymitana , Innsbruk 1892 , no . 689 Mayer , two unpublished letters on the syrian earthquakes of 1202 , In Medieval and Near Eastern studies , the Hanna of Aziz Surial Atiya, ed . by Sami Hanna , Leiden 1972 .

٤٧ - Mayer , op . cit ., p . 308 - 309 .

٤٨ - Mayer , op . cit ,. p . 309 - 310 .

٤٩ - وليم الصورى ، william of tyre هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر م ، ولد في بيت المقدس في عام ١١٢٧ م ، وينبغي أن نفرق بين أثنين من الأشخاص يحملان نفس الاسم ، الأول وليم الصورى ، وهو إنجليزى قح ، وشغل وظيفة حارس القبر المقدس The Holy sepulchre ، ويلاحظ أن وليم الصورى مؤلف التاريخ المشهور ، وهو المعروف بتاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر ، وهو باللاتينية . Historia rerum impartibus Transmarinis gestarrum.

كان على معرفة بالرجل الإنجليزي الذى حمل نفس اسمه ، وقد أورد ذكره في كتابه ، وقد أظهر وليم الصورى المؤرخ منذ نعومة أظافره حبا للعلم ، والتحصيل ، ، ومن المتصور أنه التحق ببعض المدارس التي كانت ملحقة بالأديرة ، والكنائس وكان البعض منها بقصر الملك ، وقد أظهر ولعا كبيرا بالفقه المسيحي على نحو جذب إليه أنظار العديد من رجال الكنيسة ، وقد وصل في تدرجه إلى وظيفة رئيس أساقفة صور Tyre وأجاد وليم الصورى عدة لغات مثل اللاتينية ، واليونانية ، والعربية ، وأفاده ذلك في إثراء كتابته

التاريخية ، وصار متصلا بالملك الصليبى عمورى الأول Amaury I (١١٦٣ - ١١٧٤م / ٥٥٨ - ٥٧٠هـ) ، وخاصة بعد أن عاد وليم من الغرب الأوربى حيث درس هناك خلال المرحلة من ١١٤٢ إلى ١١٦٢م / ٥٣٧ - ٥٥٧ هـ ، وقد دعاه ذلك الملك الصليبى إلى تأليف تاريخه السالف الذكر . كما أن له كتابا آخر بعنوان أعمال أمراء الشرق . غير أنه يعد مفقودا ، ويلاحظ أن تاريخ الأعمال قد اختتمه وليم الصورى بمرحلة واقعه فيما قبل معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ ، وبصفة عامة يعد أسلوب ذلك المؤرخ وكتابته التاريخية مرحلة متقدمة من مراحل الكتابة التاريخية الأوربية فى العصور الوسطى ، ونجد أنه أحيانا امتدح القيادات الإسلامية مثل نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى ، ووجه النقد أحيانا أخرى للقيادات السياسية الصليبية ، ومن زاوية أخرى ، حرص على أن يقدم تأصيلا جغرافيا للمواقع التاريخية التى وردت فى تاريخه ، واتسم تاريخه بثراء التفاصيل ، وعمق التحليل ، ويبقى أن نذكر أن وليم الصورى قد توقع سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية من قبل أن يحدث ذلك عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ ، ومن المعروف أنه قد مات حوالى عام ١١٨٥م / ٥٨١ هـ ويقال إنه مات مسموما .

عن وليم الصورى انظر :

Krey,, "William of Tyre, the making of an Historian in the middle ages", Speculum, Vol . XVI, 1941 , 1P. 149 . 166 .

Robert Crawford, "William of Tyre and the Maronites", Speculum, vol. XXX, 1955, pp . 222 - 228 .

Ralph Davis, " William of Tyre" , in Relations between East and West in the Middle ages , ed . Derck Baker , Edinburgh 1971 , pp . 64 - 75 .

David Vissey , "William of Tyre and the art of Historiogrraphy " , Med. Stud . , XXXV , 1973 , pp . 433 - 455 .

Peter Edbury and John Rowe, " William of Tyre and the patriarrchal Election of 1180", Eng . Hist.Rev., XCII, 1979 , pp.1-25 .

Peter Edbury , " William of Tyre , AHistorian of the crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130 - 1148) , B.F.A.A.U. , 1988,pp.43-52 .

عمر كمال توفيق ، " المؤرخ وليم الصورى " ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، م (٢١) ، عام ١٩٦٧م ، ص ١٨١ - ص ٢٠٠ ، تقديم حسن حبشى للترجمة العربية لتاريخ وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ت . حسن حبشى ، ط . القاهرة ١٩١ م ، ص ١٠ - ص ٤٠ ، سر الختم عثمان ، مدينة صور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م ، ص ٣٣٩ - ص ٣٤٠ ، سمايلى ، المؤرخون فى العصور الوسطى ، ت . قاسم عبده قاسم ،

ط . القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ١٨٦ – ص ١٨٧ ، جمال الدين الشيال ، التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ، ط . بيروت ب – ت ، ص ٧٠ – ص ٧٤ .

٥٠ - William of Tyre , A History of deeds done beyond the sea , trans . By Bebcock and Krey , New york 1943 .

٥١ - Les Gestes des Chiprois , R.H.C., Doc . Arm . T.I ,

٥٢ - Annales de Terre Saonte ed . par Raymond et . Ruhricht , A . O . L . , T . II , paris 1884 .

٥٣ - Hethum count of Gorigos , Table chronologique, R.H.C.,Doc . Arm., T.I .

٥٤ - Anonymous Syriac chronisle , the first and second crusade , trans . By Tritton , J.R.A.S.,1933 .

٥٥ - بنيامين التطليلى Benjamin of Tudela هو الربى بنيامسن Benjamin ، ووالده يدعى يونا Jonah . وقد إرتحل إلى الشرق من مدينة طليطلة Tudela وقام بالتجوال فى مناطق جنوب فرنسا . وايطاليا ، واليونان ، ومصر ، والشام ، وغيرها من البلاد ، ثم عاد أدراجه إلى أسبانيا فى عام ١١٧٣م/٥٦٩هـ ، ويقال أنه خلال ما يقرب من خمسة عشر عاما زار ما يقرب من ثلاثمائة موضع فى مختلف بقاع العالم المعمورة حينذاك ، وقد اهتم فى رحلاته بعرض أوضاع اليهود فى مختلف البقاع التى زارها ، ونشاطهم الاقتصادى لاسيما التجارى على نحو خاص ، ويعد أشهر الرحالة اليهود فى العصور الوسطى بصفة عامة ، عنه وعن رحلته انظر :

The Univ . ncy., " Benjamin of Tudela" , Vol. II, New York 1969 . p p.180 .
Ency . Judeca , " Benjamin of Tudela" , Vol . IV , Jerusalem 1973, pp . 535 - 538 .
Wright , Early Travels in palestine, London 1848 , p . 63 .
Roth , Ashort History of Jewish people , London 1953 , p.16 .
Tobler , Bibliographia Geographia palestinae , Leipzeg 1867 . p . 17 .
Ruhricht , Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Helilgen lands Bezuglichen literatur , Von 333 Bis 1878 , pp 37 - 38 .
Mayer , Biliographie zur Geschichte der Kreuzzuge , Hannover 1965 , p . 65 .
Asher , the Itinereary of Rabbi Benjamin of Tudela , Vol . I , London 1840 , Pp . 1-26 .

محمد مؤنس أحمد عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ – ١١٨٧ م) ، ط . القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٦٠ – ص ١٦٨ .

وقد أفدت من الترجمة العربية لرحلة بنيامسن التطيلى والتى قام بها عزرا حداد وصدرت فى بغداد فى عام ١٩٤٣ م .

٥٦ - ثيودريش Theoderich ، رحالة ألمانى قام بالحج إلى الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ، ولا نملك معلومات مؤكدة عنه باستثناء اسمه - كما أدرك أوبرى ستيوارت Aubrey Stewart الذى قام بترجمة رحلته إلى الانجليزية - ومن المحتمل أنه قد ورد اسمه لدى مقدمة رسالة يوحنا الورزبرجى John of Wurzueg الإنجيلية Introductionary Epostle ، ولكن لا يوجد دليل مؤكد يدعم صحة ذلك ، ومن المحتمل كما هو وارد فى مقدمة يوحنا الورزبرجي السابقة الذكر أنه ثيودريش الذى عمل أسقفا لورزبرج ، ويلاحظ الباحثون أن وصفه لكنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre ، وعقده المقارنة بينها وبين كنيسة إكس لاشابيل Aix la Chaplle يدل على أنه أكثر التردد على تلك البلاد . ومن المرجع أنه قام برحلته إلى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية حوالى المرحلة من عام ١١٧١ إلى ١١٧٣ م / ٥٦٧ إلى ٥٦٩ هـ .

عن ثيودريش ورحلته انظر :

Tobler Op . cit . , p . 18 .

Wright , the Geographical lore of the time of the crusades , a study in The History of Medieval sience and tradition iIn Western Europe , New york 1965 .

وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية التى قام بها ستيوارت عن ذلك انظر :

Theoderich , Theodrich's Description of the Holy places , trans . by Aubrey Stewart , p.p.t.s., vol . V, London 1896 .

٥٧ - عن ذلك انظر :

محمد مؤنس أحمد عوض ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ص ١٨١ .

الفصل الأول

طبيعة الزلازل وأحداثها فى بلاد
الشام فى النصف الأول من
القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى

طبيعة الزلازل وأحداثها فى بلادالشام

النصف الأول من

القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى

يتناول هذا الفصل بالدراسة طبيعة الزلازل وأسباب حدوثها ، وذلك من أجل أن نتمكن من دراسة نشاطها ، وفعاليتها فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، لكى يكون ذلك بمثابة مقدمة للتعرض لأحداثها خلال النصف الثانى من ذلك القرن ، ويتم التعرض لإسهام العلماء المسلمين فى العصور الوسطى الذى اهتموا بعلوم الأرض ، وبحثوا فى الزلازل ، وفق إمكانياتهم ، وتصورات عصرهم ، ثم من بعد ذلك يتصدى الفصل لتناول الزلازل فى بلاد الشام خلال المرحلة المذكورة .

والواقع أن الزلزلة فى اللغة العربية تعنى تحريك الشئ ، وهناك أيضا تعبير رجفت الأرض، إذا تحركت بشدة وعنف [١] ، وقد ورد لفظ الزلزلة بأشكال ، وصور مختلفة فى القرآن الكريم، فهناك « زلزلت » ، و « زلزالها » ، كما فى سورة الزلزلة [٢] ، وتعبير « زلزالا » كما فى سورة الأحزاب [٣] ، وكذلك « زلزلوا » على نحو ما نجده فى سورة البقرة [٤]، وأيضا «الزلزلة » كما نجده فى سورة الحج [٥].

أما بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة ، فقد وردت تعبيرات الزلزلة بأشكال مختلفة ، وبلغ عددها نحو ثلاث عشر مرة [٦] وذلك وفق ما يقرره البعض .

والزلازل Earthquakes , Tremblement de Terre ، عبارة عن هزات سريعة متلاحقة ، وقصيرة المدى تتعرض لها القشرة الأرضية ، وذلك فى خلال فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية [٧] ، وتحدث الزلازل كنتيجة لحركات القشرة الأرضية ويتبعها احتكاك الأجسام الصخرية التى يتكون منها الغلاف الخارجي ، ومثل هذا الإحتكاك يؤدى إلى حدوث هزات تسير فى صورة موجات ، وتبدأ الموجات الزلزالية فى المعتاد فى شكل هزات خفيفة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجى [٨].

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الجيولوجية ، والسيسمولوجية Seismology قد أثبتت أن قشرة الأرض كانت تعاني بصفة مستمرة - على امتداد عمر الأرض الطويل - من الهزات الزلزالية (٩).

وهناك من يقرر حدوث بعض الظواهر ، والدلائل قبل حدوث تلك الزلازل ، ومن أمثلتها اضطرابات جوية ، أو عواصف تحدث فى أعقابها موجة من الركود ثم سقوط أمطار غزيرة فى فترات غير مألوفة ، أو فى أماكن لم تعهد سقوطها ، كذلك إحمرار قرص الشمس ، وزيادة الكلف الشمسى ، بالإضافة إلى إزدياد حجم الأبخرة فى الجو إلى حد كبير ، كذلك خروج غازات كبريتية من بعض أجزاء التربة الطينية ، وقد أشار بعض العلماء إلى أنه فى بعض الأحيان تهاجر الطيور قبل حدوث الزلازل من موطنها الأصلى إلى بقاع أخرى ، وأحيانا يمكن توقعها من خلال الحركات العصبية للحيوانات مثل الكلاب ، والقطط قبيل حدوثها (١٠). وينبغى أن نلاحظ أن هناك عدة أنواع من الزلازل مثل الزلازل البلوطونية (١١)plutonic Earthquakes ، ومراكز حدوثها فى المعتاد تكون فى الأعماق البعيدة من باطن الأرض ، أما النوع الثانى ، فهو الزلزل التكتونية (١٢) Teutonic Earthquaks ، وهو نوع يحدث على حين فجأة فى المناطق التى توجد بها انكسارات فى القشرة الأرضية ، ويعد هذا النوع فى تقدير الباحثين من أكثر أنواع الزلازل شيوعا ، أما النوع الثالث ، فهو ما يعرف بالزلازل البركانية Volcanic Earthquakes ، ويحدث كنتيجة للهزات الناتجة عن النشاط البركانى(١٣) ، وخروج الحمم Lava من فوهات البراكين .

وجدير بالذكر ، فيما يتصل بالمدة الزمنية التى تستغرقها الزلازل ، أنها تختلف من منطقة لأخرى ، فأحيانا تمكث أسبوعا ، ومنها من يمكث شهرا كاملا أو عدة أشهر ، ومنها ما يستمر عدة سنوات ، وقد تكون دورية بمعني أن تحدث الزلزلة كل عام ، وأحيانا تمكث يوما ، أو ساعة أو أقل من ذلك (١٤)، ومعنى ذلك أن مدد حدوث الزلازل متباينة ، فقد تكون طويلة ، وقد تكون قصيرة .

من زاوية أخرى ، نجد أن عالم الزلازل ريختر Richter قد وضع مقياسا لقياسها نسب إليه وعرف بمقياس ريختر Richter Magnitude ، من أجل معرفة درجة التأثير الذى تحدثه الزلازل ، ويبدأ من رقم (١) حتى رقم (١٢) ويمكن أن يتضح من خلال القائمة التالية :

القوة	درجة الاهتزاز	مظاهر التأثير
١	بالغة الضعف	لايحس بها سوى آلات التسجيل الزلزالية ، ويعرف زلزال قياس الزلازل باسم سيسموجراف Seismograph .
٢	ضعيفة جدا	لا يشعر بها سوى سكان الطوابق العليا من المبانى .
٣	ضعيفة	لا يحس بها سوى عدد قليل من الأفراد.
٤	متوسطة	يحس بها معظم الناس فى المبانى ، وبعض سكان الأدوار الأرضية ، وهى لا تثير الخوف فى النفس .
٥	محسوسة	يشعر بها كل من فى المنازل ، وبعض من فى خارجها ، وتوقظ النائمين ، وتثير الخوف عند بعض الناس .
٦	قوية	يشعر بها كل من فى داخل المبانى ، ويندفع كثير منهم إلى الشوارع فزعين ، وتسقط الأشياء من على الرفوف فى المنازل ، وتحدث شروخا في طلاء الجدران ، وينجم عنها تلف طفيف فى المنازل الصغيرة .

القوة	درجة الاهتزاز	مظاهر التأثير
٧	عنيفة	تثير الخوف ، والرعب ويشعر بها من في المنازل ، وكذلك من بخارجها ، ويندفع الناس على إثرها إلى الشوارع في رعب ، وتحدث بعض الأضرار لكثير من المباني .
٨	مخربة	تثير الرعب ، وتحدث أضرارا متوسطة للمباني وتخريب بعض المنازل ، ولا ينجم عنها خسائر في الأرواح ، ولكنها تسبب الأذى لبعض الناس .
٩	مدمرة	تتحطم بعض المباني بصورة كلية ، وكثير منها يصاب بتخريب شديد ، ويلقى قليل من الناس مصرعهم بتأثير تلك الزلزلة.
١٠	شديدة التدمير	تتحطم كثير من المباني بصورة كاملة، كما يصرع العديد من الناس .
١١	بالغة التدمير	تتحطم المباني الحجرية عن آخرها ، وتلتوى العمد الحديدية ، وتتحطم بفعلها السدود ، والقناطر .
١٢	شاذة التدمير ، ومفجعة	تتحطم جميع المباني بدون استثناء ، وتنشق الأرض .

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا الجدول [١٥] يعد من أهم ما لدينا من معلومات تصنيفية للزلازل ، وسوف يفيدنا - بالضرورة - عند تحديد تلك الزلازل التى منيت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة موضوع الدراسة .

ومن الضرورى أن نتناول جهود العلماء المسلمين الذين عنوا بدراسة علوم الأرض ، جهودهم فى مجال الزلازل ، والبحث فى طبيعتها وعوامل قيامها .

وفى هذا المجال ، نجد أن الهمذانى (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٠ م) أشار إلى طبيعة الزلازل ، وعوامل قيامها ، وقد ذكر أنه " إذا ما عملت حرارة الشمس فى رطوبات الأرض ، وحللتها ارتفع منها ألوان البخارات لأنه يرتفع من كل بر ، وبحر ، وأرض ، وجسم من الأجسام ، فيظهر بعضها ، ويبطن البعض الآخر ، فيكون فيما ظهر من تلك البخارات - وكان رطبا ثقيلا - المطر فى أوقاته وما تكاثف منها الضباب ، والغمام ، ومما كان حارا يابسا الرياح ، ويكون مما بطن من الأرض من تلك البخارات ، والجواهر المعدنية على قدر قوى تلك الأرضية بعد أن يظهر من تلك البخارات حتى يصير إلى أجزاء سطح الأرض ، فان لم يجد ما تلطف وما غلظ من تلك البخارات العميقة مخرجا ، ولا منفسا ، اضطربت الأرض ، وتحركت لذلك فكان منها الزلزلة فى جانبها الذى وقع فيه التأثير " [١٦]. ويحاول الهمذانى أن يشبه الزلزلة بما يعترى الإنسان عندما يصاب ببرد شديد ، على نحو يؤدى إلى الاختلاج ، والارتعاش على حد قوله [١٧] .

ويضاف إلى ذلك ، هناك إسهام إخوان الصفا فى مجال دراسة الزلازل ، وقد ظهرت هذه المدرسة فى القرن (٤ الهجرى / ١٠ الميلادى) ، ومما ذكروه فى هذا المجال ، أن الكهوف ، والمغارات ، والأهوية التى فى جوف الأرض ، والجبال ، إذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، بقيت تلك المياه محبوسة مدة من الزمن ، وإذا حمى باطن الأرض ، وجوف تلك الجبال سخنت تلك المياه ولطفت ، وتحللت ، وصارت بخارا ، وارتفعت ، وطلت مكانا أوسع ، فان تلك المنافذ وإن كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصينا ، منعها من أن تخرج ، وبقيت محتبسة تخرج من تلك الأهوية من أجل طلب الخروج ، وربما انشقت الأرض فى موضع منها ، وخرجت تلك الرياح فجأة ، وانخسف مكانها ، ويسمع لها دوى ، وزلزلة [١٨].

ويبدو أن الهمذانى ، وإخوان الصفا قد شكلا أهم المصادر التى تناولت الزلازل بالبحث خلال تلك المرحلة .

وبالإضافة إلى ذلك لا نغفل ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) ، الذى أشار إلى أن الزلزلة ، هى عبارة عن حركة لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ولا محالة أن ذلك السبب، يعرض له أن يتحرك ثم يقوم بتحريك ما فوقه . والجسم الذى يمكن أن يتحرك تحت الأرض ويحرك الأرض إما حسم بخارى دخانى قوى الاندفاع كالريح ، وإما جسم مائي سيال ، وإما جسم هوائى ، وإما جسم نارى ، وإما جسم أرضى [١٩].

ونجد أن هناك عالما مسلما آخر أدلى بدلوه فى أمر الزلازل ، وامتاز بأسلوب علمى دقيق ، ونعنى به القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٧ م) ، إذ أورد لنا إشارة مهمة تفيد بأن الأدخنة ، والأبخرة الكثيرة إذا ما تجمعت تحت الأرض لا يقاومها برودة ، حتى تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ، ويكون وجه الأرض صلبا لا يكون فيه منافذ ، ومسام ، فالبخارات إذا قصدت الصعود ، ولم تجد المسام ، والمنافذ اللازمة للخروج ، اهتزت منها بقاع الأرض ، واضطربت [٢٠].

وهكذا ، فان العلماء المسلمين فى العصور الوسطى ممن اهتموا بالظواهر الجغرافية ساهموا بأفكارهم ، وتصوراتهم بشأن الزلازل ، وأسباب وقوعها ، وإن اتفقوا على أن الغازات ، والأبخرة المحتبسة تحت سطح الأرض ، إذا لم تجد طريقا لها للخروج اندفعت محدثة الاضطراب ، والزلزلة وإن اختلفت أشكال تعبيرهم عن تلك الظاهرة الطبيعية العنيفة ، والمدمرة .

ومن جهة أخرى ، أطلق العلماء المسلمون فى العصور الوسطى الذين عنوا بدراسة ظاهرة الزلازل عدة تعبيرات لتعنى الأنواع المختلفة من الهزات الزلزالية ، فهناك الرعشية ، وهى عبارة عن الزلازل الاختلاجية العرضية ، ثم هناك أيضا المرجفة ، أو الرجفية ، وهى الهزة الأرضية التى يتمثل منها أن الأرض تقذف إلى فوق أو ما يمكن أن يطلق عليها بالزلزلة الرأسية ، وبالإضافة إلى ذلك نجد السلمية ، وهى التى تحرك الأرض حركتين رأسية ، وأفقية[٢١] .

والواقع أنه في عصرنا الحالى نجد أن العلماء الذين درسوا تلك الظاهرة الجغرافية قد قسموا أنواع الهزات الزلزالية إلى ثلاثة أنواع وهى الطولية والعمودية والسطحية ، أما الهزات الطولية ، أو ما يطلق عليه Longitudinal Vibrations ، وتعد أسرع الهزات فى الوصول إلى سطح الأرض ، وتنتقل فى أوساط القشرة الأرضية الصلبة ، والسائلة ، وكذلك الغازية .

أما الهزات العمودية ، أو العرضية والتى يطلق عليها Transverse ، فهى أبطأ من النوع الأول من حيث السرعة ، ويتم انتقالها فى أوساط القشرة الأرضية الصلبة ، وذلك بفعل هزها لجزيئات المواد في اتجاه يتعامد مع اتجاه حركتها ، ومن سمات ذلك النوع من الهزات الزلزالية، أنه لا ينتقل فى الأوساط السائلة ، والغازية .

وهناك الاهتزازات السطحية Surface ، وهى تشبه الاهتزازت العمودية ، ولكنها تتميز بفترة اهتزاز أطول ، وهى أكثر ضررا على المنشآت من الأنواع الأخرى من الاهتزازات [٢٢].

ومن الضرورى ملاحظة أن منطقة بلاد الشام مثلت منذ القدم مركزا لانتشار الهزات الزلزالية ، ويمكن إدراك ذلك من خلال معرفة أن تلك المنطقة على نحو خاص ، اعتبرت ضمن نطاق الأخدود الأفريقى العظيم ، الذى عد من نقاط تركز نشاط الزلازل على المستوى العالمى[٢٣] .

وقد امتد ذلك النطاق من شرق أفريقيا إلى الحبشة والبحر الأحمر ، ثم خليج العقبة ، والبحر الميت ، ثم إلى أخدود نهر الأردن ، الذى يحتوى بدوره على شقوق أرضية متعددة ، ويمتد إلى مناطق فى سوريا ، ولبنان ، وهناك من يقرر أن هذا الإمتداد يعد منطقة مركزية للزلازل [٢٤] ، وأنها وإن بدت من المناطق المستقرة بصفة عامة ، إلا أنها تتعرض بعنف لزلزالين أو ثلاثة من النوع العنيف كل قرن من الزمان .

زد على ذلك ، أن بلاد الشام كانت تقع كمنطقة متوسطة بين امتداد الأخدود الإفريقى العظيم ، والمنطقة الجنوبية الشرقية للكتلة القارية التركية ، ومنطقة جبال زاجروس ، فى بلاد فارس [٢٥] ، والمنطقتين الأخيرتين من أكثر المناطق ذات التركيز فى النشاط الزلزالى علي المستوى العالمى .

وقد شهدت بلادالشام ، وقوع العديد من الهزات الزلزالية المدمرة خلال مرحلة الحروب الصليبية على مدى القرنين السادس ، والسابع الهجريين / الثانى عشر ، والثالث عشر الميلاديين ، وحتى فى خلال المرحلة السابقة ، ومن أمثلة زلازل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وهو القرن الذى فى أخرياته تعرضت المنطقة للغزو الصليبى ، نذكر ما وقع فى عام ٤٢٥ هـ/ ١٠٣٣م[٢٦] ، وكذلك عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م [٢٧].

أما زلزال عام ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م ، فقد أمكن تحديده بدقة من خلال وثائق عبرية أرسلها أصحابها من مدينتى الرملة ، وبيت المقدس ، وهكذا فمن الممكن تحديد وقت وقوعه بيوم ١٥ محرم ٤٢٥ هـ / ٥ ديسمبر ١٠٣٣ م (٢٨).

واعتمادا على رسالة أرسلها أصحابها من مدينة الرملة أمكن رسم صورة صادقة تعبر عن ذلك الزلزال ، وما أحدثه من دمار إذ خرج الناس من منازلهم إلى الشوارع ، وذلك عندما شاهدوا تداعى الجدران ، والسقوف ، والأبنية الجديدة تتساقط ، والناس يلقون حتفهم لأنهم لم يجدوا سبيلا للفرار ، وقد تركوا كل ما غنموه من حطام الدنيا خلف ظهورهم ، وامتد الخراب ليشمل الرملة ، وبانياس ، ونابلس ، وطبرية ، وبيت المقدس ، ووفقا لنفس الوثيقة ، فان المعاصرين الذين نجوا من ذلك الزلزال ، رأوا الجبال ترتعش ، وتتراقص كالحملان ، وصخورها تتفجر ، ومياه الآبار تغيض (٢٩).

ووفقا للمصادر التاريخية الإسلامية ، فان الرملة أضير ثلثها ، وأصيب جامعها ، وأن أهلها أقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، وقد تملكهم الرعب من هول ما شاهدوه وسقطت نصف عمائر نابلس ، كما أن هناك قرية عرفت بقرية البادان خسفت ، وساخت فى الأرض ، وتكرر نفس المصير بالنسبة للعديد من القرى الأخرى (٣٠).

أما بالنسبة لزلزال عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م ، فقد دمر قسما من أسوار مدينة بيت المقدس، وقد أمر الفاطميون فى مصر بإعادة تعمير ما تهدم من جرائه وشارك المسيحيون فى هذا العمل خاصة فى الحى الخاص بهم ، وطلبوا مساعدة الإمبراطورية البيزنطية نظرا لتزايد الاعتمادات المالية اللازمة لذلك الأمر (٣١) ، ومعنى هذا أنه خلال القرن السابق على مقدم الصليبيين إلى المنطقة ، ونعنى به القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وقعت عدة هزات زلزالية مدمرة ، تركت آثارها التدميرية على عدد من المدن الشامية ، وقد ألقت عليها الضوء الوثائق العبرية ، وكذلك المصادر التاريخية العربية .

ومن جهة أخرى ، فقد شهدت بلاد الشام وقوع العديد من الهزات الزلزالية المدمرة خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادي ، وقد كانت بمثابة أول عهد للغزاه الصليبيين بزلازل المنطقة التى قدموا إليها مستعمرين ، وتركت تلك الزلازل أثرها فى إلحاق الضرر فى بعض الأحيان بالمناطق الإسلامية ، والصليبية ، وتعد وبحق مدخلا لتناول الهزات الزلزالية التى وقعت فى النصف الثانى من القرن المذكور .

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى حدوث عدة هزات زلزالية عنيفة خلال أعوام محددة ، ومن أمثلة ذلك ما حدث في أعوام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م [٣٢] ، ٥١٠ هـ / ١١١٧ م [٣٣] ، ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م [٣٤] ، ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م [٣٥] ، ٥٣٤ هـ / ١١٤٠م [٣٦].

والواقع أننا نعانى من قلة الإشارات التاريخية عن تلك الزلازل على نحو لا نستطيع معه أن نجعل لكل زلزال مميزات خاصة تميزه عن غيره ، ويبدو أنها لم تكن مصحوبة بدمار كبير مما جعل المؤرخين لا يشيرون إليها بصورة مفصلة ، وإنما باقتضاب عدا بعض الاستثناءات المحدودة وخير دليل على ذلك المؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى Fulcher de Chartres [٣٧] الذى أغفل بعض الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وذكر البعض الآخر دون تفصيلات وافية ، وهكذا فان القاسم المشترك الأعظم بين كافة تلك الهزات الزلزالية خلال نصف القرن المذكور ، محدودية تأثيرها - على ما يبدو - بصفة عامة ، وقلة الإشارات عنها بالتالى .

وعلى الرغم من ذلك ، فان المصادر التاريخية تشير بوضوح إلى زلزالين مهمين ، خاصة خلال عامى ٥٠٨ هـ / ١١١٤م ، ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ، ومن الممكن أن نتناول الهزات الزلزالية للعامين المذكورين من أجل أخذهما مثالا واضحا دالا على زلازل تلك المرحلة .

ومن الملاحظ أننا نملك صورة مقتضبة عن زلزال عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م ، وفعاليته خاصة خلال المناطق الصليبية ، ونعرف أنه فى يوم ١٠ أغسطس ١١١٤م[٣٨] ، وقع زلزال مدمر أثر فى المناطق الصليبية ، وقد تصادف ذلك اليوم الاحتفال بعيد القديس لورنس St. Lawrence [٣٩] ونظرا لكثرة أعداد الصليبيين الذين يقدمون إلى المنطقة من أجل الاحتفال بعيد ذلك القديس ، وكذلك الذين وفدوا على المنطقة لمشاركة إخوانهم فى الاحتفال من الحجاج القادمين فى الأصل إلى الأماكن المقدسة لدى عناصر المسيحيين ، فمن الضرورى تزايد أعداد القتلى فى صفوف الصليبيين من جراء ذلك الزلزال ، من خلال كثرة أعدادهم وتركزهم فى مناطق معينة للاحتفال بذلك العيد .

وفى أحداث ذلك الزلزال ، وقعت هزة زلزالية مدمرة فى أنطاكية Antioch ووفق ما يقرره فوشيه الشارترى ، فانها دمرت مدنا عديدة بكاملها أو جزءا منها ، واشتملت على المنازل ، والحوائط ، وإن كثيرا من الناس دفنوا تحت الأنقاض [٤٠].

ويقرر نفس المؤرخ أن تلك الهزة قدمت من مرعش Marach ، والتى أعتقد أنها على بعد نحو ستة عشر ميلا من أنطاكية ، ودمرت مدينة أخرى مثل ترياليس Trualeth (لعلها بالس) ، وهى بالقرب من نهر الفرات [٤١]، ومعنى إشارة ذلك المؤرخ الصليبى أن تلك الهزة قدمت من مرعش أنها وفدت من آسيا الصغرى إلى بلاد الشام ، وربما كانت تلك المنطقة هى نقطة التركز الزلزالى فى ذلك الحين .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه هى أبكر الإشارات المصدرية الصليبية عن تأثر مدينة أنطاكية بالهزات الزلزالية فى عصر الحروب الصليبية ، مع ملاحظة أن تلك المدينة ستنال الجانب الأوفر من الدمار فى المرحلة التالية من جراء الزلازل التى أصابت بلاد الشام حينذاك .

ولا نزاع فى أن الإشارات التى قدمها فوشيه الشارترى عن الزلزال الذى وقع عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م - على الرغم من اقتضابها - أفادت فى توضيح حجم العنف ، والدمار الذى نجم عن الهزات الزلزالية التى وقعت فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، في وقت كان الصليبيين فيه فى أمس الحاجة من أجل إدخار إمكاناتهم ؛ من أجل تأسيس كيانهم الدخيل فى المنطقة ولا سيما على المستوى البشرى ، حيث عانى الصليبيون من عدم وجود دعم بشرى مستقر يدعم وجودهم فى بلاد الشام ، أضف إلى ذلك أن ذلك الزلزال ، كان أول عهد لهم بالزلازل هناك ، مما أثار رعبهم الشديد على ما هو متوقع .

وعلى الرغم من ذلك ، فان زلزال عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م ، كان أكثر حظا من حيث الإشارات المصدرية عنه ، على نحو ميزه عن زلزال عام ٥٠٨ هـ / ١١٤م ، ومن الجلى البين أنه كان أكثر تدميرا منه .

ويبدو أن زلزال عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ / ١١٣٩ م - على نحو خاص - كان مروعا ، وتميز عن غيره من الهزات الزلزالية التى أصيبت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة ، بدليل أننا نجد أن المصادر التاريخية على حين قل تناولها للزلازل الأخرى ، إلا أنها عندما تذكر زلزال ذلك العام ، نجد أنها تفصل صور الدمار الذى نجم عنه ، وتعطيه أهمية خاصة على نحو عكس تميزه عن غيره خلال تلك المرحلة .

ومن المقرر أن زلزال ذلك العام قد شمل امتدادا متسعا من بلاد الشام من دمشق إلى حلب، ومن الممكن ملاحظة فعالياته من خلال أحد المعاصرين ، ونعرف من خلاله أنه وقع فى اليوم الرابع من شهر صفر عام ٥٣٣ هـ [٤٢]/ ١١ أكتوبر ١١٣٨م ، وأن العديد من الهزات حدثت بعد ، الظهر،وأثناء الليل [٤٣]، وتكرر الأمر يوم ٢١ شوال[٤٤] /٢١/؟ يوليو ١١٣٩م.

وقد اشتد أثر ذلك الزلزال خاصة خلال شهر صفر - السالف الذكر - فى شمال الشام ، وبالتحديد فى حلب ذات الكثافة السكانية المرتفعة نسبيا بالمقارنة بغيرها من الحواضر الشامية الأخرى فى شمال الشام ، والمزدهرة تجاريا ، وقد تهدمت العديد من المنازل ، وغادر الحلبيون منازلهم مذعورين[٤٥] فرارا من الموت المحدق بهم ، ولجأوا إلى الصحراء ، كذلك فان قلعة المدينة أصيبت هى الأخرى بالاضطراب ، وعندما تشير المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن قلعة المدينة ، - وهى المحصنة تحصينا قويا - قد أصابها الاضطراب [٤٦]، فان المنطق يدعونا إلى تصور أن حجم الخسائر كان كبيرا بالنسبة لمنازل عامة السكان البسطاء ؛ الذين شيدت منازلهم من أبسط مواد البناء ، وأقلها تكلفة ، وقد قررت المصادر بالفعل أنه " انهدم فى حلب الكثير من الدور " [٤٧].

ويبدو من خلال عنف ذلك الزلزال أن عدد الهزات الزلزالية خلاله بلغ ثمانين[٤٨] ، وقدره البعض الآخر بأنه بلغ المائة [٤٩] ، مع ملاحظة أن ذلك الرقم لا يمكن التثبت منه أو تأكيده ، وربما سادته روح المبالغة ، ومع ذلك من الممكن تصور حدوث توابع متعددة للزلزال المذكور .

أما الخسائر البشرية ، فمن الملاحظ أن مؤرخى تواريخ المدن الشامية ، مثل ابن القلانسى ، وكذلك ابن العديم ، لا يشيران إلى حدوث قتلى من جراء ذلك الزلزال .

والواقع أننا عند دراستنا لزلزال عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ينبغى أن نلاحظ أن ما حدث خلال شهر شوال من نفس العام ، من الجلى البين أن تأثيره كان محدودا ، ولا أدل على ذلك من لغة المصادر ذاتها ، فقد وصف بالقول " جاءت رجفة هائلة ارتاعت لها القلوب ، ورجفت بها الصدور " [٥٠]، ومن ناحية أخرى ، من الممكن القول بأن زلزال شهر صفر ، يعد من الدرجة السابعة ، أو الثامنة ؛ وفق مقياس ريختر لقياس الزلازل ، أما زلزال شوال فقد تكون درجته هى الخامسة ، على ما هو محتمل .

والجدير بالذكر ، أنه على الرغم مما لدينا من إشارات مصدرية عربية عما حدث فى المناطق الإسلامية من جراء ذلك الزلزال ، إلا أننا لا نعرف شيئا عن تأثيرات زلزال ذلك العام فى المناطق الصليبية ، نظرا لصمت المصادر التاريخية من جانب المؤرخين الصليبيين عن تلك الأحداث ، ومن المتصور أن الصليبيين شعروا بها نظرا لمجاورة مناطق نفوذهم المناطق المسلمة ، ومن زاوية أخرى ، من المنطقى تصور أنها لم تحدث تأثيرا مدمرا فى مبانيهم ، أو خسائر بشرية فى صفوفهم ، إذ فى حالة حدوث الخسائر لأشار إليها المؤرخون الصليبيون بالتفصيل ، بيد أن الصمت يعكس انعدام الخسائر أو ضآلتها .

أيا كان الأمر ، فان زلزال عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ - ١١٣٩ م يعد من أعنف الزلازل التى منيت بها بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .

مجمل القول ، إن بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، تعرضت لعدد من الهزات الزلزالية أثرت بصورة أو بأخرى فى المناطق الإسلامية ، وكذلك المناطق الصليبية ، أما تلك الزلازل التى وقعت فى النصف الثانى من ذلك القرن ، فسوف نخصص لها الفصول التالية ، .نبدأها بمرحلة النشاط الزلزالى من ٥٥١ - ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٩ م .

الهوامش :

١ - ابن منظور ، لسان العرب ، إعداد يوسف خياط ، جـ ١ ط . بيروت ب - ت ، ص ١١٣٢ ، عبد الله العلايلي ، الصحاح في اللغة والعلوم ، جـ ١ ، إعداد نديم وأسامة مرعشلي ، ط . بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٥٤٠ .

٢ - { إذا زلزلت الأرض زلزالها } سورة الزلزلة ، رقم (٩٩) ، آية (١) .

٣ - { زلزالا شديدا } سورة الأحزاب ، رقم (٣٣) ، آية (١١) .

٤ - { مسهم البأساء والضراء وزلزلوا } سورة البقرة ، رقم (٢) ، آية (١١) .

٥ - { يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم } سورة الحج ، رقم (٢٢) ، آية (١) .

أيضا : العماوي ، « الحوقلة في الزلزلة » ، نشر مصطفى أنور،B.E.O. , T.XXVII, 1974 ، ص ٦١ .

محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ط . القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٤٢١ .

٦ - ونستك ومنسنج ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ط . القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٤٢١ .

٧ - عن تعريف الزلازل كظاهرة جغرافية انظر :

محمد علي المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط . القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٩ ، فردريك بو ، البراكين والزلازل ، ت . الدمرداش سرحان ، ط . القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٩٨ ، علي عبد العظيم تعيلب ، الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان ، ط . القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٦ ، حسن أبو العينين ، كوكب الأرض ، ظواهره التضاريسية الكبرى ، ط . بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٢٣٦ ، محمد صفي الدين ، جيمورفولوجية قشرة الأرض ، ط . بيروت ١٩٧١ م ، ص ٣٥٠ - ص ٣٥١ ، صلاح الدين بحيري ، أشكال الأرض ، ط . دمشق ١٩٧٩ م ، ص ٣٤٨ ، عبد العزيز شرف ، الجغرافية الطبيعية ، أشكال السطح ، ط . الرياض ١٩٨٥ م ، ص ٢٢٠ ، محمد متولي ، وجه الأرض ، ط . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٦٦ ، يحيى أنور ، الجيولوجيا العامة ، ط . الاسكندرية ١٩٧٥ م ، ص ٢٤٧ ، عبد الله بن حسن النصر ، الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة خلال التاريخ الهجري ، ط . الرياض ١٩٩٢ م ص ٢٢ ، صلاح عبد العزيز وسعيد قدري وخليل فوزي ، الموسوعة الجغرافية ، ط . القاهرة ١٩٣٨م ، ص ٧٨ ، طه عبد العليم رضوان ، في الجغرافية العامة ، ط . القاهرة ١٩٨٤ م ، ص ٢٦٧ ،

Strahler , physical Geography , torento 1975 , 493 , *study* Guide for elements of physical geography , torento 1979 , 136 .

lange , ivanova , lebedeva , general geology , Moscow N.D., P 230 - 231 .

Stiegeler , A Dictionary of earth sciences , London 1976 , p . 95 .

Flintand skinner , physical Geology , New york 1974 , 329 .

٨ - سهل السنوى ، مقدمة فى الزلازل ، ط . بغداد ١٩٨٥ م ، ص ١ - ص ٢ .

عمر الحكيم ، تمهيد فى علم الجغرافيا ، الكتاب الأول ، ط . دمشق ١٩٦٥ م ، ص ٣٤٣ - ص ٣٥٣ ، يوسف فايد ، جغرافية السطح ، ط . بيروت ١٩٧٤ م ص ٧٣ ، عبد النبى نكرى ، جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون ، جـ ٢ ، ط . بيروت ١٩٧٥ ص ١٢٥ ، روبرت فوستر ، الجولوجيا العامة ، ت . عبد القادر عابد وشاكر رسمى وسعد حسن باشا ، ط . عمان ١٩٨٠ م ، ص ٤٠٠ - ص ٤٠١ جودة حسنين جودة ، وأبو عيانة ، قواعد الجغرافية العامة ، الطبيعية والبشرية ، ط . بيروت ١٩٨٦ م ، ص ١٠٣ .

٩ - جودة حسنين جودة ، معالم سطح الأرض ، ط . الإسكندرية ١٩٨٣ م ، ص ١٦٠ .

١٠ - محمد محمود محمدين ، " الزلازل والبراكين فى جزيرة العرب وتراثهم " ، الدارة ، العدد (١١) ، السنة (١٤) ، شوال ١٤٠٨ هـ / مايو ١٩٨٨ م ، ص ٥٠ . أحمد المهندس ، " توقع الزلازل والتحكم فيها" ، القافلة ، عدد شوال ١٤٠٩ هـ مايو - يونيو ١٩٨٩ م ص ٢٦ .

١١ - محمد صفى الدين ، جيومورفولوجية قشرة الأرض ، ط . بيروت ١٩٧١ م ، ص ٣٥١ .

١٢ - جوده حسنين جوده وأبو عيانة ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، عادل عوض ، الزلازل ، مأساة هزت العالم ، خطر الزلازل على البيئة ، ط . بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ٤٠ .

١٣ - يوسف فايد ، المرجع السابق ، ص ٧٣ ، جوده حسنين جوده وأبو عيانة ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، عادل عوض ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وعن أنواع الزلازل انظر :

Longa , Ivanova , lebedeva , . p . 231 , Ency . Brit " Earthquakes " , vol . xIII , chicago 1987 , p . 611 - 612 , chamb . Ency " Earthquakes" , vol . IV , London 1973 , p.728

يسرى الجوهرى ، أسس الجغرافية العامة ، الطبيعية والبشرية ، ط . الإسكندرية ١٩٨٢ م ، ص ١١٨ .

١٤ - محمد محمود محمدين ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

١٥ - عن ذلك الجدول أنظر :

الموسوعة الحديثة ، الجولوجيا ، جـ ٥ ، ط . سويسرا ١٩٨٩م ، ص ٥٢ - ص ٥٣ ، إبراهيم نصيرات ،

ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم ، ط . عمان ١٩٨١م ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٢٩ ، جودة حسنين جودة ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، محمد الشرقاوى ، الزلازل وتوابعها ، ط . القاهرة ١٩٢ م ، ص ٣٠ - ص ٣١ .

وعن قياس الزلازل انظر :

polyakov , Dsign of Earthquake , resistant structures (Basic theory of seismec stability) , trans . From the Russian by Alexander B . kuynelsov , Moscow 985 , Bolt , Earthquakes , Aprimer , san Framcisco 1978 , pp . 87 - 96 , Holmes , principles of physical geolagy London 1965 , p . 911 , levin , contemporary physical geology , chicago 1985 , p . 255 . Ency . Amer , "Earthquakes " , vol . IX , New york q980 , p 569.

حامد محمود ضوامطه ، " استخدام الطاقة الشمسية فى المحطات النائية لرصد الزلازل " ، الندوة الثالثة لأقسام الجغرافية لجامعات المملكة العربية السعودية ، من ١٧ إلى ١٩ رجب ١٤٠٧ هـ / ١٧ - ١٩ مارس ١٩٨٧ م ص ١ - ص ٦ ، معالى عبد الحميد حموده « الزلازل ، تسجيلها وقياس قوتها » ، القافلة ، العدد (١) ، م (٤٠) ، المحرم ١٤١٢ هـ ، ص ٢٧ - ص ٢٨ ، رايس ووكر ، الزلازل ، ت ، محمد فهيم محمود ، المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان ، ط . القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٧٠ .

١٦ - الهمذانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء ، إعداد حمد الجاسر ، ط . الرياض ١٩٨٧ م ، ص ٧٢ .

والهمذانى : محمد أبو محمد الحسن ابن أحمد بن يعقوب الهمذانى المشهور باسم ابن الحائك ، وقد نشأ فى أسرة متوسطة الحال كانت تهتم بأمر الحجيج من اليمن ، وأكثر الهمذانى من الأسفار خارج اليمن مما أعطاه فرصة سانحة من أجل مجالسة العلماء فى العديد من المدن ، والأقطار ، والإفادة منهم ، وقد تعرض للسجن فى عهد الإمام الزيدى أحمد الناصر ٣١٥ هـ - ٩٢١ م ، وألف الهمذانى عدد من المؤلفات منها : الأكليل ، وسرائر الحكمة ، وكتاب القوى فى الطب ، وكتاب زيج الهمذانى ، وكتاب صفة جزيرة العرب ، وكتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء ، وكتاب فى الأنساب ، وكتاب المسالك والممالك وقد توفى الهمذانى فى عام ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م .

عن الهمذانى ومؤلفاته انظر :

الهمذانى ، الإكليل ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط . بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٨ - ص ٢٤ ، *القفطى* ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ط . بيروت ب - ت ، ص ١١٣ ، زغلول النجار وعلى عبد الله الدفاع ، إسهام علماء المسلمن الأوائل فى تطور علوم الأرض ، ط . الرياض ١٩٨٨م ، ص ٢٩٦ - ص ٣٠٤ .

١٧ - الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

١٨ - رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا ، م ٢ ، ط . بيروت ١٩٥٧ م ، ص ٩٧ . وإخوان الصفا ، مثلوا جمعية علمية فلسفية تعنى بجميع فروع المعرفة في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وبدأت نشاطها فى البصرة التى غدت مركزها الرئيسى بينما جعلت لها فروعا فى بغداد ، وتجدر الإشارة إلى أن إخوان الصفا لم يفصحوا عن شخصياتهم ، وإنما اتخذوا الطريق السرى من أجل نشر أفكارهم ، ويرجح أنهم من العناصر الشيعية الإسماعيلية ، وقد انتقلت رسائلهم الموسوعية إلى الأندلس عن طريق كل من أبى الحكم الكرمانى ، ومسلمة بن أحمد المجريطى القرطبى (ت ٣٩٨ هـ - ١٠٠٨ م) ، اللذين قضيا مدة قصيرة بالمشرق الإسلامى ، وهناك فى الأندلس درست تلك الرسائل للإفادة منها .

عن إخوان الصفا انظر :

أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح وشرح أحمد أمين ، وأحمد الزين ، جـ ٢ ، ط . القاهرة ١٩٤٢م ، ص ٥ ، زغلول النجار ، وعلى عبد الله الدفاع ، المرجع السابق ، ص ٣٢٥ - ص ٣٤٠ ، أبو السعود الفخرانى ، البحث اللغوى عند إخوان الصفا ، ط . القاهرة ١٩٩١ م ، ص ١٠ ، ص ١٩ .

١٩ - ابن سينا ، الشفاء والمعادن والآثار العلوية ، تحقيق عبد الحليم منتصر وآخرون ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ١٥ محمد الصادق عفيفى ، تطور الفكر العلمى عند المسلمين ، ط . القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٢٦٤ ، على السكرى (الجيولوجيا عند العرب) ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، جـ (١) ، ط . بيروت ١٩٨٦ م . ص ٤٤ ، عدنان حمودى ، " علم الزلازل عند ابن سينا " ، رسالة الخليج العربى ، العدد (١٠) ، السنة (٣) عام ١٩٨٣م ، ص ٦٧ ، على عبد الله الدفاع ، المناحى العلمية عند ابن سينا ، ط . الطائف ١٩٨٧م ، ص ٣٣ .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن سينا له رأى مهم بشأن تكون الجبال ، وقد ذكر أن منها ما يتكون كنتيجة للحركات الأرضية كتلك التى تسبب الزلازل ، عن ذلك انظر :

ابن سينا ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، طه جاد وعبد الله الغنيم ، " أسس البحث الجيمورفولوجى " ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد (٢) ، فبراير ١٩٧٩م ، ص ١٥ ، على عبد الوهاب شاهين ، بحوث فى الجيمورفولوجيا ، ط . الإسكندرية ب - ت ، ص ٧٠ ، على عبد الله الدفاع وجلال شوقى ، أعلام الفيزياء فى الإسلام ، ط . بيروت ١٩٨٤ م ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، عدنان حمودى ، " تطور الفكر الجيمورفولوجى فى العصر الإسلامى الوسيط (القرن الخامس هـ وما بعده) " ، رسالة الخليج العربى ، العدد (١٨) ، (٦) ، عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

وابن سينا : هو أبو على الحسين ابن عبد الله ابن سينا ، كان والده من بلخ ووالدته من بخارى ، وقد حفظ القرآن وأجاد اللغة العربية وهو فى العاشرة من عمره ، ودرس الشريعة ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية ، والمنطق ، والطب ، والهندسة ، ويعد ابن سينا وبحق بمثابة موسوعة علمية كبيرة ، إذ برع فى العديد من العلوم والمعارف ، وألف العديد من المؤلفات ، ومن أمثلتها : كتاب القانون فى الطب ، وكتاب الشفاء ، وكتاب المجموع ، وكتاب الموسيقى ، وكتاب النهاية واللانهاية ، ورسالة فى القضاء والقدر ، وكتاب الموسيقى ، وكتاب الحدود ، ومقالة فى النبض ، ومقالة فى مخارج الحروف ، ومقالة فى القوى الطبيعية ، قد توفى ابن سينا فى عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م .

عن ابن سينا ومؤلفاته :

ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، ط . بيروت ١٩٦٥م ، ص ٤٣٧ - ص ٤٥٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ . ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٧ ، على عبد الله الدفاع ، أعلام العرب والمسلمين فى الطب ، ط . بيروت ١٩٨٣ م ، ص ١٣٨ - ص ١٥٧ .

Brockelmann , Geschichte der Aeabischen literature , vol . Ip . 458 - 458 .

Cammpbell , Arab Medicine , Vol . I , p.77 .

٢٠ - القزوينى ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ط . بيروت ١٩٧٨م ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، على عبد الله الدفاع ، " علوم الكون فى الإسلام " ، القزوينى ، الدارة ، عدد (٣) السنة (٧) ، ربيع ثان ١٤٠٢ هـ / فبراير ١٩٨٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ط . دمشق ، ١٩٨٠م ، ص ٤٩ .

والقزوينى : هو زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ، ولد فى عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤م ، فى بلدة قزوين التى تقع فى شمال إيران ، ومن هنا جاء لقبه بالقزوينى ، وقد إنحدر من أسرة عربية أصيلة ، قامت بالإستيطان فى العراق العجمى منذ أمد بعيد ، وقد قصد القزوينى بلاد الشام ، ودرس على أيدى العديد من العلماء فى دمشق ، وشغل منصب القضاء فى مدينتى واسط ، والحلة فى العراق ، وذلك فى عهد الخليفة المستعصم الذى يعد آخر الخلفاء العباسيين ، ونعرف أن القزوينى قد ألف كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، وكذلك كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، وقد توفى القزوينى عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

عن القزوينى انظر :

ابن القوطى ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ، ط . بغداد ١٣٥١ هـ ، ص ١٢٨ - ص ١٣٠ ، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ، جـ ٤ / ق ٢ ، تحقيق مصطفى جواد ، ط . دمشق ١٩٦٧م ، ص ٣٢٥ - ص ٣٢٦ ، محمد محمود محمدين ، الجغرافية والجغرافيون بين الزمان والمكان ، ط . الرياض ١٩٨٣ م ، ص ١٦٦ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ص ٢١ ، نفيس أحمد ، الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى ، ت . فتحى عثمان ، ط . الكويت ١٩٧٨م ، ص ١٠٨ - ص ١٠٩ ، عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، ط . القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٤٧ ، محمد بن أحمد العقيلى ، " جهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط " ، الدارة ، العدد (٢) ، السنة (٥) ، المحرم ١٤٠٠ هـ / ديسمبر ١٩٧٩ م ، ص ١٦٩ ، محمد مؤنس أحمد عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٥ م ، ص ١١٣ - ص ١٢٤ .

٢١ - ابن سينا ، المصدر السابق ، ص ١٩ ، محمد محمود محمدين ، الزلازل والبراكين ، ص ٤٩ .

٢٢ - أيوب عيسى أبو ديه ، " الزلازل " ، الفيصل ، العدد (١٩٠) ، ربيع الثانى ١٤١٣ هـ / أكتوبر ١٩٩٢ م ، ص ٨١ .

٢٣ - طه عبد العليم رضوان ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

٢٤ - ويلاحظ أن الأخدود الإفريقى African rift valley ، يعد أكبر أخدود عازل بين القارات inter-continental graben ، وقد نشأ من جراء تمدد شرق القارة الإفريقية من خلال تكدس التيارات المتصاعدة فى البحر الأحمر ، ثم تبع ذلك تمزق القارة على نحو أدى إلى نشوء البحر الأحمر ، ويتخذ ذلك الأخدود إمتدادا طوليا من الشمال إلى الجنوب ، وهو يمثل نقطة ضعف كبيرة فى القشرة الأرضية ويبدأ من وادى البقاع فى لبنان بين جبال الأنصارية فى الغرب وجبال لبنان الداخلية فى الشرق ثم يتجه الأخدود جنوبا ليظهر فى فلسطين فى جنوب بحيرة طبرية ثم يتجه إلى غور الأردن ، والبحر الميت ، ووادى عربة ثم يسير إلى خليج العقبة ، والبحر الأحمر ، ثم عدن حتى هضبة أثيوبيا ، ومنها إلى وسط كينيا ، وتنجانيقا حتى ملاوى .

عن الأخدود الأفريقى العظيم انظر :

محمد صبرى سليم ، الظاهرات الجيمورفولوجية الرئيسية ، دراسة تحليلية ، ط . القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٢٧ - ص ٢٩ ، يسرى الجوهرى ، الوطن العربى ، دراسة فى الجغرافية التاريخية والإقليمية ، ط . الإسكندرية ١٩٧٩م ، ص ١٩٨ ، فيليب رفلة وأحمد مصطفى ، جغرافية الوطن العربى ، ط . القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٢ ، صلاح الشامى ومحمد الصقار ، جغرافية الوطن العربى الكبير ، ط . الاسكندرية ١٩٧٥ م ، ص ١٣٢ - ص ١٥٦ ، محمد سامى عسل ، الجغرافية الطبيعية ، ط . القاهرة ١٩٧٣ م ، ص

١٦٠ ، عبد المنعم بلبع ، الأرض والإنسان فى الوطن العربى ط . القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ٣٥ - ٣٦ على موسى ومحمد الحماوى ، جغرافية القارات ، ط . دمشق ١٩٨٢ م ، ص ٣٧٦ ، جودة حسنين جودة وأبو عيانة ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، سويترتون ، الأرض من تحتنا ، ت . محمد يوسف حسن وفتح الله معوض ، ط . القاهرة ب - ت ، ص ٥٥ ، فتحى أبو عيانة ، جغرافية أفريقية ، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء ، ط . بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٨٢ - ص ٨٤ ، ص ٤٥٥ .

٢٥ - فاروق الباز وميشيل حلوانى ، " البحر المتوسط نشأته وتاريخ تطوره " ، ت . محمد فكرى أنور ، مجلة الفيصل ، العدد (١٤٨) ، السنة (١٣) ، مايو - يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٢٤ .

٢٦ - عن ذلك الزلزال بالتفصيل انظر :

ناصر خسرو ، سفر نامه ، رحلة ناصر خسرو القبادياني ، ت . أحمد خالد البدلى ، ط . الرياض ١٩٨٣ م ، ص ٥١ ، بنيامين التطليلى ، الرحلة ، ص ٨٨ ، حاشية (٣) ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ٤٣٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٦ ، السيوطى كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، ط . بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٧٧ ، . Mann , the Jews in Egypt and in palestine under the Fatimids , Oxford 1922 , p . 176 - 178 .

٢٧ - Peawer , " The Settlement of the Latins in Jerusalem " , Speculum , vol . XXVII , p . 491 .

٢٨ - Ibid , p . 491 , note (2) .

٢٩ - انظر ترجمة الرسالة التى أوردها عزرا حداد فى تعليقه على رحلة بنيامين التطليلى ، ص ٨٨ ، حاشية (٣) .

٣٠ - السيوطى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، ومع ذلك يقرر ، ناصر خسرو فى رحلته أنه لم توجد هناك خسائر بشرية من جرائه على نحو يجعل المرء يعارض ذلك التصور خاصة مع الإشارات الأخرى التى وردت فى المصادر التاريخية التى تناولت ذلك الزلزال ، وذكرت اختفاء قرى بكاملها ، انظر إشارته : ناصر خسرو ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

٣١ - Prawer , The settlement , p . 491 .

٣٢ - Fulcher of chatres , p . 210 .

العظيمى ، تاريخه ، ص ٣٢ ، ابن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ ٩ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ ، ص ١٨ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ق ١ / جـ ٨ ، ص ١٦٨ ، ابن الأثير ، المصدر

السابق ، جـ ١٠ ، ص ٥٠٨ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٧٨ ، ويلاحظ أن سبط بن الجوزى وابن كثير أشارا إلى الزلزال المذكور من حيث آثاره فى منطقة الجزيرة ، وأغفلا تناول بلاد الشام وما حل بها من صنوف التدمير .

عن زلزال ذلك العام انظر :

ابن الحنبلى الحلبى ، الزبد والطرب فى تاريخ حلب ، تحقيق محمد التونجى ، ط . الكويت ١٩٨٨م ، ص ٣٢ ، سميل ، الحروب الصليبية ، ت . سامى هاشم ، ط . بيروت ١٩٨٢ م ، ص ١٤٩ ، الياهو أشتور ، التاريخ الإقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ت . عبد الهادى أبو عبلة ، ط . دمشق ١٩٨٥م ، ص ٢٨١ .

Archer and Kingsford , The Crusades , the story of the Latin Kingdom of Jerusalem , London 1894 , p . 151 .

٣٣ - Ruhricht , Geschichte des Konigeichs Jerusalem , Innsbruch 1898 , P . 118 .

٣٤ - العظيمى ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

٣٥ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥٤ ، الأصفهانى ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان B.E.O.,T.VII, Annees 1937 - 1938 ، ص ١٢٤ .

سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ط . القاهرة ب - ت ، ص ٢٩ ، أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٥ ، ص ٢٣ .

٣٦ - العظيمى ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

٣٧ - فوشيه الشارترى Fulcher de Chartres ، ولد فيما بين عامى ١٠٥٨ ، ١٠٥٩م / ٤٥١ ، ٤٥٢ هـ ، ورافق الحملة الصليبية الأولى ، وكان مصاحبا لبلدوين دى بويون أثناء إقامته فى الرها ، ثم فيما بعد عندما صار ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية ، ويلاحظ أن فوشيه الشارترى قد ألف مؤلفا هاما عن تلك الحملة وهو بعنوان : Gesta Feancorum Jerusalem Peregrinatium أى أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس ، وقد ترجمته ريتا ريان إلى الانجليزية تحت عنوان : History of the expedition to Jerusalem وينتهى تاريخه بأحداث عام ١١٢٧م / ٥٢١ هـ .

عن فوشيه الشارترى انظر :

التقديم الممتاز الذى قامت به ريتا ريان للترجمة الانجليزية لتاريخه ، والترجمة التى قام بها قاسم عبده قاسم ، وصدرت فى الكويت عام ١٩٩٢ م ، العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٦٢ م ،

ص ٣٧ - ص ٤٤ ، عادل ريتون ، العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطة فى القرن الثانى عشر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ م ، ص ١١ ، محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٤ م ، ص ٤٣ ، سعيد البشاوى ، نابلس ، الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية (٤٩٢ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٩ - ١٢٩١ م) ، ط . عمان ١٩٩١م ، ص ١٨ ، حاشية (١٠) ، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط . الإسكندرية ١٩٩٣م ، ص ٣٦ - ص ٣٧ حاشية (٣) ، على أحمد محمد السيد ، إمارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها السياسى فى الصراع الصليبى الإسلامى فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى (١٠٩٩ - ١١٥٤ م / ٤٩٢ - ٥٤٩ هـ) . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٨ م . ص ١٥ ، حاشية (١) .

٣٨ - Fulcher of chatres , p . 210 .

٣٩ - القديس لورنس St . Lawrence ، نسجت العديد من الروايات ، والأقاصيص حول ذلك القديس ، ويعتقد المسيحيون أنه استشهد فى روما بعد أربعة أيام من وفاة القديس سكستيوس الثانى Sixtus II فى عام ٢٥٨ م ، وتم دفنه فى مقبرة فى الطريق المؤدى إلى تيفولى Tivoli ، حيث تقع حاليا كنيسة القديس لورنس The church of St . Lawrence ، ويقال أنه تم إعدامه بنفس الطريقة التى أعدم بها القديس سكستيوس الثانى ، وعلى الرغم من الاختلاف بين الدارسين بشأن ذلك القديس ، ومصادر حياته ، إلا أن الحقيقة التى ليست موضعا للإختلاف ، أنه خلال القرن الرابع الميلادى اعتبر أكثر الشهداء المسيحيين شهرة فى تاريخ روما ، وتم وضع اسمه بجوار اسم القديس سكستيوس الثانى Sixtus II فى القداس الرومانى .

عن القديس لورنس انظر :
Attwater , the penguin dictionary of Saints , London 1977 , p . 214 .

٤٠ - Fulcher of chartres , p . 210 .

٤١ - Ibid , p . 210 .

ويلاحظ أن ابن الأثير قد ذكر بالس ضمن المناطق المتضررة من جراء الزلزال بالإضافة إلى مناطق أخرى مثل الرها ، وحران ، وسميساط ، انظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٥٠٨ .

٤٢ - ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٨٣م ، ص ٤٢٠ .

٤٣ – نفسه ، نفس المصدر ، ص ٤٢٠ .

٤٤ – نفسه ، نفس المصدر ، ص ٤٢٠ .

٤٥ – نفسه ، نفس المصدر ، ص ٤٢٠ .

٤٦ – نفسه ، نفس المصدر ص ٤٢٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ ٢ ، تحقيق سامى الدهان ، ط . دمشق ١٩٥٥ م ، ص ٢٧٠ .

٤٧ – ابن القلانسى ، المصدر السابق ص ٤٢٠ ، الديار بكرى ، الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، جـ ٢ ، ط . بيروت ب – ت . ص ٣٦٣ .

٤٨ – ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ ، سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، ابن العديم ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ .

٤٩ – ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ .

٥٠ – نفسه ، نفس المصدر ، ص ٤٢٠ .

الفصل الثانى

مرحلة النشاط الزلزالى
من ٥٥١ إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ إلى ١١٥٩ م

مرحلة النشاط الزلزالى

من ٥٥١ إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ إلى ١١٥٩ م

يتصدى هذا الفصل بالدراسة للنشاط الزلزالى فى بلاد الشام من ٥٥١ إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ إلى ١١٥٩ م ، وهى مرحلة تعد من أهم المراحل الزمنية التى شهدت تزايدا لنشاط الزلازل هناك خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى ، وقد شملت بتأثيرها المدمر مناطق واسعة من بلاد الشام خاصة القسم الشمالى ، والأجزاء الساحلية، ويتعرض الفصل لما حل بالمدن الشامية المختلفة من صنوف التدمير والخراب من جراء تلك الهزات الزلزالية .

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التاريخية الإسلامية التى بين أيدينا عن تلك المرحلة ، توضح تأثيرات تلك الزلازل فى المناطق الإسلامية ، بينما لا تتوافر فى المقابل مصادر تاريخه صليبية بالدرجة الكافية ؛ من أجل إلقاء الضوء على آثار الزلازل فى تلك المناطق ، ومع ذلك فهناك إشارات مقتضبة ، بيد أنها مهمة لدى المؤرخين المسلمين المعاصرين ، يمكن الإفادة منها فى توضيح ما حل بالمناطق الصليبية على نحو تقريبى .

ويعد زلزال عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م [١] ، من أعنف ما أصاب بلاد الشام من هزات أرضية خلال بدايات النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ولدينا صورة جلية عما حدث خلال تلك الأحداث ، وبالتحديد فى يوم الأربعاء ٩ شعبان ٥٥١ هـ / ٢٧ سبتمبر ١١٥٦ م ، ثم امتداد تلك الهزات الزلزالية حتى يوم ٢٢ شوال ٥٥١ هـ / ٨ ديسمبر ١١٥٦م ، واستمراريتها من بعد ذلك .

ويلاحظ أنه وفقا لنصوص ابن القلانسى يمكن تقسيم الهزات الزلزالية التى وقعت خلال ذلك العام إلى قسمين : الأول أمكن إحصاء عدده فى كل يوم تقع فيه تلك الهزات ، وأحيانا كانت تقع هزة أرضية واحدة يوميا[٢] . وأحيانا أخرى ، بلغ عددها نحو ثلاث هزات [٣]، أما القسم الثانى فيمكن تحديده زمنيا بعد يوم ٢٢ شوال ٥٥١ م / ٨ ديسمبر ١٥٦ م ؛ إذ أن الهزات الزلزالية صارت من الكثرة ، والتعدد بحيث صار من الصعب إحصاؤها إلى الدرجة التى جعلت ذلك المؤرخ ، يعبر عن الموقف بقوله : " ثم وافى عقيب ذلك ما أهمل ذكره لكثرته" [٤].

ومن المرجح أن إغفال المؤرخ ذكر تلك الهزات العديدة ، رجع إلى كثرتها من ناحية ، ثم أنها من ناحية أخرى كانت من الضعف بحيث أنها لم تحدث أية خسائر بشرة ، ولم تلحق الفزع بالمعاصرين ، ولذا أرى أنها غير جديرة بالذكر ، خاصة أنه ذكر تلك الهزات التى أزعجت المعاصرين ، وعبر عنها بعبارات موحية بذلك ، وهكذا فاذا كانت لها فعالياتها لما أحجم عن ذكرها ، على عكس ما حدث خلال المرحلة من ٩ شعبان إلى ٢٢ شوال من عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م .

ومن المهم أن ندرك أن ابن القلانسى الذى قدم لنا كافة تلك المعلومات الدقيقة عن توقيت حدوث تلك الهزات الزلزالية ، قد ذكر أن الله تبارك وتعالى قد دفع " عن دمشق وضواحيها ما خاف أهلها من توالى ذلك وتتابعه "(٥) ، ويعنى هذا أن تلك الهزات أصابت دمشق ، ولم تصبها هزات أخرى بل توقفت عند ذلك الحد ولم تتعداه إلى ما هو أسوأ وأفدح .

والواقع أن مطالعة نصوص ذلك المؤرخ تكشف لنا عن دلالات جديرة بالذكر ، ويمكن إجمالها فى الآتى :

أولا : إن شهر رمضان من عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦م قد شهد العدد الأكبر من الهزات الزالزلية ، إذ وقعت خلاله (١٤) هزة ، يليه شهر شعبان الذى وقعت أثناؤه (١٣) هزة أرضية ، أما شوال فقد حدثت فيه (٨) هزات فقط ، وقد استأثر شهر رمضان بأوصاف ذلك المؤرخ الدمشقى التى تعكس عنف ما حل بالقوم خلال ذلك الحين ، مع ملاحظة وقوع ذلك والقوم يؤدون فريضة الصوم ، خاصة أن هناك إشارات تدل على وقوع الهزات أثناء ساعات النهار ، مما ساعد على تعميق التفسير الدينى لتلك النوازل الطبيعية فى أذهان المعاصرين .

ثانيا : بصفة عامة ، وعلى مدى الشهور الثلاثة شعبان ، ورمضان ، وشوال ، أدت تلك الهزات الأرضية إلى إصابة القوم بالهلع ، والذعر الشديدين ، وهذا يتضح بجلاء من خلال أوصاف ذلك المؤرخ حيث وصف بعضها ، بأنها " ارتاع الناس منها " ، و " زلزلة مروعة للقلوب " ، و " أيقظت النيام وروعت القلوب " ، " روعت الناس وأزعجتهم " ، " روعت النفوس " .

ويبدو أن تلك الزلازل كانت من العنف بحيث أنها فاقت ما حدث من قبل ؛ إذ عبر ذلك المؤرخ المعاصر عن الموقف بقوله : " ما عرف مثل ذلك فى السنين الماضية والأعصر الخالية"(٦).

ويبدو أنه كان يعنى بذلك – على الأقل -- الهزات الزلزالية التى وقعت فى بلاد الشام فى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م ؛ أى منذ ثمانية عشر عاما خلت ، ومن المتصور أن حجم الخسائر فى عام ٥٥١ هـ / ١٥٥٦ م على المستوى البشرى والمادى ، فاق بصورة كبيرة ، ما حدث من قبل فى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ، وهذا يتضح بجلاء من خلال مقارنة النصوص المصدرية المعاصرة لكل من الزلزالين المذكورين .

والواقع أن الخسائر الناجمة عن زلازل ذلك العام تركزت في مدن حلب ، وحماه ، وأفامية ، وشيزر ، ففى المدينتين الأولى ، والثانية انهدمت مواضع كثيرة [٧] ، كذلك فى أفامية تهدم برج من أبراجها [٨] ، وإشارة المؤرخ المعاصر إلى انهدام أحد الأبراج يوضح ضمنيا مدى عنف تلك الهزات الزلزالية فى تلك المدينة على نحو خاص ، بحيث أن أحد الأبراج الحصينة لم يسلم منها ، فما بال المنازل المشيدة دون أية مناعة أو حصانة ، أما شيزر فقد " انهدمت العديد من مساكنها على سكانها "[٩] وأدى ذلك إلى مقتل عدد كبير منهم ، ويبدو أن المدينة الأخيرة ارتفعت فيها نسبة الخسائر المادية ، والبشرية ، بدليل أن المؤرخ يوضح ما حدث بها على أن له صفة استثنائية خاصة ، أما كفر طاب فقد فر أهلها منها ، ولجوا بأرواحهم من الموت المحدق بهم [١٠].

ويلاحظ أن الخسائر البشرية ، والمادية الناجمة عن الهزات الزلزالية التى جرت خلال ذلك العام ؛ تركزت فى شمال الشام ، وهى منطقة تعد تقليدية لذلك النشاط الزلزالى صارت بصفة عامة الشغل الشاغل للمصادر التاريخية التى تتناول الزلازل بالإشارة نظرا لوقوع أكبر الخسائر المادية ، والبشرية فى المدن الشامية الشمالية بصفة خاصة ، ومع ذلك ، فالملاحظ أن الخسائر تباينت من مدينة إلى أخرى فى نفس المنطقة ، ومن الجلى البين أن شيزر على نحو خاص كانت المتضررة بصورة أكبر من غيرها من جراء ما حل بالمنطقة فى عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م .

أما تلك الزلازل التى وقعت فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م[١١] ، فهى تعد بحق من أكبر ما حل ببلاد الشام من صور التخريب ، والدمار خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى ، وقد فاقت بصورة جلية ، كافة ما حل بالمنطقة سواء فى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م ، أو فى عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، وهو العام السابق مباشرة .

وتوجد عدة دلالات مهمة يمكن استنتاجها من أحداث تلك الهزات الزلزالية ، بالمقارنة بما وقع عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، وهى كالآتى :

أولا : حدثت الهزات الزلزالية فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، على مدى عدة شهور مثل صفر ، وجمادى الأول ، وجمادى الآخرة ، ورجب ، ورمضان ، وشوال ، وذى القعدة ؛ أى سبعة أشهر ، وفاقت بذلك ما حدث خلال العام السابق ، ونعنى به عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، الذى حدثت خلاله تلك النوازل على مدى ثلاثة أشهر فقط .

ثانيا : اقتصرت الإشارة فى ذلك العام خلال شهر رمضان على حدوث هزة زلزالية واحدة ؛ وهى تلك التى جرت فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان ، بينما فى العام السابق ، تعددت الهزات الزلزالية خلال نفس الشهر حتى بلغت نحو (١٤) هزة .

ثالثا : بلغ عدد الهزات خلال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، نحو (٣١) هزة ، بينما بلغ فى عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، نحو أربع وثلاثين ، وذلك باستثناء العدد الذى خرج عن الإحصاء ، وهذا يؤدى بنا إلى ملاحظة أخرى وهى أن رقم (٣١) توزع على ثلاثة أشهر فقط ، بينما الرقم (٣٤) توزع على سبعة أشهر ، وقد يعطى هذا - للوهلة الأولى - انطباعا بأن الخسائر كانت شديدة خلال عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، من خلال تركزها فى نصف المدة تقريبا ، بينما العام التالى توزعت الهزات الزلزالية فيه على مرحلة زمنية مضاعفة ، بيد أن المصادر التاريخية الإسلامية أوضحت بجلاء أن حجم التخريب من جراء تلك الكوارث كان مضاعفا فى العام الأخير بصورة فاقت العام السابق .

والواقع أن من الأهمية بمكان تناول الخسائر الناجمة عن زلزال ذلك العام ، ويمكن رصد ذلك من خلال عدد من المدن الشامية ، ونعنى بها حماه ، وشيزر ، وحمص ، وحلب ، ودمشق .

وفيما يتعلق بحماه ؛ نجد أن المصادر التاريخية تعطى انطباعا بأن حجم الخسائر البشرية ، والمادية كان كبيرا بصورة واضحة ، إلى الدرجة التى جعلت البعض يصف الزلزال نفسه بأنه " زلزال حماه "(١٢) على نحو خاص ، ويبدو أن الموقف فيها مثل ما يمكن وصفه بالمأساة ؛ إذ هلك من جراء ذلك غالبية سكانها ، ولم يسلم من ذلك المصير سوى أقل القليل منهم (١٣) ، ونجد من الضرورى إيراد النص المهم البالغ الدلالة لدى ابن القلانسى إذ ذكر " انهدمت حماه ، وقلعتها ، وسائر دورها ، ومنازلها على أهلها من الشيوخ ، والشبان ، والأطفال ، والنسوان ، وهم العدد الكبير ، والجم الغفير ، بحيث لم يسلم منها إلا القليل اليسير "(١٤) ، ويعنى هذا أن الذين قدر لهم الحياة من بعد تلك الكارثة الطبيعية كان لهم أقارب قد ماتوا من جرائها ، كما يدل النص على أن الموت لحق بأعداد كبيرة ، ومن مختلف الأعمار فى تلك المدينة ؛ بالإضافة إلى الخسائر المادية فى الأبنية .

وهناك رواية تتردد فى العديد من المصادر توضح أن معلما اختص بتعليم الصبية فى أحد الكتاتيب فى حماه ، وقد غادرهم ليقضى حاجته ، وحدث الزلزال فسقط البناء على الصبية فماتوا جميعهم ، ولم يتقدم أحد ليسأل عنهم ، مما يدل على آباءهم لقوا نفس المصير المأساوى[١٥] .

ويلاحظ أننا لا نجد تحديدا معينا لعدد أولئك الذين صرعتهم الهزات الزلزالية المدمرة فى حماه ، إلا لدى الرحالة اليهودى الأسبانى بنيامين التطيلى ، الذى أوضح صراحة أنه لم يتبق من سكانها أحياء سوى سبعين شخصا فقط [١٦].

ومن المرجح أن هناك مبالغة من جانب ذلك الرحالة بالنسبة لتحديده لأعداد القتلى ، فليس من المنطقى تصور أن أولئك الذين نجوا من ذلك المصير بلغوا سبعين فقط ، في مدينة أقرت المصادر التاريخية المعاصرة أن أهلها مثلوا بها كثافة سكانية كبيرة [١٧].

وبصفة عامة من الممكن الاعتقاد بأنه فى أعقاب ذلك تم تعمير المدينة تعميرا واسع النطاق سواء بالنسبة لتشييد المنازل أو حدوث هجرات سكانية إليها - من المناطق الأخرى التى لم تحل بها نفس الخسائر البشرية المرتفعة - على نحو أعاد إليها خلال الثلاثين عاما التالية ازدهارها السابق على حدوث تلك الهزات الزلزالية المدمرة ، وقد أشار ابن قاضى شهبة صراحة إلى حجم الدور الكبير الذى قامت به الدولة النورية من أجل تعمير المناطق المنكوبة ، وأقر بأنه نتج عن ذلك أن عادت البلاد كأفضل مما كانت [١٨].

ويدعم التصور السابق أن ابن جبير فى رحلته التى زار فيها مدينة حماه بعد ثلاثين عاما تقريبا من حدوث الزلزال المدمر ، لم يشر إليه البتة أو إلى آثاره على عمائر المدينة ، بل تحدث عنها بوصفها مدينة مزدهرة من أوجه عديدة [١٩] ، ومن بعده نجد ياقوت الحموى ذاته - وهو الخبير بالمدن الشامية الشمالية لاسيما حماه - لا يشير إليه هو الآخر ، ووصفها بالإزدهار التجارى ، وتوافر الأسواق التجارية بها[٢٠] ، مما يدعم الإعتقاد بأن حماه ؛ عادت إلى سابق ازدهارها فيما بعد ، بفضل الجهود العمرانية للدولة النورية ، ومن بعدها الدولة الأيوبية .

أما إذا نحينا أمر حماه ، وما حل بها جانبا ، وانتقلنا إلى مدينة هامة من مدن الشام ، ونعنى بها شيزر ، نجد أن الهزات الزلزالية حينذاك ، أثرت بها تأثيرا مدمرا ، وفتاكا ، ونجد أن ربض المدينة قد سلم باستثناء ما كان قد خرب بفعل الهزات الزلزالية التى جرت خلال الأعوام السابقة [٢١] على عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، ونعنى بها بطبيعة الحال تلك التى جرت

خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ويلاحظ أن حصنها المنيع قد انهدم على واليها تاج الدولة بن أبى العساكر بن منقذ واتباعه [٢٢]، وذلك باستثناء عدد قليل من أولئك الذين كانوا فى خارجها ، وهناك من يقرر أن الزلازل أهلكت جميع من كان فى المدينة إلا إمرأة واحدة ، وحاجبا [٢٣].

وإذا اتجهنا صوب حمص ، نجد أن سكانها قد فروا من منازلهم ، ولجأوا إلى ظاهر المدينة، فنجوا بأرواحهم [٢٤] من تلك الكارثة ، وتمثلت الخسائر فى الغالب - على ما يبدو - فى تهدم المساكن ، وحدوث تلفيات فى قلعة المدينة .

وعند مقارنة الخسائر فى حماه بتلك التى وقعت فى حمص ، نجد الفارق واضحا ؛ إذ أن المدينة الأخيرة لم تقع فيها خسائر فى الأرواح بالصورة الكبيرة التى أشارت إليها المصادر التاريخية بالنسبة لحماه ، مما يدعم التصور بأن المنطقة المركزية للزلازل أو القريبة منها تمثلت فى المدينة الأخيرة ، وعندما وصلت الهزات الزلزالية إلى حمص لم تكن بنفس القوة التدميرية.

ومن جهة أخرى ، من الممكن تصور أن الهزات الزلزالية فى حماه كانت مفاجئة ، وعنيفة ، وبالغة الشدة ، ولذلك لم يتمكن أهلها من مغادرة منازلهم إلى العراء لتقليل الخسائر فى صفوفهم ، ومن هنا جاءت نسبة القتلى المرتفعة ، أما فى حمص فان الأمر اختلف ، إذ غادر أهلها منازلهم إلى العراء فقلت الخسائر البشرية لديهم .

وفى حلب ، تمثلت الخسائر فى تهدم بعض المنازل ، ولاذ الحلبيون بالفرار إلى ظاهر المدينة[٢٥] ومن الواضح أن حلب مرت بنفس ظروف حمص على ما يبدو أما فيما يتعلق بدمشق ، فيبدو من خلال متابعة ما قدمه لنا ابن القلانسى ، إنحسار الخسائر البشرية بها ، فالمؤرخ المذكور لا يشير البتة إلى أرقام معينة من أعداد القتلى أو حتى عبارات يفهم منها أن الدمشقيين فقدوا عناصر منهم ، بل أنه اهتم بايراد إنزعاج السكان من دوى تلك الهزات الزلزالية ، وأنهم لاذوا بالفرار إلى الأماكن الخالية خاصة ظاهر المدينة ، وكذلك البساتين ، وأقاموا هناك عدة أيام وليال [٢٦] اتقاء للأخطار المحدقة بهم ، ويمكن الإستنتاج بأن المؤرخ عندما يشير إلى البعد النفسى من جراء الزلازل ، فهذا يعنى ضمنيا ضآلة الخسائر البشرية أو شبه انعدامها .

والواقع أن تعليل عدم وجود خسائر فى دمشق يرجع إلى أن منطقة شمال الشام مثلت مركز النشاط الزلزالى حينذاك ، ويبدو أن الهزات الزلزالية بلغت حاضرة الشام الكبرى ، وهى

ضعيفة ، إذا ما قورنت بما حدث فى حماه على سبيل المثال ، ويلاحظ أن مقارنة سريعة بين نتائج الزلزال فى حماه وكذلك فى دمشق تكشف لنا عن البعد الشاسع فى التأثير التدميرى والخسائر البشرية .

وهكذا ؛ فان هذا التصور يدعونا إلى الإعتقاد فى أن تلك الهزات الزلزالية ، اختلفت فى فعالياتها من مدينة إلى أخرى ، وليس فى الإمكان تصور أن درجة الدمار والتخريب الناجم عنها كان بصورة واحدة فى كل مدن الشام .

وهناك ناحية مهمة ينبغى تناولها فى معرض دراسة آثار الهزات الزلزالية التى جرت خلال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وتتعلق بالمناطق الخاضعة للسيادة الصليبية والواقع أن المصادر التاريخية الصليبية لا تكشف النقاب عن فعاليات تلك الهزات الزلزالية فى المناطق الخاضعة لسيطرة الصليبيين ، على الرغم من مجاورة أملاكهم لأملاك المسلمين ، وأن تأثر مناطقهم بتلك الزلازل أمر منطقى ووارد ، وصمت تلك المصادر لم يقتصر على زلازل عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦م ، ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م بل أنه يمكن ملاحظته على كافة الزلازل التى وقعت فى النصف الثانى من القرن السادس هـ / الثانى عشر م خاصة قبل عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

وقد ألقت المصادر التاريخية الإسلامية الضوء على الآثار الناجمة عن تلك الكوارث فى المناطق الصليبية ، ووفقا لتلك المصادر فان أغلب أهل طرابلس قد هلكوا ونصف أهل أنطاكية[٢٧] ، كذلك فان مدينتى صيدا ، وبيروت تم تخريبهما[٢٨] ، ويضاف إلى ذلك مدن يافا ، وصور ، وعرقة ، وحصن الأكراد [٢٩].

والواقع أننا ليس من اليسير أن نقبل إشارات تلك المصادر عن حجم التأثير التدميرى فى المناطق الصليبية بمثل تلك الصورة ، ويبدو أن العداء القائم بين الجانبين قد جعل تلك الروايات مصطبغة بطابع المبالغة ؛ إذ أنه فى حالة حدوث تلك الأوصاف حقيقة لما ترددت المصادر الصليبية فى الإشارة إليها ، ولكن يبدو أن تعليل حقيقة صمت تلك المصادر يكمن فى أنها كانت ذات فعاليات محدودة فى المناطق الصليبية ، أو ما نجم عنها من تخريب أمكن تداركه على نحو سريع ، وبالتالى لم يجد المؤرخون الصليبيون الذين عاصروا تلك الأحداث المدمرة مبررا لإيرادها فى حولياتهم .

أما الهزات الزلزالية التى وقعت خلال عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م [٣٠] فيمكن إدراك عدة ملاحظات بشأنها ، وهى كالآتى :

أولا : اتسمت الهزات الزلزالية خلال ذلك العام بقلتها الواضحة إذ أنها بلغت فى عددها (٤) فقط ، وقد تركزت فى شهرين من شهور العام وهما ربيع الأول ، ورجب .

ثانيا : من الواضح أن تلك الزلازل لم تحدث تأثيرات تدميرية كبيرة إذ اكتفى ابن القلانسى بالإشارة إلى تأثيراتها النفسية مثل قوله " روعت وأقلقت " وروعت القلوب " ، "وأزعجت النفوس "[٣١] إلى نحو ذلك من عبارات ، مع وجود استثناء واحد هو زلزال ١٥ ربيع الأول الذى أدى إلى تصدع بعض المنازل ، والملاحظ أنه لم يشر إلى تهدم الأبنية بالكامل أو حدوث وفيات من جراء ذلك .

وفيما يتعلق بالهزات الزلزالية لعام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م [٣٢]، فمن الممكن متابعتها من خلال الاعتبارات التالية :

أولا : اتسمت الهزات الزالية لذلك العام بقلة عددها إذ بلغت (٥) ، وإذا تم احتساب ما ذكره ابن القلانسى على اعتبار أنها " الموجات " ، فيكون عددها (٩) هزات زلزالية ، وبذلك فاقت عدد الهزات التى جرت فى العام السابق ونعنى به عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م .

ثانيا : اتفقت زلازل ذلك العام مع تلك التى حدثت فى العام السابق من حيث عدم تسببها فى إحداث أية خسائر بشرية ، وهذا يتضح لنا بجلاء من خلال أوصاف نفس المؤرخ الذى اكتفى بتوضيح الأثر النفسى دون سواه ، وهى بالتالى يمكن إدراجها تحت القائمة الخامسة أو السادسة فى تصنيف الزلازل ، وفق الجدول الخاص بتصنيف الزلازل من حيث آثارها التدميرية الذى ورد فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

ثالثا : اختلفت زلازل عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م عن زلازل عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م من حيث توزيعها ، وتناثرها على مدى ثلاثة أشهر هى المحرم ، وربيع الأول ، وربيع الثانى ، بينما فى العام السابق ، توزعت الهزات الزلزالية على مدى شهرين فقط ، هما ربيع الأول ، ورجب .

وهكذا ، فقد أصيبت بلاد الشام على مدى الأعوام الأربعة من ٥٥١ هـ / ١١٥٦م إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٨م بالعديد من الهزات الزلزالية المدمرة أحيانا والمسببة الهلع والذعر أحيانا أخرى ، وقد بلغ عددها حوالى (٧٨) هزة زلزالية ، ويبدو أن تلك الهزات تركزت طوال تلك السنوات بنوع من شبه الاستمرارية ، ولم يفصل بينها شهور طويلة وذلك باستثناء عامى ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، وقد حدث خلالهما (١٣) هزة زلزالية فقط .

وتجدر الإشارة إلى أنه فى أعقاب الهزات الزلزالية التى جرت خلال السنوات الأربع من ٥٥١ - ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٩ م ، نجد مرحلة يخمد فيها النشاط الزلزالى بصورة واضحة ، حتى عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، حيث عادت الزلازل إلى سابق نشاطها التدميرى ، وبصورة فاقت السنوات المذكورة ، ومن بعد عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، سادت مرحلة ركود ثانية حتى إذا ما بلغنا عامى ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م عادت مرة أخرى لنشاطها السابق .

ذلك عرض لمرحلة النشاط الزلزالى من ٥٥١ - ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٩ م ، أما زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، فيتعرض له بالدراسة الفصل التالى .

الهوامش :

١ - عن الهزات الزلزالية لعام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م وآثارها بصفة عامة فى بلاد الشام انظر :

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥١٤ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ / ق ١ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ ، الذهبى ، دول الإسلام ، جـ ٢ ، تحقيق شلتوت وزميله ، ط . القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، ط . الاسكندرية ١٩٨٦ م ، ص ١١١ ، أنتونى بردج، تاريخ الحروب الصليبية ، ت . غسان سبانو ونبيل الجيرودى ، ط . دمشق ١٩٨٥ م ، ص ١٦٥ .

Fredrich , Sidon , A study in Oriental History , New york 1967 , p . 80 .

٢ - ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٥١٥ .

٣ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٤ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥١٥ .

٥ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

٦ - ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٥١٤ .

٧ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥١٥ .

٨ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٩ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

١٠ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

١١ - عن الهزات الزلزالية فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وآثارها بصفة عامة فى بلاد الشام انظر :

ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ - ص ٥٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ٨٨ ؛ الباهر ، ص ١١٠ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ / ق ١ ، ص ٢٦٢ ؛ ص ٢٦٩ ؛ سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ / ق ١ ، ص ١٢٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ١ ، تحقيق الشيال ، ط . القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ١٢٨ ؛ ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٢٥ .

Anonymous Syriac chronicle , The first and second crusades , trans . by Tritton , J.R.A.S. , 1933 , p . 302 .

Ruhricht , Geschichte des Kengreichs Jerusalem , p . 290 .

Gibb ," The Career of Nur Al Din ", in Setton , A History of the Crusades ,Vol , I , pennsylvania 1955 , p . 520 .

Baldwin , " The Latin states under Baldwin III and Amalric I " , in setton , A History of the Crusades , vol , I , pennsylvania 1955 , p. 541 .

Ziada , Urban life in Syria under the early Mamluks , Beirut 1953 , p . 61 .

Runciman , A History of the Crusades , vol . II , Cambridge 1978 , p . 434 .

Stevenson , the Crusades in the east , Beirut 1968 , p . 178 .

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ط . القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ٦٦٨ ، حاشية (٣) ؛ سالم ، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، ط . بيروت ١٩٧٠م ، ص ١١١ ؛ حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق ، ط . القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٢٦٠ ؛ شاكر أبو بدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، ط . بيروت ب - ت . ص ٢٨٩ ؛ عماد الدين خليل ، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية ، ط . دمشق ١٩٨٧م ، ص ١٨ ؛ محمد محمد الشيخ ، الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين ١١ ، ١٢ م . ط . الاسكندرية عام ١٩٨٠م ، ص ٣٧١ - ص ٣٧٢ ؛ عبد الله يوسف الغنيم ، " أسباب الزلازل وأحداثها فى التراث العربى " ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م (٣٥) ، جـ (٤) ، عام ١٩٨٤م ، ص ٢٣١ - ص ٢٣٤ ؛ كرد على ، غوطة دمشق ، ص ٢١٥ ، ط . القاهرة ١٩٥٢ م ، ص ٢١٥ .

١٢ - Runciman , the Crusades Vol . I , p . 343 .
Ruhricht , p . 290 , note (6) .

١٣ - ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ / ق ١ ، ص ٢٦٢ ؛ ابن الجوزى ؛ المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٧٦ .

١٤ - ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ ؛ ابن قاضى ، الكواكب الدرية ، ص ١٥١ .

١٥ - عن هذه الرواية انظر :

ابن الأثير ، الباهر ، ص ١١٠ ؛ الكامل ، جـ ١١ ، ص ٨٨ ، أبو الفداء ، المختصر جـ ٣ ، ط . بيروت ب - ت . ص ٣١ ، سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ،جـ ٥ ، ص ٣٢٥ ، أحمد الصابونى ، تاريخ حماه ، ط . حماه ب - ت ، ص ٥٦ .

١٦ - بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٢٠ .

١٧ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

١٨ - ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ١٥٣ .

١٩ - ابن جبير ، الرحلة ، ط . بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٢٣٠ .

٢٠ - ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٣٠٠ .

٢١ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

٢٢ - ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ . ص ٣٠٧ .

٢٣ - ابن العبرى ، تاريخ الزمان ، ت . إسحق أرملة ، ط . بيروت ١٩٩١ م ، ص ١٧٢ .

وعن إصابة شيزر من جراء ذلك الزلزال انظر :

Anonymous Syriac chronicle , p . 302 .

ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، سبط بن الجوزي، ص ٢٢٨ ، ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٢٥ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، تحقيق حمدي أنور السيد ، ص ١٧٣ ، السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، ص ١٨٨

Ruhricht , p . 290 , not (4)

Tsugitako , the Syrian coastal Town of Jabala , its History and present Situation , Tokyo 1988 , p . 47 .

محمد أحمد حسين ، أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٤٦ م ، ص ١٢ ، ص ٦٨ - ص ٦٩ ، حسن عباس ، أسامة بن منقذ ، حياته وشعره ، ط . الإسكندرية ١٩٧٩ م ، ص ٤٣ ، مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت . محمد وليد الجلاد ، ط . دمشق ١٩٨٤ م ، ص ٦٩ ، إسحق أرملة ، الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ط . بيروت ١٩٢٩ م ، ص ١٤٢ ، ويقرر أن عدد القتلى في شيزر بلغ ٤٠ ألف نسمة ، ومن الواضح المبالغة الكبيرة في الرقم المذكور على نحو لايمكن معه قبوله ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ص ٨٧ ، وانظر أيضا القسم الخاص بالملاحق حيث يحتوى على قصيدة أسامة بن منقذ في رثائه لأهله بشيزر كما وردت لدى أبي شامة في كتابه الروضتين.

Baldwin , The Latin states , p . 341 .

٢٤ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ط . أميد روز ، ص ٣٤٤ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ، وعلى الرغم من ذلك يقرر ابن الجوزى ما نصه ، « أما حمص فهلك منها عالم عظيم » ، انظر ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ويبدو أن هذا القول يفتقد الدقة ، خاصة أن ابن القلانسي ، وهو المعاصر لتلك الأحداث لم يشر إلى إصابة حمص بمثل تلك الخسائر البشرية واتفق معه في الأمر أبو شامة وقد

أشار نفس المؤرخ إلى أن المنازل في المدينة المذكورة تهدمت أما أهل حمص فانهم « كانوا قد أجفلوا منها إلى ظاهرها ، وسلموا ، وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها » ، ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

٢٥ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥٢٦ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

٢٦ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ - ص ٥٢٨ ، المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .

٢٧ - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٧٦ ، ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

٢٨ - ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥١ ، سالم ، تاريخ مدينة صيدا ، ص ١١٢ .

٢٩ - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٧٦ ؛ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥١ ، وعن آثار الزلازل في المنطقة الساحلية انظر ؛ كرد على ، خطط الشام ، جـ ٢ . ط . بيروت ١٩٧٢م ، ص.٣٠.

٣٠ - عن زلزال عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، انظر : ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٣٧ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ ، عبد الله يوسف الغنيم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ - ص ٢٣٥ .

٣١ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

٣٢ - عن زلازل عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، انظر : ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٥٤١ ، ص ٥٤٤ ، ص ٥٤٥ ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ط . القاهرة ، ص ٣٠٤ ؛ السيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، حاشية (٥٨٧) ؛ عبد الله يوسف الغنيم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ محمد على العيد ، نور الدين محمود زنكى ، بطل الوحدة أيام الصليبيين ، ط . الرياض ب - ت ، ص ١٥ .



الفصل الثالث

زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م

زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م [١] ، والتأثيرات التى نتجت عنه في بلاد الشام سواء في المناطق الإسلامية أو الصليبية ، ويلاحظ أنه كان من أعنف الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام فى خلال المرحلة موضوع الدراسة ونعنى بها النصف الثاني من القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، وفى هذا الفصل سيتم تناول أهم ملامح زلزال ذلك العام وآثاره .

والواقع أن زلزال ذلك العام في بلاد الشام قد تميز بمميزات خاصة ، عند مقارنته بالزلازل السابقة ، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية :

أولا : إن الزلازل السابقة تناثرت على مدى أيام وشهور عديدة من السنوات التى وقعت فيها ، ويصدق ذلك على جانب كبير من زلازل المرحلة الممتدة من ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م إلى ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، بينما زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م تركز بصفة رئيسية فى يوم محدد ألا وهو ، يوم الأثنين ١٢ شوال من عام ٥٦٥ هـ / ٢٩ يونيو ١١٧٠ م[٢] ، ولعل هذه الناحية تميزه عن غيره من الزلازل التى تناثرت قوتها على امتداد زمنى كبير نسبيا .

ثانيا : على حين أفردت المصادر الإسلامية الإشارات فى توضيح آثار الزلازل السابقة فى المناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية ، وندر أن توضح فعالياتها بالنسبة للمناطق الخاضعة للسيادة الصليبية ، ويصدق ذلك بجلاء كامل على مرحلة الزلازل الممتدة من عام ٥٥١ - ٥٥٤ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٩ م ؛ على حين ذلك ، نجد أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م يتميز بأن لدينا إشارات مصدرية صليبية مفصلة هامة توضح حجم التأثيرالتدميرى الذى أحدثه في المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية ، ويبدو أن نفس تلك المصادر التى صمتت في الغالب حيال زلازل المرحلة من ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م - ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، لم يستطع مؤرخوها هذه المرة تجاهل زلزال ذلك العام .

والواقع أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م يعد من أكثر الزلازل التى منيت بها بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى وضوحا من حيث حجم الدمار الذى نجم عنه في مختلف أنحاء بلاد الشام ، لدى الجانبين الإسلامى والصليبي ، دون

أن نعانى من صمت المصادر التاريخية أو ندرة إشارتها مثلما فى بعض الأحيان بالنسبة للزلازل السابقة وآثارها فى مملكة بيت المقدس الصليبية .

أما بالنسبة للمناطق الإسلامية ، فيبدو أن زلزال ذلك العام أحدث نطاقا أوسع من ذي قبل من حيث التدمير والخراب في المناطق الإسلامية الخاضعة لسيطرة الدولة النورية ، ومما يدعم مثل ذلك التصور ، الوثيقة المهمة الصادرة من جانب ديوان الإنشاء بالدولة النورية ، والتى تطلب فيها المساعدات المالية الملحة من الخلافة العباسية في بغداد ، من أجل مواجهة إعادة تعمير ما خربه ذلك الزلزال المدمر (٣) ، وتكشف لنا أن العديد من المدن أصيبت من جرائه ، وأن قدرات الدولة النورية لم تستطع وحدها أن تفى بالإحتياجات اللازمة لمواجهة تلك المهمة الباهظة التكاليف ، وحيث أن الزلازل السابقة خاصة تلك التى جرت خلال بدايات النصف الثاني من القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، لم يصل بشأنها أية مكاتبات رسمية من جانب الدولة النورية للخلافة العباسية بشأن طلب المساعدة ، والعون المالي لمواجهة آثارها التدميرية ، فلذلك من الممكن التصور - دونما مغلاة - أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م كان بحق أعنف ما واجه الدولة النورية منذ تأسيسها عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦م واضطرت لمواجهته أن تطلب مساعدة العباسيين ، على الرغم من أن ذلك من شأنه إظهارها بمظهر الضعف والعجز عن مواجهة ما حل بها من كوارث طبيعية ، لكن يبدو أن فداحة الخسائر فاقت كل محظور ، فكانت وثيقة الإستغاثة تلك التى حفظتها لنا المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة على حد سواء خير دليل على فداحة الموقف وسوف نتناول آثار ذلك الزلزال فى كل من المناطق الإسلامية والصليبية .

وتجدر الإشارة إلى أنه في يوم ١٢ شوال ٥٦٥ هـ / ٢٩ يونيو ١١٧٠ م ، وقعت هزات زلزالية عنيفة في بلاد الشام إلى درجة أن الأرض « ماجت كالبحر إذا عصفت به الرياح العنيفة »(٤) ، فهدمت العديد من المنازل ، والقلاع وامتد تأثيرها إلى مدن حلب ، وحماه ، وحمص ، وشيزر ، وبعرين ، ودمشق ، وبعلبك ، ويشير البعض إلى أن حلب ، وبعلبك - على نحو خاص - هلك فيها عالم عظيم (٥) ، ووردت إشارات تفيد بتقدير حجم الخسائر البشرية في حلب على اعتبار أنه بلغ أحد عشر ألفا من الأطفال ، والشيوخ والنساء والرجال (٦) ، من أولئك الذين هلكوا تحت الأنقاض ، وتصور البعض الآخر أن العدد بلغ ثمانين ألفا (٧) ، وهناك من قدره بأنه خرج عن الإحصاء (٨) ، ومن الجلي البين من خلال هذا التباين الكبير في نصوص

المصادر التاريخية ، أننا لا نستطيع أن نحدد تحديدا تقريبيا دقيقا أعداد القتلى ، ومع ذلك فان تلك الأرقام المتباينة تفيد - ولا ريب - فى أنها تعكس اتساع نطاق التدمير ، والقتل من جراء تلك الهزات الزلزالية الفتاكة .

وقد ذكر العماد الكاتب الأصفهاني ، تدهور الوضع من جراء تلك الكارثة الطبيعية في حلب ، موضحا أن الهم الأكبر كان فى حلب ، لإنهدام مبانيها ، وانهداد مغانيها ، كذلك فان سور المدينة أصابة التهدم ، وقد أصاب الهلع الحلبيين حتى أولئك الذين نجوا من الموت فخافوا العودة إلى منازلهم التى سلمت من التهدم وفضلوا سكنى الخيام [٩] ، وهذا بالطبع يعكس مدى تدهور الحالة النفسية للسكان على نحو أنهم افتقدوا عنصر الأمان ، وتملكهم الرعب الشديد ، وخافوا على أرواحهم من تكرار مثل تلك الهزات الأرضية على نحو قد يودى بحياتهم ، ومن ثم فضلوا أن يسكنوا فى الصحراء ، ويعيشوا فى الخيام ، والإبتعاد تماما عن سكنى الأبنية التى قد تنهار على رؤسهم ، وهكذا فالمدن الشامية الكبرى ، والتى صارت هدفا لتلك الكوارث الطبيعية لم تعد هدفا للسكنى من جانب الأهلين فى تلك الظروف الإستثنائية على الرغم من أنها كانت من قبل فى الأحوال الطبيعية تعانى من التكدس السكانى ، وحركة النزح التقليدى من المناطق الريفية إليها .

وقد امتد تأثير تلك الهزات الزلزالية إلى بعرين إذ أن قلعتها لم يتبق منها شيء [١٠] ، والواقع أننا لا نملك إشارات واضحة عن نوعية تلك القلعة ، ومقدار حصانتها ، ومنعتها ، وهل كان بناؤها شديد التأثر بالزلازل بسبب عدم صلابته أم أن الزلازل كانت من العنف بحيث لم تصمد تلك القلعة أمامها ، وأيا كان الأمر ، فمما لا ريب فيه أن تلك الهزات الزلزالية ، تركت آثارها المدمرة حتى على القلاع الخاضعة للسيادة الإسلامية حينذاك ، والتى من المفترض أصلا أنها كانت على جانب فعال من المنعة والحصانة .

وتجدر الإشارة إلى أن المثالين السابقين ونعنى بهما حلب ، وبعرين ، مثلا أكثر المناطق التى ركز عليها المؤرخون المسلمون المعاصرون ، والمتأخرون ، الإهتمام بالنسبة للمناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية حينذاك ، أما باقى المدن فان المصادر التاريخية تناولتها بصفة عامة ، دون تمحيص وتحدثت عن هدم أسوارها ومبانيها ، ويبدو أن حجم الدمار بها كان محدودا ، بدليل عدم وجود تركيز للحديث عن أوصافها على نفس منوال حلب وبعرين .

وإذا نحينا جانبا الآثار الناجمة عن زلزال عام ٥٦ هـ / ١١٧٠ م على المناطق الإسلامية ؛ نجد أن المناطق الصليبية كان لها حظها هي الأخرى من التدمير والتخريب والقتل ، ومن الواضح أن الأثر التدميري بلغ الجانب الصليبي أيضا وعلى نحو مروع ، وقد وصفته المصادر التاريخية الصليبية وأوضحت أنه - أي ذلك الزلزال - كان بالغ العنف ، ومروعًا على نحو لم يحدث من قبل [١١] وامتدت ذكراه في عقول القوم لأمد طويل دون أن تمحى[١٢] ، على نحو يعكس عمق أثره النفسي على الرغم من تعاقب الشهور والأعوام علي ذكراه الأليمة ، وقد هلك من جرائه تحت الأنقاض عدد كبير وبقى حيا عدد بالغ القلة ، وقد أشاع ذلك كله الحزن ، والأسى الشديدين [١٣] ، ولاسيما فى نفوس أولئك الذين بقوا على قيد الحياة ، وانتسبوا إلى أسرات فقدت عددا كبيرا من أبنائها تحت الأنقاض ، ولا جدال فى أن الأوصاف التى أطلقتها المصادر الصليبية المعاصرة على تلك الأحداث تدل على أنها كانت بشعة ، وعنيفة ولم تكن لتقارن بها الزلازل السابقة التي أثرت في المناطق الصليبية .

ويمكن توضيح آثار ذلك الزلزال على عدد من المدن الصليبية ولا سيما الساحلية منها وهي أنطاكية Antioch أو طرابلس Tripolis ، وصور Tyre ، وجبلة Jabala ، واللاذقية Laod-icea ، ويلاحظ أنها جميعا مدن ساحلية وقعت على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ؛ باستثناء أنطاكية القريبة من الساحل نسبيا .

وتجدر الإشارة إلى أن نصوص المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة ؛ عند حديثها عن آثار تلك الهزات الزلزالية التى وقعت في ذلك العام توضح تأثيرها بدقة على كل مدينة من المدن الصليبية ، دون أن تتجه إلى أسلوب التعميم كما هو الحال بالنسبة لإشارات المصادر التاريخية الإسلامية عن الآثار الناجمة عنه فى المدن الخاضعة للسيادة الإسلامية ، وهذا الإختلاف فى المعالجة التاريخية لآثار الزلازل فى المناطق الإسلامية يعكس بالضرورة حقيقة هامة ؛ ألا وهى تنوع أشكال التدمير ، والتخريب من مدينة صليبية إلى أخرى على نحو فاق مثيلاتها من المدن الإسلامية .

وبالنسبة لأنطاكية ، وطرابلس يبدو أن ذلك الزلزال كان مروعا ، وبحق ، فاذا كان زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م قد وصف بأنه زلزال حماه[١٤] ، فحري بنا أن نطلق على زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م بأنه زلزال أنطاكية وطرابلس ، نظرا لحجم الدمار الكبير الذى خلفه فيهما ، على نحو فاق المدن الصليبية الأخرى .

ووفقا لما أقره وليم الصورى William of Tyre ، فان مدينة أنطاكية حاضرة شمال الشام الصليبية الهامة ، دمرت بصورة كاملة [١٥]، وهلك السكان بها ، ودمرت حوائطها ، وأبراجها البالغة الحصانة [١٦]، وتحولت إلى أنقاض ، وأطلال [١٧].

أما في طرابلس ؛ فقد كان حجم التدمير كبيرا ، وبصورة تشبه ما حل بأنطاكية ، وقد أصيبت طرابلس على نحو مفاجئ بذلك الزلزال المروع ، ونادرا ما تمكن شخص ما داخل أسوارها من أن يلوذ بالفرار من الموت المطبق بسكانها[١٨] ، ويقرر ذلك المؤرخ أن المدينة دمرت بصورة كاملة وتحولت إلى أنقاض وأطلال [١٩]، وصارت بمثابة مكان للدفن ، ومقبرة جماعية لسكانها الذين لقوا حتفهم فيها [٢٠].

والواقع أن القيمة الكبيرة التى نعلقها على ما ذكره وليم الصوري بشأن التأثير التدميري لزلزال ذلك العام في المدينتين المذكورتين ، يتمثل من خلال أنه جاء من مصدر رسمي صليبي معاصر عرف بدقته واستقائه لمادته التاريخية من أوثق المصادر الرسمية ، ومن ناحية أخرى لا نغفل ناحية مهمة ، وهى أن المدينتين المذكورتين ، كانتا مركزين لإمارتين صليبيتين على جانب كبير من الأهمية ، وقد حققتا ازدهارا تجاريا كبيرا من خلال موقعهما على ساحل شرق البحر المتوسط Levant وبالقرب منه ، وانتعاش حركة الصادرات والواردات فيهما ، ولاشك أن إدراك ازدهار الإمارتين الصليبيتين فى مرحلة ما قبل زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، تفيدنا في تصور حجم ما حل بها من دمار من جرائه .

ومن الممكن تصور زاوية هامة أخرى بشأن ذلك الزلزال في طرابلس على نحو خاص ، إذ أن إشارة الرحالة الأسباني اليهودي بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela عن الزلزال الذى أصاب طرابلس وأحدث بها تدميرا كبيرا ، وأدى إلى هلاك عدد كبير من اليهود [٢١] وأن عدد القتلى بلغ عشرين ألفا [٢٢]، المقصود به - على الأرجح - هو زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م وليس زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م كما تصور مترجم الرحلة إلى العربية عزرا حداد ، منذ قرابة نصف قرن من الزمان ؛ إذ أن التاريخ الأخير يعد مبكرا عن التوقيت الزمنى المرجح لرحلة بنيامين التطيلي إلى بلاد الشام ، والتي سبق أن ناقشتها وأوضحت أنها تمت خلال المرحلة من ٥٥٨ - ٥٦٥ هـ / ١١٦٣ - ١١٧٠م [٢٣]، وبالتالى فالمنطق يدعونا إلى تصور أن إشارة ذلك الرحالة تدعم التفاصيل التى أوردها وليم الصوري عن حجم الدمار الذى أحدثه الزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م بطرابلس ، ومما يدعم التصور بأن ما ذكره ذلك الرحالة

لم يكن المقصود به زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، إن المصادر الإسلامية والصليبية لا تذكر إصابة طرابلس في هذا العام بكل هذه الخسائر الفادحة ، أضف إلى ذلك أن زلزال عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م ، كان تأثيره في المدن الإسلامية أكبر بكثير من تأثيره في المدن الصليبية ، وهذا يتضح بجلاء من إشارات المصادر الإسلامية المفصلة عنه وندرة ما ذكرته المصادر الصليبية بشأنه ، أضف إلى ذلك أن معظم ماذكرته المصادر الأخرى تتعلق بالمدن الإسلامية ، وليست الصليبية فى أغلبها .

أما إذا انتقلنا إلى آثار ذلك الزلزال فى مدينة صور ، فقد اقتصر التدمير على أبراجها التي تحطمت (٢٤)، ولم تكن هناك خسائر بشرية على نحو يمكن اعتبارها من أقل المدن الصليبية تضررا من جراء ذلك الزلزال باستثناء العمائر الحربية ، وتعد معلوماتنا بشأنها والتى نستمدها من وليم الصورى ، من أدق ما نعرفه من المدن الصليبية وما أصيبت به من جراء ذلك الزلزال ، نظرا لأن وليم الصورى نفسه ، عمل رئيسا لأسقفيتها وكان عالما بأمورها بطبيعة وضعه الكنسي بها .

وبالإضافة إلى ذلك ؛ هناك مدينتان صليبيتان ساحليتان حل بهما الدمار ونعني بهما جبلة(٢٥) واللاذقية (٢٦) ، ولم أجد في المصادر التاريخية ما يلقي الضوء بشأن حظهما من الدمار ، ويبدو أن الخسائر فيهما لم تصل إلى فداحة ما كان لدى أنطاكية وطرابلس .

وهناك زاوية مهمة أوضحها وليم الصورى تتمثل فى أن فلسطين كانت بمنأى عن التأثير بذلك الزلزال (٢٧) ومن المتصور أن ذلك قلل من حجم الخسائر البشرية الصليبية هناك ، نظرا لزيادة عدد الحجاج الزائرين للمواقع المسيحية المقدسة في بيت المقدس على نحو خاص ، خاصة خلال مناسبات الأعياد الدينية التى حرص الكثيرون على التواجد فيها ، ومتابعة الإحتفالات التى تقام فى مثل تلك المناسبات ، وهذا يعنى أن الإصابات في صفوف الصليبيين من جراء العام المذكور كانت فى الإمارات الصليبية لاسيما أنطاكية وطرابلس وكانت بمنأى عن تأثيراتها مناطق مملكة بيت المقدس الصليبية بحدودها الفلسطينية .

أما بالنسبة للعمائر الحربية الصليبية ؛ فقد أشارت المصادر التاريخية إلى تعدد تلك الحصون ، والقلاع التى أضيرت من جراء ذلك الزلزال ومن أمثلتها حصن الأكراد Crac des Chevaliers ، وعرقة Arka ، وصافيتا Safita (٢٨) ، وغيرها ، ويقرر البعض أن الحصون التى أضيرت من ذلك الزلزال تفوق الحصر(٢٩) ، ومن الواضح أن المصادر التاريخية عندما

تشير إلى أسماء قلاع معينة وتغفل القلاع الأخرى فهذا يعني - في تصوري - أن القلاع الأخرى أضيرت ولكن بصورة أقل ، غير أن القلاع التى وردت صراحة هي التي أصيبت أكثر من غيرها من جراء تلك الهزات الزلزالية المدمرة ، هذا بالإضافة إليأنها قلاع بارزة ، ذات مكانة خاصة فى تاريخ العمارة الحربية الصليبية فيبلاد الشام في عصر الحروب الصليبية .

وإذا نحينا جانبا الأضرار والخسائر التى لحقت بالقلاع الصليبية واتجهنا إلى ناحية الخسائر البشرية ، نجد أن هناك تعليلا لإرتفاع نسبة الخسائر البشرية لدى الصليبيين من جراء زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ؛ إذ أن العماد الكاتب الأصفهانى المعاصر لها قرر أن توقيت حدوث الزلزال وهو يوم ١٢ شوال ٥٦٥ هـ / ٢٩ يونيو ١١٧٠ م كان أحد الأعياد الدينية لدى الصليبيين (٣٠)، دون أن يحدد أى عيد من الأعياد التى أحتفلوا بها ، وقد ذكر أنهم تجمعوا فى كنائسهم التى هدمت فوق رؤسهم مما أدى إلى زيادة أعداد القتلى فى صفوفهم .

وتجدر الإشارة إلى أن يوم ٢٩ يورنيو ١١٧٠م ، كان يوافق عيد القديس بطرس St . Pe-ter رأس الحواريين (٣١) ، وقد أقر وليم الصورى صراحة أن الكنائس قد تهدمت بعنف بالغ لم يحدث من قبل (٣٢) ، ويدعم هذا أننا نعرف أن البطريك اليوناني اثناسيوس Athanasius بينما كان يصلى بجموع المصلين فى كاتدرائية القديس بطرس فى أنطاكية ، أنهارت عليه الكنيسة وعلى جموع المصلين على نحو أدى إلى موت الكثيرين ، ومنهم البطريك شخصيا(٣٣) ، وهكذا فان ما ذكره العماد الكاتب الأصفهانى قد تدعم من خلال ما أورده وليم الصوري ، وقد أراد المؤرخ المسلم أن يوضح أن الصليبيين أنفسهم شملتهم تلك الكارثة ، وفي تقديره أن الله جل شأنه قد انتقم منهم في صورة كثرة القتلى في صفوفهم في تلك المناسبة الدينية المحتفل بها ، فتحول عيدهم بذلك إلى كارثة .

ومن الممكن ملاحظة أن من العوامل التى أدت إلى زيادة أعداد القتلى من جراء تهدم الكنائس ، والكاتدرائيات حينذاك أن مثل تلك العمائر الدينية شيد العديد منها منذ أمد بعيد، وربما منذ مئات السنين ، وتلك الأبنية القديمة - مثل تلك التى في أنطاكية على نحو خاص - لم تكن لتقوى على تحمل مثل تلك الهزات الزلزالية العنيفة ، أضف إلى ذلك أن مثل تلك الأعياد الدينية التى احتفلت بها المملكة الصليبية قدمت لحضورها جموع غفيرة من الحجاج المسيحيين من كافة البقاع الأوربية من أجل الحج ، ومشاركة إخوانهم الصليبيين في بلاد الشام في الاحتفال بمثل تلك المناسبات ، ولما كانت مثل تلك المناطق بمثابة مراكز جذب

تقليدية لجموعهم ، ولذلك من المتصور أن أعدادهم الكبيرة ساعدت على زيادة أعداد القتلى في النهاية ، ومن الممكن أن نقرر أن العاملين السابقين معا ، ساهما بفاعلية في زيادة نسبة القتلى حينذاك .

ومع ذلك ينبغي أن نقرر أن هذه ليست هي المرة الأولى التى تحدث فيها الهزات الزلزالية وتصيب مناطق الصليبيين فى إحدى المناسبات الدينية المحتفل بها خلال القرن الثاني عشر الميلادى ، فمن قبل وفي يوم ١٠ أغسطس ١١١٤م ، وقع زلزال عنيف حل بمناطق الصليبيين(٣٤) ، وكان ذلك اليوم يوافق عيد القديس لورنس St . Lawrence (٣٥)، ومع ذلك فمن المتصور أن زلزال عام ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠م قد شهد خسائر بشرية فى صفوف الصليبيين على نحو فاق ذلك الزلزال الذى واكب عيد القديس لورنس على اعتبار أن القديس بطرس نفسه كان أكثر شعبية من القديس الأخير ، ومن المتوقع حضور أعداد غفيرة من الحجاج القادمين من الغرب الأوربي ، من أجل الحج إلى المحارم المسيحية المقدسة في فلسطين ، ومشاهدة الإحتفال بذلك العيد الديني المهم .

ومن جهة أخرى ، ففي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، كانت القوة العددية الصليبية على ما يبدو قليلة إذا ما قورنت بعام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، أي بعد ما يزيد على النصف قرن من تاريخ استقرار الحركة الصليبية في المنطقة ، هذا بالإضافة إلى التزاوج بينهم وبين عناصر المسيحيين الشرقيين ، مثل الموارنة ، والسريان ، والأرمن ، ولاريب فى أن كافة تلك الاعتبارات قد ضمنت زيادة أعداد الصليبيين وقت حدوث الزلزال الأخير إذا ما قورن بزلزال عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ هـ .

صفوة القول ، أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م أحدث آثارا تدميرية على البنية السكانية والعمائر المدنية والدينية والحربية سواء فى المناطق الإسلامية أو الصليبية ، بيد أن آثاره في المناطق الصليبية فاقت تلك التى كانت فى قبضة المسلمين .

ذلك عرض خاص بزلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، أما الفصل التالى فنخصصه لزلازل عامي ٥٩٧ - ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ - ١٢٠٢ م .

الهوامش :

١ - عن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م في بلاد الشام وآثاره التدميرية انظر : الأصفهاني ، البستان الجامع ، ص ١٣٨ ؛ الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ٤٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٤٣ ، الباهر ، ص ١٤٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٠ ؛ ابن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ ٩ . ط . حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ ، ص ٢٣٠ ، أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٥ ، ص ٦٦، سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان ، ق ١ / جـ ٨ ، ص ٢٧٩ - ص ٢٨٠ ؛ القريزي ، إتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٧٨ ؛ ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م(٤) ، جـ ١ ، ص ٩٤ - ص ٩٥ ؛ ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ١٨٩ .

William of Tyre , Vol . II , p . 370 .

Michael the Syrian , Vol . III , p . 339 .

Ruhricht , Geschichte des Kenigreichs Jerusalem , P . 348 .

Stevenson , the Crusaders , p . 199 .

شاكر أبو بدر ، الحروب الصليبية ، ص ١٨ ، سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، ط . بيروت ١٩٧٠ م ، ص ١١٢ ، عماد الدين خليل ، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية ، ص ١٨ ، أشتور ، التاريخ الإقتصادي والاجتماعي ، ص ٢٨١ ، كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٢١٥ ، عبد الله يوسف الغنيم ، أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي ، ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦ .

٢ - الفتح البنداري ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

ويلاحظ أن سبط بن الجوزي لم يحدد يوم وقوع الزلزال وإنما ذكر الشهر فقط ومن جهة أخرى ، نجد أن العماد الأصفهانى ، وهو شاهد عيان معاصر قرر أن تاريخ الزلزال هو الأثنين الثاني عشر من شهر شوال من عام ٥٦٥ هـ كذلك فان ابن الفرات - اعتمادا على نصوص ابن ابي طيء - أشار إلى ذات التحديد الزمنى السابق ، وشاركه في ذلك المؤرخ ابن العديم ، كذلك فان وليم الصوري William of Tyre ، قدم لنا تحديدا زمنيا اتفق مع تحديد أولئك المؤرخين ، عند مقابلته بالتاريخ الهجرى ، على نحو يجعلني آخذ بذلك التحديد .

عن ذلك انظر :

سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ؛ الفتح البنداري ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ابن الفرات، المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ابن العديم ، امصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٠ .

William of Tyre , Vol . II , p . 370 .

٣ - ابن الفرات ، المصدر السابق ، ص ٩٦ - ص ٩٧ .

انظر أيضا نص الوثيقة لدى : محمد حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ص ٢١٢ - ص ٢١٣ .

٤ - الفتح البنداري ، المصدر السابلق ، ص ٤٧ .

٥ - الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

المقريزي ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ ، قاسم الرفاعي ، بعلبك في التاريخ ، دراسة شاملة لتاريخها ومساجدها ومدارسها وعلمائها ، ط . بيروت ١٩٨٤ م ، ص ٢١ ، حسن عبد الوهاب ، أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولى حتى معركة حطين (١٠٩٧ - ١١٨٧ م / ٤٩٠ - ٥٨٣ هـ) ، الندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافية بالمملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ديسمبر ١٩٩١ م ، ص ١٧ .

ويقرر روهرشت أن الهزات الزلزالية لذلك العام قد أتت على شمال الشام بصورة كاملة ، وإن كنت أرى أن الرأي يحوى مبالغة : لأن حجم التدمير كما كشف عنه المصادر الإسلامية ، والصليبية لايوضح الأمر بمثل هذه الصورة ، وإن كنت لا أنكر أن التدمير كان كبيرا في تلك المنطقة .

انظر رأي روهرشت :

Ruhricht , p. 348 .

٦ - الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص١٣٨ .

٧ - سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ؛ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

٨- نفسه ، نفس المصدر والصفحة ، عماد الدين خليل ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

٩ - ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٤٣ ، الباهر ، ص ١٤٥ ، ابن الفرات ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

وعن تأثير الزلازل في حلب انظر :

ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ، ابن الأثير ، الامل ، جـ ١١ ، ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ ٨ / ق ١ ، ص ٢٧٩ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، المقريزي ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات ، المصدر السابق، ص ٩٢ .

١٠ - عن اصابة بعرين انظر :

ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٤٥ ، الفتح البنداري ، المصدر السابق ، ص ٤٧ - ص ٤٨ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ، ابن الفرات ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

وبعرين وقعت بين حمص والساحل ، ويقرر ياقوت الحموي أن العامة تنطقها بهذا الشكل والأصح أن يقال بارين ، ويلاحظ أن الصليبيين قد بنوا قلعة هناك، وذلك في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، وقد مكنها موقعها الإستراتيجي الممتاز من السيطرة على حماه وكذلك على حمص ، وتجدر الإشارة إلى أن تلك القلعة تسمى فى المصادر الصليبية باسم Monteferrand ويلاحظ أنها شكلت مع قلعة رفنية Rataniya التى استولى عليها الصليبيون من المسلمين حوالى العام المذكور - شكلت قاعدة لشن الهجمات الحربية الشديدة على حمص وحماه .

عن بعرين وموقعها وأهميته الإستراتيجية انظر :

ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ط . بيروت ١٩٧٩م ، ص ٤٥٢ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودي سلان ، ط . باريس ١٨٤٠م ، ص ٢٥٨ ، رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ت . السيد الباز العريني ، جـ ٢ ، ط . بيروت ١٩٦٨م ، ص ٣١١ ، ص ٣٢٧ ، مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ص ١٥ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ط . بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٢٤ .

١١ - William of Tyre , Vol . II , p . 370 .

١٢ - Ibid , p . 370 .

١٣ - Ibid , p . 370 .

١٤ - عن ذلك انظر بالتفاصيل الفصل الثاني .

١٥ - William of Tyre , Vol . II , p. 370 .

Ruhricht , p . 348 .

١٦ - William of tyre , Vol . II , p . 370 .

١٧ - Ibid , p . 370 .

١٨ - Ibid , p . 370 .

١٩ - Ibid , p . 370 .

٢٠ - Ibid , p . 370 .

Ruhricht , op . Cit . , p . 348 .

٢١ - بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٨ .

٢٢ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٢٣ - محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ١٦٠ .

٢٤ - William of Tyre , Vol . II, p. 370 .

٢٥ - Ibid , p . 370 .

Ruhricht , p . 348 .

Tsuigitako , the Syrian costal town of Jabala , its History and present situation , p . 47 .

٢٦ - William of Tyre , Vol . II , p . 370 .

Ruhricht , p . 348 .

٢٧ - William of Tyre , p . 370 .

٢٨ - سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ، ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، عمر عبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري منذ أقدم العصور، ط . بيروت ١٩٨٤ م ، ص ٥١٦ ، كرد علي ، خطط الشام ، جـ ١ ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، ص ٣٧ .

Ruhricht , p . 348 , note (4) .

وحصن الأكراد Crac des Chevaliers وقع على طريق القوافل الواقعة في الشمال من حمص وحماه من جهة وطرابلس وطرطوس من جهة أخرى ، وذلك في وادي النهر الكبير ، وهو بالتالى وقع على بعد مائتين وأربعين كليو مترا من مدينة دمشق ومائة وأربعين كيلو مترا من طرابلس وأربعين كيلو مترا من حمص وترتب على موقعه الإستراتيجي المهم أنه مثل نقطة عسكرية خطيرة تمكنت من الممر الواقع بين سهول نهر العاصى والبحر المتوسط ، وقد أشرف على كل الإقليم الواقع بين منطقة أنطرطوس وطرابلس من ناحية ، وحمص من ناحية أخرى ، كما أشرف على إقليم البقاع الأمر الذى مكنه من السيطرة على ذلك الإقليم الغنى بموارده الإقتصادية المتعددة ، وقام حصن الأكراد بتوفير الحماية اللازمة لإمارة طرابلس الصليبية ، وامتاز بحصانة كبيرة ، واعتبره بعض الباحثين ذروة العمارة الصليبية فى بلاد الشام ، وقد سقط في قبضة الصليبيين حوالى عام ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م وذلك وفق ما يقرره ابن القلانسي وابن العبري وعز الدين بن شداد ، ويقدر البعض

عدد حاميته الصليبية بنحو ألفين من الفرسان ، وخضع لسيطرة عناصر فرسان الإسبتارية Hospitallers حوالى عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢م ، وقد تعرض ذلك الحصن لتأثير تدميري من جانب عدد من الزلازل التي منيت بها بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، وإن عمل الصليبيون على ترميم ما قد تهدم منه ، ولم يتمكن المسلمون من إسقاط حصن الأكراد إلا في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس فسقط في ٢ شعبان ٦٦٩ هـ / ٨ ابريل ١٢٧١ م .

عن حصن الأكراد انظر :

Marino Santo , Secrets for true crusaders to help them to recover the Holyland , trans . by A.Stewart , p.p.t.s. , Vol . VII, London 1896 . p . 5 .

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٢ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ ، ابن شداد الحلبي ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، جـ ٢ ، تحقيق سامي الدهان ، ط . دمشق ١٩٥٦م ، ص ١١٥ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق سركيس ، ط . بيروت ١٩٠٩م ، ص ٢١٧ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ١٥١ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط . بطرسبرج ١٨٣٥م ، ص ٢٠٨ ، مرفت محمد سالم ، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (٥٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١١٩٣ - ١٢٩١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢ م ، عبد العزيز عبد الدايم ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر م ، رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب - جامعة القاهرة ، عام ١٩٧١م ، ص ٤١ ، أبو الفرج العش ، آثارنا في الاقليم السوري ، ط . دمشق ١٩٦٠م ، ص ٩٦ .

King , " The Taking of le Krak des chevaliers in 1271 " , Antiquity , Vol . XXII,p . 89 .

Deschamps, les chateaux des croisés en Terre saint , T.I, le Crac des chevaliers , Paris 1934

Rihaoui , le Crac des chevaliers , Guide Touristque et Archeologique, Damas 1975 .

Fedden , Crusader Castles , Beirut 1957 , P. 50 .

Lawrence , Crusader Castles , Vol . I, London 1936 , p . 47 .

Boase, Kingdoms and strongholds of the crusaders , London 1971 , p . 80 .

Bradford , the Shield and the Sword , p . 27 .

أما قلعة عرقة Arka فقد وقعت فى المنحدرات الشمالية من لبنان على مسافة أسفل الوادى الذى يؤدى إلى حمص وحماه إلى الساحل ، وكانت المسافة بينهما وبين بعلبك تقدر بستة وتسعين ميلا ، وقد استولى

عليها الصليبيون وذلك في عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م ، وتمكنوا بذلك من قطع الطريق بين انطرطوس ، وطرابلس، وقد عهد الملك الصليبي عموري بأمر قلعة عرقة لهيئة الإسبتارية ، ويقدر البعض تاريخ ذلك بعام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، وقد تأثرت قلعة عرقة بعدد من الهزات الزلزالية التى أصيبت بها بلاد الشام ، وهي في ذلك تشبه ما حل بحصن الأكراد ، وقد تم تعمير قلعة عرقة بعد ذلك ، وسقطت نهائيا في قبضة المسلمين فى عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ، عن قلعة عرقة انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ١٥٥ - ص١٥٧ ، أبو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ ؛ ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط . باريس ١٨٩٤م ، ص ٤٨ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٢٨٦ ، عبد العزيز عبد الدايم ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

Runciman , the Crusades, Vol.II,p.389, not(2) .

Stevenson . the Crusaders in the east , p .31 .

Nantet , Histoire de leban , Paris 1963 , p . 61 .

أما قلعة صافيتا ، فوقعت في جبال النصيرية على الطريق بين مدينة طرطوس وحصن الأكراد ، وهي بالتالى وقعت في الاتجاه الجنوبي الشرقي من جزيرة أرواد ، وسميت في المصادر الصليبية باسم Chastle Blanc ، أي القلعة البيضاء ، وذلك لأنها بنيت بأحجار ناصعة البياض ، وقد شيدها الصليبيون عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م ، وقد تولى فرسان الداوية Templares حماية القلعة المذكورة ، وحاصرها الملك العادل نور الدين محمود عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١م أثناء مهاجمته لإمارة طرابلس الصليبية وإن سقطت نهائيا في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، عنها انظر :

ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٣٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ ، ابن الشحنة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ، عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ط . الإسكندرية ١٩٧٨م ، ص ٢٦٥ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٩٢ ، الظاهر بيبرس ، ط . القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٧٧ ، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط . القاهرة ١٩٦٥ كم ، ص ٦٢، سالم ، طرابلس الشام في العصر الإسلامي ، ط . الاسكندرية ، ص ٢٦٨ .

٢٩ - كرد علي ، خطط الشام ، جـ ٢ ، ص ٣٧ .

٣٠ - الفتح البنداري ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

٣١ - Attwater , the penguin Dictionary of saints , London 1975, pp . 273 - 274 .

القديس بطرس St. Peter ، هو رأس الحواريين ، كان في الأصل صيادا للسمك في بحيرة طبرية ، ويعد أخا للقديس أندرو St. Andrew ، وفي الأصل دعى سمعان بن يونا ، وأطلق عليه المسيح عليه السلام

اللقب الأرامى Kapha ، والذى يعنى الصخرة Rock ، وهى تقابل كلمة Peter أي بيتر ، وهو الذى سيعرف به ، ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة فريدة من بين الحواريين ، ويتضح ذلك من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى ؛ إذ أن المسيح يقول مخاطبا بطرس " أنا أقول لك أيضا أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ، أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه فى الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات " ، وقد استغل هذا الحديث كمايلاحظ شارل جنيبر إلى أبعد الحدود فى تدعيم مكانة كنيسة روما ، وسيادتها العالمية على سائر الكنائس ، وقد أوضح ذلك الباحث أن النصوص الإنجيلية لم تنسب إلى السيد المسيح تعبيرا مثل « كنيستى » أو « كنيسة الأب » إلا فى مناسبة واحدة ، وهى تلك التى وردت فى إنجيل متى ، وأوضح أن ذلك الحديث المشهور لايمكن بأى حال من الأحوال الإعتماد على صحته ، عن ذلك انظر :

متى ، الإصحاح (١٦) ، من ١٨ - ٢٠ .

إسحق عبيد ، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط . القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٧٢ - ص ١٧٣

. شارل جنيبر ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ت . عبد الحليم محمود ، ط . القاهرة ١٩٨٥م ، ص ١٦٧ .

Attwater , p . 273 - 274 .

٣٢ - William of Tyre , Vol . II, p . 370 .

٣٣ - رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٢٨ .

Ruhricht , p . 348 .

أيضا : إسحق أرملة ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٣ .

٣٤ - Fulcher of Chartres , p . 210 .

٣٥ - Attwater , p . 214 .

انظر الحاشية رقم (٣٩) ، الفصل الأول .

الفصل الرابع

زلـــزال عامـــي

٥٩٧ - ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ - ١٢٠٢ م

زلــــزال عامـــي

٥٩٧ - ٥٩٨ هـ /١٢٠١ - ١٢٠٢ م

يتناول هذا الفصل زلزال عامى ٥٩٧[١] ، ٥٩٨ هـ[٢] / ١٢٠١ ، ١٢٠٢ م ، وقد أشارت إليها العديد من المصادر التاريخية العربية ، وكذلك اللاتينية ، ولحسن الحظ فان لدينا مادة وثائقية لاتينية مهمة عن زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م يعبر عن وجهة النظر الصليبية حيال تلك الكوارث الطبيعية التي أصيبت بها ملكة بيت المقدس الصليبية ، وسيتم التعرض لتأثيرات تلك الزلازل فى مناطق كل من الطرفين الإسلامي ، والصليبي ثم عقد مقارنة بين زلازل العامين المذكورين ، والأعوام السابقة خلال المرحلة موضوع الدراسة .

والواقع أننا من الممكن أن ندرس زلازل العامين المذكورين معا ، نظرا لوقوعهما فى ختام القرن السادس الهجرى / أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، ولتتابعهما على مدى عامين متوالين .

وتجدر الإشارة إلى أنه بالنسبة لزلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م نجد أنه قد وقع بالتحديد في شهر شعبان من ذلك العام - مايو ، وفيه وقعت زلزلة عنيفة فى الشام هى جزء من نشاط زلزالى امتد إلى الموصل ، والجزيرة ، ومصر ، واحدثت تأثيرا مدمرا[٣] وعلى حد قول ابن الأثير « أثرت فى الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا »[٤] وهكذا عبر ذلك المؤرخ المعاصر لأحداث تلك الزلازل عن دورها التخريبي حينذاك ، وقد أصابت المناطق الإسلامية بالأضرار ، من ذلك أن مدينة دمشق خربت فيها العديد من المنازل [٥] ، تأثرت المنارة الشرقية بجامع المدينة وسقطت منه أربع عشرة شرفة [٦]، وأكثر الكلاسة ، وكذلك البيمارستان النورى ، وتشققت قبة النسر [٧]، أما في حمص ، وحماه ، فقد تهدمت العديد من المنازل أيضا بل إنه فى بصرى أنخسفت قرية بكاملها[٨] ، وتأثرت المناطق الساحلية تأثرا شديدا ، من ذلك أن مدن طرابلس ، وصور ، وعكا استولى عليها الخراب [٩].

أما أكثر المناطق تضررا فوفق مالدينا من إشارات مصدرية يمكن القول أن نابلس لم يبق بها سوى حارة السامرة ، ويقال أنه قتل بها ويقراها الثلاثون ألفا تحت الردم[١٠] ومن الواضح حجم المبالغة الرقمية الكبيرة فى التحديد المذكور .

أما الخسائر البشرية الناجمة عن زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ، فعلى حين أغفل ابن الأثير الإشارة إلى أية أرقام تقريبية نجد أن سبط بن الجوزى قدر القتلى بنحو « ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلا تحتها »[١١] أى من جراء تلك الهزات الزلزالية ، ويبدو أن مثل هذا الرقم مبالغ فيه بصورة كبيرة ، ومع ذلك فيوحى بأن القتلى كانوا كثيرين ، ولكن ليس من المنطقى تصور مثل ذلك العدد الذى أورده ذلك المؤرخ .

ويبدو من خلال مالدينا من مصادر تاريخية أن بلاد الشام في ذلك الزلزال كانت بمثابة منطقة نشطة له ، ويمكن إدراك ذلك دون عناء خلال أوصاف المؤرخين لما حل بها من صنوف التدمير ، وصور الخراب ، أما الأقليم المجاور لبلاد الشام ، ونعنى به العراق فبلغه الزلزال ضعيفا على مايبدو ، فلم يحدث هناك تأثيرات تدميرية كبيرة ، إذ أن ابن الأثير يشير إلى أن الزلزال كان يسيرا وبالتالى لم يؤد إلى تهديم المنازل[١٢] وكل ذلك يثبت لنا حقيقة جلية فى صورة أن العراق كان بعيدا عن مراكز الزلزال ، فلم يتأثر به تأثرا كبيرا على عكس بلاد الشام.

أما بالنسبة لزلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ فوفقا لعدد من الروايات التاريخية ، نجد أن ذلك الزلزال امتد على مدى يومين رئيسيين ، هما ٢٦[١٣] ، ٢٧[١٤] شعبان ٥٩٨ هـ / ٢١ ، ٢٢ مايو ١٢٠٢م ، وقد وصف الزلزال بأنه « كانت الأرض تسير سيرا ، والجبال تمور مورا ، وما ظن أحد من الخلق إلا أنها زلزلة الساعة » [١٥]، ومن جهة أخرى ، نجد أن الزلزال الواقع فى اليوم الأول أخذ شكل دفعتين الأولى استمرت ساعة أو ما يزيد عليها ، أما الثانية فيبدو أنها أقل من الأولى فى الوقت ، ولكن أشد منها ، وأعنف[١٦] ومن الممكن أن نقرر هنا أن تعبير « ساعة » الذى ورد فى أحد المصادر التاريخية لايعنى التحديد الزمنى الدقيق للكلمة، بل يعنى فترة زمنية قصيرة نسبيا لأنه ليس من المنطقي تصور أن يستمر زلزال ما مدة ساعة كاملة وينتج عنه الأضرار التى ذكرتها تلك المصادر التاريخية .

وإذا كان هذا هو شأن اليوم الأول من الزلزال ، فان اليوم الثاني كان له شأن آخر مختلف ، إذ شهد زلزلة ، وصفت بأنها « استوى من عملها اليقظان ، والنائم ، وتزعزع لها القاعد والقائم » [١٧]، ومن الجلى البين ، أن الهزات الزلزالية لليوم التالى كانت أقل وطأة إذا ما قورنت باليوم الأول ، بدليل أن نفس المؤرخ وهو عبد اللطيف البغدادى ، استعمل عبارات عنيفة فى التعبير عنها بالقياس إلى عباراته بشأن زلزال اليوم السابق .

وبالإضافة إلى اليومين الرئيسيين في النشاط الزلزالى ، هناك إشارة تفيد بأن هناك مدة أربعة أيام حدثت الزلازل فى الليل والنهار [١٨]، ومع ذلك فليس لدينا تفصيلات عن ذلك التأثير الذى أحدثته تلك الأيام الأربعة الأخيرة ، ويبدو أن صمت المصادر يدل على الأرجح على أنها كانت ثانوية ، ولم ينجم عنها تأثير مدمر حقيقى ، ومن ثم فحرى بنا أن نعتبر اليومين ٢٦ ، ٢٧ شعبان ٥٩٨ هـ / ٢١ ، ٢٢ مايو ١٢٠٢ م ، يمثلان - بحق - النشاط الحقيقي والقوى لزلزال ذلك العام .

ويلاحظ أن ذلك الزلزال قد أثر على السواء فى المناطق الإسلامية وكذلك الصليبية ، وإن اتضح بجلاء أن التأثير التدميرى فى المناطق اصليبية فاق ما حل بالمناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية .

أما بالنسبة للمناطق الإسلامية ، فنجد أن مدينة دمشق شهدت سقوط ست عشرة شرفة من الجامع الأموى ، وكذلك إحدى المآذن وقد تشققت ثانية [١٩]، وانخسفت منطقة تسمى الكلاسة[٢٠] ، وهى تقع فى الجهة الشمالية من الجامع الأموى ، كذلك وقعت بعض التشققات فى ذلك الجامع فى أجزاء متعددة ، وهكذا فان العمائر الدينية فى بلاد الشام ، كانت هى الأخرى من المواقع المصابة من جراء الزلزال ، كذلك أصيب البيمارستان النورى ، وتهدمت بعض المساكن [٢١].

ويلاحظ أن المصادر التاريخية تذكر أضرارا لحقت بمواقع أصيبت من قبل فى أحداث زلزالعام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ، وها هى الآن تصاب أيضا فى زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، وخير شاهد على ذلك الجامع الأموى والبيمارستان النورى ، والكلاسة ، وهذا يعنى إحتمال قائم في صورة أن الترميم الذى وقع في العام الأول لم يكن قويا بدرجة كافية ، وبالتالى لم يصمد لزلزال العام التالى مع عدم إغفال جوانب مهمة أخرى تتمثل فى أن تلك العمائر منها ما قد عمر طويلا مثل الجامع الأموى الذى قد شيد فى أواخر القرن الأول الهجرى / أوائل القرن الثامن الميلادى ، ومن المتصور أن مثل تلك العمائر التى كانت قد عمرت نحو خمسة قرون عند حدوث تلك الهزات الزلزالية كانت بدورها هدفا سهلا لها ولذلك أصيبت من جرائها.

أما الآثار التدميرية فى حماه، وهى التى أصيبت من قبل بالزلزال المدمر عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، فقد تأثرت بزلزال ذلك العام خاصة القلعة على الرغم من حصانتها ، ومناعتها .

وبالإضافة إلى ذلك ، وجدت عدة مدن أصيبت من جراء تلك الهزات الزلزالية ، ومن أمثلتها بانياس ، وصفد ، وتبنين ، ونابلس ، وحوران[٢٢] ، ولعل المنطقتين الأخيرتين كانتا من أكثر المناطق التى لحق بها التدمير ، إذ أن هناك من يشير إلى أن نابلس « لم يبق بها جدار قائم سوى ما عرف بالمسرة »[٢٣] ، أما حوران ، فقد غارت ، وضاعت الكثير من معالمها [٢٤].

زد على ذلك ، أن جبل لبنان تأثر بذلك الزلزال ويقال أن قسمين جبليين أطبقا على بعضهما الآخر على نحو أدى إلى هلاك مائتى رجل [٢٥].

أما المناطق التابعة للسيادة الصليبية ، فان المصادر التاريخية الإسلامية لاتوضحها بصورة دقيقة ، واكتفت بالقول بأن الساحل أضير من جراء ذلك الزلزال ، وكذلك أكثر بلاد الفرنج وهكذا فليس بامكاننا إلا الاتجاه إلى المصادر الصليبية ذاتها من أجل توضيح حقيقة ما حدث فى تلك المناطق .

ومن قبل ذلك ، من الضرورى أن نلاحظ أهمية نصوص صلح الرملة الذى عقد فى ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ / ٢ سبتمبر ١١٩٢م [٢٧] من أجل توضيح الإمتداد الجغرافي لكل من الطرفين الإسلامي ، والصليبي ، وفيه تقرر أن يكون للصليبيين المنطقة الممتدة على الساحل الشامى ، من صور Tyre ، إلى يافا Joppa ، ويدخل فى نطاقها قيسارية Caesarea ، وحيفا Haifa، وعكا Acre ، وأرسوف Arsuf .

وباستثناء تلك المناطق من الساحل ، وكذلك اللد ، والرملة التى تم الاتفاق على أن تكون مناصفة بين الطرفين ، فهى للسيادة الإسلامية ، وبالتالى فعندما تشير المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة إلى أن الزلزال قد دمر مدن الساحل ، فينبغى أن ندرك أن ذلك يعنى مناطق خاضعة لسيطرة المسلمين أيضا ، ولا يقتصر الأمر على المناطق الصليبية فقط .

أما المصادر اللاتينية فهى تكشف الأمر بصورة جلية بالنسبة للمناطق الصليبية ، ونجد أن فيليب البلسيس Philip du Plessis مقدم الداوية templars فى رسالته إلى أرنولد الأول رئيس رهبان سيتو Arnold I Abbot of Citeaux ذكر ذلك الزلزال على اعتبار أنه وقع فى الساعات الأولى ، من الصباح ، وكان أعنف زلزال وقع من بدء الخليقة [٢٨] وهذا من وجهة نظره بطبيعة الحال ، وقد تحطم القسم الأكبر من عكا ، وقتل على أثر ذلك الكثيرون من السكان [٢٩].

ويقرر أيضا أنه لحسن الحظ ، فان مقر هيئة الداوية فى مدينة عكا Acre ، لم يصب بسوء، ولم يسقط على أثر ذلك الزلزال العنيف المدمر [٣٠]، مع ملاحظة أن القصر الملكى The Royal palace فيها قد دمر [٣١]، أما فى صور Tyre ، فان الخراب كان متسعا، ويتضح ذلك من تقريره بأن المدينة جميعها دمرت باستثناء بعض الأجزاء فقط ، وبالتحديد ثلاثة أبراج محصنة[٣٢]، كذلك سقط أغلب طرابلس Tripolis على أثر ذلك ، وسقط الكثيرون صرعى ، وأصيبت أنطرطوس Tartosa [٣٣]بذات المصير ، أما بالنسبة للقلاع الصليبية فقد أفادت تلك الوثيقة المرسلة من مقدم التنظيم الذى سيطر على عدد وافر من القلاع في بلاد الشام ، أفادت في توضيح أمر دمار قلعة عرقة Arka بالكامل ، وكذلك قلعة أرسوفArsuf [٣٤]، ويسميها أرسوم Arsum ولعل ذلك الخطأ من الناسخ ، إذ لا توجد مدينة فى بلاد الشام تحمل هذا الاسم ، أما بالنسبة لبرج صافيتا أو ما يسمى فى المصادر الصليبية Chastel Blanc ، فقد دمر فيه القسم الأكبر من الحوائط [٣٥].

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الحصن على نحو خاص كان من أقوى حصون هيئة الداوية tem-plars وأشدها منعة ، وعندما تشير الوثيقة إلى أن القلاع المحصنة أصيبت من جراء تلك الهزات الزلزالية ، فان ذلك يكشف لنا بالضرورة أن مساكن الصليبيين في إمارة طرابلس ، إذ وقع الحصن شمال شرقها ، قد أصيبت على نحو مروع ، وهذا ما أقره مقدم الداوية نفسه .

ولعل من أهم الجوانب التي احتوتها الوثيقة أنها ذكرت حدوث طاعون حاد في أعقاب ذلك الزلزال [٣٦]، وقد انتشر الطاعون سريعا خلال صيف ذلك العام ، وقد أدى ذلك إلى الفتك بأرواح ثلث أولئك الذين نجوا من الموت تحت الأنقاض [٣٧] ، ولعل هذا المصير المأساوى قد جعل مقدم الداوية ينهي رسالته بطلب الصلاة من رئيس رهبان سيتو ، من أجل المساعدة في مواجهة تلك المحنة الفتاكة .

وهكذا يمكن القول أن الطاعون قد انتشر في صفوف الصليبيين ، في أعقاب حدوث ذلك الزلزال المروع ، وذلك على ما يبدو كنتيجة طبيعية لعدم القدرة على دفن جثث الموتى بسرعة، ويبدو أن الصليبيين صاروا محاصرين بين زلزال مدمر فتك بالكثيرين ، ثم طاعون منتشر فى صفوف الناجين منه .

أما في الوثيقة الثانية ، وهي عبارة عن الرسالة التى أرسلها جيوفري الدنجوني Geof-frye of Donjon مقدم هيئة الإسبتارية Hospitallers إلى الملك سانشو السابع ملك نافارا

Sancho V11 of Navarra [٣٨]، ففيها ما يؤكد الرسالة السابقة ، وهو يقرر أن الزلزال هز بلاد الشام ، سواء المناطق الصليبية أو المناطق المسلمة ، فى الساعات المبكرة من الصباح ، وقد تأثرت الأبنية والقلاع بذلك ، ومنها ما أنهار ، والبعض الآخر ظل قائما ، ولكن مهدد بخطر الإنهيار .

ويحدد جيوفرى الدنجونى معالم التخريب من جراء الزلزال ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م فى المدن الصليبية المتعددة ، ونجد أن مدينة عكا ، وهى المدينة الرئيسية بعد طرد الصليبيين من مدينة بيت المقدس عقبي إنتصار المسلمين فى معركة حطين الحاسمة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، وانتزاعهم لها من السيادة الإسلامية ، نجد أن الحوائط ، والأبراج إنهارت حتى أن المقر الملكي قد أصيب هو الآخر بذات المصير ، ووجد على أثر ذلك عدد كبير من القتلى [٤٠]، وهو أمر أشارت إليه من قبل الوثيقة اللاتينية السابقة .

أما مدينة صور Tyre وهى المدينة الثانية بالنسبة للصليبيين حينذاك ، والتى تمتعت بحصانة شهيرة ، طالما رددت المصادر العربية ،والصليبية الحديث عنها [٤١] ، فقد إنهارت الحوائط ، والأبراج ، وكذلك الكنائس ، والمنازل ، حتى أن جيوفرى يظهر مخاوفه من أن إصلاح ما قد هدمه ذلك الزلزال قد يحتاج إلى أبعد من الجبل الذى يحيا بين ظهرانيه [٤٢]، من أجل أن تعود المدينة إلى سابق عهدها من الإزدهار ، وإذا انتقلنا صوب طرابلس Tripolis نجد أن مقدم الاسبتارية يوضح أن الخسائر البشرية فيها كانت فادحة ، بيد أن الدمارفي المنازل كان أقل من مناطق أخرى [٤٣]، مع ملاحظة عدم امكانية تصور ذلك ، فالمنطق يدعونا إلى إدراك أن أغلب المدينة أصابه الدمار ، وقتل أكثر السكان من جراء ماحل بها، وهو ما قرره مقدم الداوية فيليب البلسيسي الذى أوضح أن طرابلس سقط أغلبها، وسقط الكثيرون صرعى، ولذلك فليس من الطبيعي الفصل بين الخسائرفى الأبنية ، والخسائر البشرية خاصة مع ملاحظة أن نفس المقدم ، يذكر أن الزلزال وقع فى الساعات الأولى من الصباح حيث يكون الناس هاجعين فى منازلهم ولم يغادروها بعد طلبا للرزق .

أما إذا انتقلنا إلى أنطاكية Antioch ، فيقرر ذلك المقدم أنها شعرت بالزلزال ، بيد أنها لم تصب من جرائه باصابات مدمرة على نطاق كبير [٤٤].

ومن جهة أخرى ، تلقى الوثيقة الضوء على ما أصاب قلاع الصليبين ، إذ توضح أن حصن الأكراد crac des chevaliers ، وهو الحصن الرئيسي حينذاك لفرسان الإستبارية ، وكذلك

حصن المرقب Margat وقد أصيبا بصورة كبيرة (٤٥)، ويقرر أنه من الممكن أن يقوم الحصنان بدورهما فى صد إغارات المسلمين ، فى حالة عدم وقوع هزات زلزالية جديدة مدمرة ، تضيف دمارا جديدا إلى الدمار السابق ، ومن الواضح أن أصابات الحصنين المذكورين لم تكن فى أجزاء أساسية ، وأن الصليبيين كان بامكانهم إعادة ترميم ما قد تهدم .

وهكذا أثرت الهزات الزلزالية المدمرة فى مناطق الصليبيين ، وشمل التدمير العمائر المدنية، والدينية ، والحربية ، كما شمل القتل السكان من الصليبيين ، ومن الطبيعي أن ينجم عن ذلك الخراب ، والدمار عدة مشكلات ، وهذا ما كشفت النقاب عنه تلك الوثيقة ، إذ أن الإمدادات الغذائية لم تعد تصل في يسر للسكان الذين قدر لهم الحياة ولم يلقوا حتفهم ، وعلى نحو خاص الحبوب ، ويقرر أنه في عيد القديس جورج St. George الموافق ٢٣ أبريل ، كانت قد حدثت إصابة حلت بالحبوب على نحو أوجد نقصا حادا فيها (٤٦).

ومن الجلى البين أن تلك الإصابة كانت بمثابة إصابة وبائية لحقت بمناطق الصليبيين ، وقد ضاعفت بلاريب المشاكل التى عانوا منها ، ومن المتصور أن الطرق التجارية قد تضررت من جراء ذلك الزلزال ، على نحو ضاعف المشاكل الخاصة بالإمدادات الغذائية .

أما إذا نظرنا إلى رؤية المصادر الإسلامية لما حل بالصليبيين فنجد أنها أبرزت ما حل بعكا، التى سقط أكثرها (٤٧)، وكذلك صور (٤٨)، ويبدو أن تلك المصادر لم يصل إلى علمها ما حل بالمناطق الصليبية بمثل تلك الصورة التى نجدها فى المادة الوثائقية الصليبية ذاتها ، ومن ثم جاء طابع الايجاز ، والاقتضاب الذى نلمسه فى لغة تلك المصادر ، حيال ما حل بالمناطق الصليبية .

وتبقى زاوية مهمة يمكن أن تثار ، وهى تتصل بامكانية عقد مقارنة بين زلزالى عام ٥٦٥هـ / ١١٧٠م ، وعام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م .

والواقع أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م اتفق مع زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م من حيث أن كلا منهما امتد تأثيره فشمل المناطق الإسلامية ، وكذلك المناطق الصليبية ، وأن المناطق الأخيرة فاقت الأولى من حيث نصيبها من التدمير والتخريب ولعل هذه الناحية تمثل نقطة الاتفاق الرئيسية بين الزلزالين ، بينما وجدت هناك نقاط للاختلاف والافتراق متعددة .

أما عوامل الاختلاف بين الزلزالين ، فمنها أن زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، ليس لدينا بشأنه مادة وثائقية لاتينية ، أما زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، فان لدينا بشأنه تلك النوعية من المصادر .

ومن زاوية أخرى فان زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، لم ترد إشارات بشأنه من خلال المصادر الصليبية فيما يتعلق بانتشار الطاعون بعد وقوعه ، إذ أن تاريخ وليم الصورى لم يحتو على أدنى ذكر لذلك ، على الرغم من التفصيلات التى قدمها بشأن ذلك الزلزال ، بينما فى عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م تأكد حدوث ذلك المرض الوبائي الفتاك فى أعقاب الزلزال المذكور.

زد على ذلك ، اختلاف زلزال عام ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠م ، عن زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م، من حيث الآثار الناجمة عنهما وكذلك النطاق الجغرافي في كل من المناطق الإسلامية ، والصليبية ، إذ أن الزلزال الأول أصاب بصورة أكبر ، أنطاكية ، وطرابلس بالنسبة للصليبيين، وحلب ، وبعرين بالنسبة للمسلمين أما زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م ، فان المناطق الأكثر تضررا كانت لدي الصليبيين ومن أمثلتها عكا ، ولم تحدث فيه إصابات كبيرة لدى مناطق المسلمين ، ولاريب فى أن اختلاف التوزيعات الجغرافية للمناطق المتضررة أكثر من غيرها من جراء الزلازل ، تمثل أحد الفروق الأساسية بين الزلزالين .

مجمل القول أن زلازل عامى ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ، ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م كانت من أعنف ما أصاب بلاد الشام سواء فى المناطق الإسلامية ، أو المناطق الصليبية فى ختام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادى ، وكانت بدورها ختام مجموعة كبيرة من الهزات الزلزالية المدمرة التى تعرضت لها بلاد الشام منذ بداية النصف الثانى من القرن المذكور حتى ختامه .

الهوامش

١ - عن زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م انظر :

ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٢٥٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ط . القاهرة ب - ت ، ص ٢٧ - ص ٢٨ ، ابن نظيف الحموى ، التاريخ المنصورى تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ط . دمشق ١٩٨٢م ، ص ٢٥ ، الذهبى ، دول الإسلام ،جـ ٢ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٦٥هـ ، ص ٧٩ ، العبر ،جـ ٤ ، ص ٢٩٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٦، ص ١٧٤ ، السيوطى ، كشف الصلصلة ، تحقيق كمال الدين عز الدين ، ص ١٩٥ - ص ١٩٧ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب جـ ٤ ، ص ٣٢٨ .

٢ - عن زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م انظر :

عبد اللطيف البغدادى ، الإفادة والإعتبار ، ص ١٠٠ - ص ١٠٢ ، أبو الفداء ، المختصر ، م(٢) ، جـ (٥)، ص ١٣١ ، أبو شامة ، الذيل ، ص ٢٩ ؛ ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٧٦ ، سبط بن الجوزى، مرآة الزمان ، جـ ٨ / ق ٢ ، ص ٢٨٠ ، ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، تحقيق شيخو، ط . بيروت ١٩٠٧م ، ص ٧٤ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٨ ، السيوطى ، المصدر السابق ، ص ١٩٨.

وانظر أيضا هذه المصادر اللاتينية والأرمينية :

Annales de Terre Sainte , ed. Raymond and Ruchricht, A.O. L ., T.II, Paris 1884, p . 435 .

Hethum count Gorigos , Table chronologique, R.H.C., Doc .Arm, T.I.p.480.

Les Gestes des Chiprois , R.H.C., Doc . Arm., T.II,p.50 .

Geoffrey of Donjon , in Mayer , " Two unpulished letters on the earthquake of 1202 " , In medieval and middle eastern studies , in honor of Aziz Surial Atia, ed by Sami Hanna , Leiden 1972, pp. 306 - 307 .

Philip de plessis , in Mayer, Two unpublished letters about the earthquake of 1202, p. 304 .

وهذه المراجع :

Ruhricht, Geschice des Konigreichs Jeruslem, p . 684 .

Jipejian , Byblos throught the ages, p . 45 .

محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية ، ص ٤٥٦ .

٣ - عبد الله يوسف الغنيم ، أسباب الزلازل وأحداثها ، ص ٢٣٨ .

٤ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٥٥ .

٥ - نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

٦- ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٧ - ص ٢٨ .

٧ - ابن تغري بردى ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٧٤ .

٨ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٥٥ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق الرفاعى والعثمانى ، ط . بيروت ١٩٨٦م ، ص ٥٢٠ .

٩ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٥٥ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٧ .

١٠ - الذهبى ، دول الإسلام ، جـ ٢ ، ط .حيدرأباد الدكن ١٣٦٥هـ ، ص ٧٩ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٧ .

وانظر عن إصابة نابلس:

سعيد البيشاوى ، نابلس ، الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ، ص ٢١٠ .

Benvenisti, the Crusaders in the Holy land , Jerusalem 1975 , p . 164 - 165 .

١١ - نقلا عن : ابن كثير ، المصدر اسابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٧ .

١٢ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٥٥ .

١٣ - عبد اللطيف البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .

١٤ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠١ .

١٥ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠٠ .

١٦ - نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .

١٧ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠١ .

١٨ - نفسه ، نفسالمصدر ، ص ١٠٣ .

١٩ - نفسه ، نفس المصدر ، ص١٠١ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

٢٠ - عبد اللطيف البغدادى ، المصدر السابق ، ص ١٠١ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ص ٢٩

٢١ - عبد اللطيف البغدادى ، المصدر اسابق ، ص ١٠١ ، أيضا :

Ruhricht , p . 684 .

البيمارستان النورى ، بناه الملك العادل نور الدين الدين محمود عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م ، ووقف له ما يلزمه من الأموال ، ويقال أن المال الذى تم إنفاقه من أجل بناء ذلك البيمارستان تأتى إلى الدولة النورية من

جراء فدية أحد الأمراء الصليبيين الذين تم إطلاق سراحهم ، وقام بدر الدين ابن قاضي بعلبك الذى تولى إدراته عدة سنوات - قام بشراء بعض المنازل المجاورة للبيمارستان ، وقام باضافتها إليه ، ووسعه بالتالى ، وقد تم جلب المياه إلى أقسامه ، وزاره الرحالة الأندلسي ابن جبير (ت ٦١٦ أو ٦١٧ هـ / ١٢١٩ أو ١٢٢٠م) ، وأظهر إعجابه به ، ومن الأطباء الكبار الذين عملوا به شمس الدين اللبودى (ت ٦١٢ هـ / ١٢٢٤م) ، وسديد الدين بن رقيقة (ت ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م) .

عن البيمارستان النورى انظر :

ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، م (٢) ، جـ(١) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . دمشق ١٩٥٥م ، ص ١٥٨ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٥٥ ، ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، ط . بيروت ١٩٦٥م ، ص ٧٥١ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. مكة المكرمة ١٩٨١م ، ص ٢٢٣ ، حنيفة الخطيب ، الطب عند العرب ، ط . بيروت ١٩٨٨م ، ص ٢١٢ - ص ٢١٣ ، عمر رضا كحالة ، العلوم العملية في العصور الإسلامية ، ط. دمشق ١٩٧٢م ، ص ١١٨ - ص ١١٩ ، أكرم الدجاني ،" المشافى والتمريض فى التراث الطبى الإسلامى "، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، ط . عمان ١٩٨٧م ، ص ٦٢ .

٢٢ -عبد اللطيف البغدادى ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

٢٣ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٢٤ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٢٥ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

٢٦ - نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠٠ ، ٢٧ - عن شروط صلح الرملة بين السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى وريتشارد الأول انظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٢٢٣ - ص ٢٣٤ ، على السيد على ، " أضواء جديدة على العلاقات الإقتصادية بين المسلمين ، والفرنج فى بلاد الشام فى عصرالحروبالصليبية (بلاد المناصفات) " ، الدارة ، العدد (١) ، السنة (١٨) ، شوال - ذو القعدة - ذو الجة ١٤١٢هـ ، ص ١٦٩ ، عاشور ، الناصر صلاح الدين الأيوبى ، ط . القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٢٦٧ ، عبد الله سعيد الغامدى ، صلاح الدين والصليبيون ، استرداد بيت المقدس ، ط . مكة المكرمة ١٩٨٥م ، ص ٢٨٠ ، سعيد البرجاوى ، الحروب الصليبية في الشرق ، ط . بيروت ١٩٨٤م ، ص ٤٣٧ - ص ٤٣٨ ، السيد الباز العرينى ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ط . القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٠٠٨ - ص ١٠٠٩ ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، الأيوبيون ، ط . بيروت ب - ت ، ص ١٠٣ ،

وفى الكتاب الأخير يقرر العرينى أن مدة صلح الرملة بلغت خمسة أعوام ، والواقع أن المصادر التاريخية الخاصة بالعصر الأيوبى ، قد قررت أن مدته هى ثلاث سنوات ، وثلاثة أشهر ، وثلاثة أيام ، عن ذلك انظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، أبو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤٠٤ .

٢٨ - Philip du plessis , in Mayer , Two unpulished letters on the syrian eartquake of 1202 , p . 304 .

٢٩ - Ibid , p . 304 .

٣٠ - Ibid , p . 304 .

٣١ - Ruhricht , p . 684 .

٣٢ - Philip du plessis , p . 304 .
Ruhricht , p . 684 .

٣٣ - Philip du plessis , p . 304 .

وقد وقعت قلعة أنطرطوس على الساحل الشمالى ، ووصفت أنطرطوس نفسها بأنها مدينة مواجهة لحمص، ووفقا لتصور أحد الرحالة المجهولين الأوربيين فقد تحددت المسافة بين عكا ، وأنطرطوس برحلة تستغرق ستة أيام ، ويلاحظ أن اسم أنطرطوس يرد في المصادر العربية على أنه أنطرطوس أو طرطوس ، أما المصادر الصليبية فيرد الإسم على أنه Tartosa , Amtardus ، وقد امتازت القلعة بحصانتها ، ومن مميزاتها المعمارية أنها احتوت على خطين دفاعيين ، وذلك من أجل زيادة تأمين دفاعاتها وصد هجمات المهاجمين ، كذلك احتوت على عدة أبراج وخندق ، ويبدو أن الصليبيين قد استولوا على أنطرطوس، وذلك فى عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م ، وكانت تابعة لبنى عمار ، وفيما بعد خضعت القلعة لسيطرة عناصر الداوية Tem-plars ، وعمل المسلمون على مهاجمتها ، ومن أمثلة ذلك أن الملك العادل نور الدين محمود هاجمها ، وذلك فى محرم ٥٤٧ هـ / إبريل ١١٥٢م ، وقتل من فى القلعة من الصليبيين ، وطلب الباقون الأمان فأمنهم واحتلها فترة من الوقت ، ولكن يبدو أنهم عاودوا - فيما بعدد - إحتلالها ، لأن المصادر التاريخية تشير إلى أن المسلمين بقيادة الناصر صلاح الدين الأيوبى قد تمكنوا من إسقاطها فى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، وقد غنموا من وراء ذلك مغانم وفيرة ، غير أن الصليبيين عادوا - فى مرحلة تالية - إلى الإستيلاء عليها ، ونجد أنهم هادنوا السلطان المملوكى الظاهر بيبرس ، وذلك فى عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧١م ، أما في عهد السلطان المنصور قلاوون فقد قام بعقد هدنة مع عناصر الداوية في أنطرطوس ، وذلك فى عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ، وعلى أساسها تم الإتفاق على أن تدوم عشر سنوات ، وعشرة أشهر ، بيدأن القلعة سقطت على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، وذلك فى عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م ، وبالتالى كانت من آخر القلاع التى خضعت لسيطرة الداوية التى سقطت فى أيدى المماليك .

عن قلعة أنطرطوس انظر:

Anonymous pilgrims , Anonymous pilgrim V, Trans by Aubrey Stewart, P .P.T.S..vol. VI, London 1897 , p. 27 .

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ص ٣١٨ ، ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٢١٥ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٨ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٢٢٩ - ص ٢٣٠، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، تحقيق سامي الدهان ، ط . دمشق ١٩٧٨م ، ص ١٠٢ ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١/ ق ٢ ، ط . القاهرة ، ص ٥٩١ ، اليونيني البعلبكي ، ذيل مرآة الزمان ، جـ ٢ ، ط . حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٨هـ ، ص ٤٤٧ - ص ٤٤٨ ، منى عبد الرحمن ، السفارات الأجنبية فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ص ١٥ ، عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٧٤ ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٤٨ ، حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٦١ ، Stevenson , The Crusders in the eust, p . 171 , note(1),

le strange Palestine under Islam , London1890 , p . 394 .

Gabrieli , Arab Historians of the crusades .

Philip de Plessis , p . 304 . - ٣٤

وقد وقعت قلعة أرسوف على الساحل الفلسطيني بين قيسارية ، ويافا ، ولدينا وصف موجز له أهمية أورده أحد المصادر اللاتينية وفيه يرد أن القلعة كانت قريبة للغاية من ساحل البحر ، ووقعت على رابية صغيرة من الرمال ، ويلاحظ أن الصليبيين بقيادة جودفري البويوني قد استولوا عليها وذلك فى عام ٤٩٢ هـ / ١١٠١م ، وعملوا من بعد ذلك على تحصينها وخضعت لسيطرة عناصر الإسبتارية من أجل حمايتها والدفاع عنها ، وكان قيامهم بذلك العمل فى مقابل أربعة آلاف بيزيت فى العام ، وقد سقطت قلعة أرسوف نتيجة لجهود المسلمين بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، وإن تمكن الصليبيون فيما بعد من استعادتها وكان سقوطها النهائي فى عهد السلطان الظاهر بيبرس فى عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م ، بعد حصار دام أربعين يوما، وقد دافع فرسان الإسبتارية عنها دفاعا مستميتا ويقال أنهم فقدوا فى سبيل ذلك نحو تسعين فارسا ، وقد أمر الظاهر بيبرس بتخريب عمارة القلعة بعد استيلاء المسلمين عليها .

عن قلعة أرسوف انظر :

Guide book to Jerusalem , Trans . by J.H., Bernd, p .p.T.S., vol . VI, London 1894, p . 34 .

The City of Jerusalem , Trans . by C.R.Conder , p.p.T.S ., vol . VI, London 1894 , p . 32 .

- Riley - Smith , the Knights of st.John of Jerusalem , London 1967 , p. 133 - 134 , the feudel Nobility in the Latin Kingdom of Jerusalem , London 1970 , p . 60 .

Mayer , the Crusades , p . 269 , Stevenson . op.Cit., p . 338 .

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط . الرياض ١٩٧٤م ، ص ٢٤٣ ، مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد ، ص ٤٧٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٤٤ - ص ٢٤٥ ، الذهبي ، دول الإسلام ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ ، عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٦٤ - ص ٦٥ .

٣٥ - Philip de Plessis , p . 304 .

Ruhricht , p . 684 .

وعن ذلك الحصن انظر : الفصل الثالث ، حاشية (٢٨) .

٣٦ - Philip de Plessis , p . 304 .

٣٧ - Ibid , p . 305 .

٣٨ - Geoffrey of Donjon , in Mayer , Two unpuplished letters on the Syrian earthquake . of 1202 , p . 303 .

٣٩ - Ibid , p . 303 .

٤٠ - Ibid , p . 303 .

٤١ - وعن حصانة مدينة صور انظر :

ابن حوقل ، صورة الأرض ، تحقيق دي جويه ، ط . لندن ١٩٦٧م ، ص ١٧٤ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦٣ - ص ١٦٤ ، ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ط . بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢١٧ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٧٥ .

Jannes Phocas , A brief Description of the Holy Land , Trans . by A.Stewart , p .p .T.S., vol . V,London 1896 , p . 10 .

سر الختم عثمان ، صور في القرنين ١٢ ، ١٣ م ، ص ٤ ، ص ٧ ، محسن محمد حسن ، « مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور » المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) ، الكويت ١٩٨٧م ، ص ٣٢.

٤٢ - Gooffrey of Donjon , p.303 .

٤٣ - ibid , p . 303 .

٤٤ - Ibid , p . 303 .

٤٥ - Ibid , p . 303 .

وعن حصن الأكراد Crac des Chevaliers انظر ، الفصل الثالث ، حاشية (٢٨) .

أما حصن المرقب فقد وقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بانياس بالقرب من ساحل البحر المتوسط ، ويلاحظ أن اسم الحصن ورد في المصادر التاريخية على أنه Castrum Margatum ، وفى اللغة العربية سمى المرقب بهذه التسمية لأن الأهلة منه ترقى وترقب كما يقرر ابن عبد الظاهر ، وقد بنى حصن المرقب من أحجار سوداء قديمة واحتوى على أسوار مزدوجة تتخللها الأبراج المستديرة الشكل ، وامتازت الأبراج بارتفاعها الشاهق ، ويلاحظ أن الحصن المذكور وقع فى موقع استراتيجي هام حيث كان البحر يحميه من ناحية ، والجبال من ناحية أخرى وأحاطت به بعض الوديان الطبيعية ، وفى داخل الحصن وجدت كنيسة مربعة الشكل وبسيطة في تكوينها المعماري، وكانت هناك الحمامات وصهاريج المياه ومخازن المؤن التى يقال أنها كانت تكفى عدة أعوام ، كذلك كانت هناك مساكن المدافعين عن الحصن ، وقد قدر عددهم بألفين من الرجال ، وقد خضع حصن المرقب لسيطرة عناصر الاسبتارية ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ذلك ، ولجد أن رايلي سميث يقرر أن العام الذي خضع فيه حصن المرقب للهيئة المذكورة هو عام ٥٢٨ هـ / ١١٨٦م ، بينما تصور شيخو أن ذلك وقع عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م ، أما كافاليرو فقد اعتقد أن ذلك حدث عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م ، والواقع أن الرأى الأخير أبعد الآراء عن الصواب ، لأنه العام الذى وقع فيه حصن المرقب فى قبضة المماليك ، ومن غير المنطقي تصور أن تاريخ سقوط الحصن هو ذاته تاريخ حصول هيئة الاسبتارية على أمر الدفاع عنه ، أما الرأي القائل بعام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م ، فهو لايجد ما يدعمه خاصة أن الخطر الذى واجه الصليبيين وقلاعهم كان أقوى مايكون في القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ومن المستبعد أن يظل حصن المرقب - وهو الحصن البالغ الحصانة والمنعة طوال القرن المذكور بعيدا عن سيطرة هيئة الاسبتارية التي خضع لها هي وهيئة الداوية العديد من الحصون ، والقلاع الصليبية ، ولذا فمن الممكن استبعاد الرأى القائل بان ذلك وقع في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وبالتحديد عام ٦٠٤ هـ / ١٣٠٧م ، أما الرأى الذى يحدد الحادثة بعام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ، ربما كان أقرب الآراء إلى الحقيقة التاريخية ، ويبدو أن عجز الأيوبيين عن إسقاطه فيما بعد معركة حطين كان يرجع - فيما يبدو - إلى المقاومة العنيفة التي أبداها الاسبتاريون ، مهما يكن من أمر ، فقد تعرض حصن المرقب لعمليات حصار من جانب المسلمين بغية إسقاطه، ومن أمثلة ذلك قيام صلاح الدين الأيوبى بحصاره عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٨م ، دون جدوى ، وكذلك قيام ابنه الظاهر غازي صاحب حلب بحصاره عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م ، ومن ناحية أخرى ، حاول الظاهر بيبرس إسقاط المرقب غير أنه لم يتمكن من ذلك ، ويقرر أبو الفرج العش أنه اسقطه غير أن هذا الرأى لايجد سندا ولو باهتا من دعم المصادر التاريخية ؛ إذ أن ذلك الحصن المنيع سقط فى عهد السلطان المنصور قلاوون في عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م ، وفق نصوص المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة .

عن حصن المرقب انظر :

John Poloner , Description of the Holy Land , Trans . by Stewart , p . p . T . S . , vol . VI, London 1890 , p . 34 .

ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٥٠٠ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٥ ، ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، ط . القاهرة ١٩٦١م ، ص ٨٥ ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ ٤ ، ط . القاهرة ، ص ١٤٥ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٦٧ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٦١ ، المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ ، مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك ، نشر زيترشتين ، ص ٢٤٢ ، اليونيني البعلبكي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٤٧ - ص ٤٤٨ ، ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ١ ، ط . القاهرة ، ص ١١٦ ، أبو الفرج العش ، آثارنا في الاقليم السوري ، ط . دمشق ١٩٦٠ م ، ص ٢٣٨ ، عاشور ، الحركة اصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٢٨ ، صلاح الدين الأيوبى ، ص ٢١٠ .

Rey , Les Colonies Fmques de Syria aux XIIc Et XLLLc siecles , Paris 1883 , p . 120 , Dussaud , Topographic Historique la Syrie Antique et Medievale , Paris 1931 , p . 152 . , Riley - Smith , the Feudal Nobility , p . 29 , Cavaliero , the last of the Crusaders , p.2 , King , the Kinghtis of st.John , p . 31 , Runciman , the Crusades , vol . III, Cambridge 1955 , p . 392 , Ziada , " The Mamluk Sultan to 1293 " , in setton , the Crusades , vol . III , p . 752 .

٤٦ - Geoffrey of Donjon , p . 303 .

٤٧ - عبد اللطيف البغدادى ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

٤٨ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

الفصل الخامس

الآثار الناجمة عن زلزال الشام
النصف الثاني من القرن
السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادي

الآثار الناجمة عن زلزال الشام
النصف الثاني من القرن
السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادي

أحدثت الهزات الزلزالية المتعددة التى نكبت بها بلاد الشام - خلال المرحلة الزمنية موضوع الدراسة - أحدثت آثارا فعالة وكبيرة على كافة الأصعدة ، والمستويات ، سواء لدى المناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية ، أو تلك الخاضعة للسيادة الصليبية ، ومن الممكن رصد ذلك التأثير على المستويات السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، وكذلك البنية السكانية وأيضا الآثار النفسية ، والدينية ، وأخيرا الآثار المتصلة بالانتاج الأدبى سواء بالنسبة للأدب التاريخي أو فى مجال القصائد الشعرية المعبرة عن المحنة التى عاشها المعاصرون من جراء تلك الهزات الزلزالية المدمرة .

وتجدر الاشارة إلى أنه على الرغم من انتهاء تلك الآثار مع تقادم الأزمنة والعصور ، إلا أن الآثار الأدبية بقيت كما هى وترددت لدى المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة ، على نحو ميزها عن غيرها من المستويات التى تعرضت لتأثير تلك الزلازل .

والواقع أننا ينبغى أن نقرر بداية أن القوى الإسلامية فى بلاد الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى تمثلت فى الدولة النورية ومن بعدها الدولة الأيوبية ، أما القوى الصليبية ، فقد تمثلت فى مملكة بيت المقدس الصليبية فى كيانها الأصلى ثم الساحلى ، بعد سقوط المدينة المقدسة ذاتها فى قبضة المسلمين فى أعقاب معركة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، ثم إمارتى أنطاكية Antioch ، وطرابلس Tripolis التابعتين لتلك المملكة .

وسنتعرض فيما يلى لأهم النتائج والآثار التى نجمت عن تلك الهزات الزلزالية فى بلاد الشام خلال تلك المرحلة .

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم النتائج السياسية التى نجمت عن حدوث تلك الهزات الزلزالية العنيفة على مستوى الدولة النورية ، أنها قدمت نتيجة إيجابية غنمت من ورائها تلك الدولة ، وعلى الرغم من أنها منيت بالعديد من الخسائر من جراء تلك الكوارث

الطبيعية، إلا أنها استفادت منها من ناحية أخرى ، والواقع أنها عملت على تهيئة الظروف الملائمة ، من أجل توسيع رقعتها السياسية على حساب جيرانها المسلمين على نحو ضمن لها قوة متزايدة عما كانت عليه من قبل ، وبالتالى أعانها ذلك على القضاء على الكيانات السياسية الصغيرة ، التى كانت من ميراث ظاهرة التشرذم السياسي ، الذى شملتها بلاد الشام قبيل مقدم الغزو الصليبي إليها فى أخريات القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي ، ومن المعروف أن مثل تلك الظاهرة أعانت الصليبيين على زرع كيانهم الدخيل ، وتثبيت أقدامهم فى تلك المنطقة الحيوية والهامة .

ويلاحظ أنه فى أعقاب زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، والذى أدى إلى تدمير مدينة شيزر ، والقضاء على أسرة بنى منقذ ، أدركت الدولة النورية أن تلك هى فرصتها السانحة ، وعليها أن تهتبلها ، وأن ذلك مثل فصل الختام فى تاريخ تلك الإمارة العربية ، ومن ثم عملت على فرض سيادتها السياسية على شيزر [١]، ووسعت حدودها لتشمل تلك المدينة .

وبذلك واصل الملك العادل نور الدين محمود دوره فى توحيد الجبهة الإسلامية ، وقضى على آمال الغزاة الصليبيين ، وكذلك البيزنطيين الذين هدفوا إلى تدعيم نفوذهم فى حماه ، وحمص ، وشيزر ، على حساب القوى الإسلامية بطبيعة الحال [٢].

ومع ذلك ينبغى ألا نقع فى محظور المبالغة بشأن أهمية تلك الهزات الزلزالية التى حدثت فى ذلك العام ، ونجعلها العامل الوحيد والرئيسي الذى أدى إلى تحقيق ذلك المكسب السياسى الهام للدولة النورية ، ولكن نرى أنها مثلت عاملا مساعداومعاونا ، شجع على دعم طموحات تلك الدولة الفتية ، وحركتها الدوافع السياسية والاقتصادية ؛ من أجل توسيع رقعتها على حساب القوى الإسلامية المحلية الصغيرة المجاورة والتى مثلت نشاذا ، فى مواجهة فكرة الوحدة السياسية الإسلامية التى اتجهت تلك الدولة إلى تحقيقها مهما كلفها ذلك من جهد ومال دعما لقضية الجهاد ضد الصليبيين .

وينبغى أن نقرر أيضا ، أن إمارة بنى منقذ فى شيزر كانت قد بلغت من الوهن مرحلة كبيرة، وبذلك يمكن القول - دونما مغالاة - أنها سقطت من الداخل بسبب ضعفها قبل أن تسقط من جراء تلك الهزات الزلزالية ، والهجوم النورى ، وهكذا فان تلك الهزات أجهزت على كيان كان بالفعل يحتضر على المستوى السياسي وبالتالى يكون توسع الدولة النورية على حسابها يعد بمثابة نتيجة طبيعية لضعفها الداخلى ، وجاءت تلك الكوارث الطبيعية من

أجل أن تقدم الظروف الملائمة لضمها ، خاصة أن تلك الدولة النورية لم تقدم على ذلك طوال المرحلة السابقة والممتدة من عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦م إلي عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، مما يعكس أن بوقوع تلك الأحداث ، تهيأت الفرصة الملائمة ، وهى التى لم تتهيأ طوال ما يزيد على العقد من السنوات .

ومن جهة أخرى ، أفادت الكوارث الطبيعية الدولة النورية على المستوى السياسي والدبلوماسي ؛ إذ أنها هيأت لها الفرصة من أجل توطيد صلاتها بالخلافة العباسية في بغداد ، وخطت الدبلوماسية النورية خطوة جديدة من أجل دعم العلاقات السياسية بين الجانبين ، ففي أعقاب زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، سارعت الدولة النورية إلى طلب عون الخلافة [٣] بكل ثقلها السياسي والاقتصادي ، وذلك من أجل مواجهة الموقف المتدهور ، من جراء التخريب ، والتدمير ، الذى تعرضت له مرافق الدولة ، خاصة أن الصراع الإسلامي - الصليبي كان قائما على المستوى الحربى ، ولم تحدث أية مؤشرات تدل على إمكانية المسالمة بين الدولة النورية ، ومملكة بيت المقدس ، والإمارات الصليبية التابعة لها سواء في أنطاكية أو في طرابلس .

ولاريب فى أن ذلك الموقف قد أدخل تلك الدولة فى مرحلة جديدة من مراحل ، تطور علاقاتها مع العباسين ، حيث حرص الأخيرون على تقديم النعم اللازم - لاسيما المادى - من أجل مساندة الحليف الشامى الذى رفع راية الجهاد ضد الصليبيين ؛ وذلك من أجل دعم قدراته الدفاعية ، ومن بعد ذلك الهجومية ، ومن أجل أن تظهر الخلافة العباسية فى عيون رعاياها على أنها تقدم كل ما تستطيعه من أجل معاونة الجبهة الإسلامية في بلاد الشام في مواجهة الكيان الصليبي الدخيل ، وقد حرصت تلك الخلافة على أن تقدم العون إظهارا لمكانتها السياسية المرموقة فى العالم الإسلامي ، ولكي توضح أنها ما غابت عن ساحة الصراع الإسلامي - الصليبي .

وحقيقة أن تلك الإستغاثة النورية جاءت تعبر عن فقر الامكانات المادية لتلك الدولة فى مواجهة ما حل بالمناطق التابعة لها من مظاهر التخريب ، والدمار ، إلا أنها من نتاحية أخرى، أوضحت للعباسين أن الدولة النورية تلجأ لهم بوصفهم يمثلون العمق الاستراتيجي للجبهة الإسلامية الشامية .

وإذا انتقلنا إلى الناحية الحربية ، والآثار التى تركتها الزلازل عليها ، نجد أنها كانت لها أهميتها الخاصة ، نظرا لأن العلاقات الإسلامية - الصليبية حينذاك تمحورت من خلال الصراع

الحربي ، وبعد النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، مرحلة فعالة ومؤثرة على مستوى الصراع الحربي بين الجانبين ، ففيه انتقل الصراع بينهما وتعدى الجبهة الآسيوية في بلاد الشام وانتقل إلى جبهة افريقية في ظروف التسابق بين الجانبين على من تكون له الغلبة ، ويفوز بميراث الخلافة الفاطمية ، والإجهاز على تلك الخلافة المتهالكة المتداعية ، وفى نفس تلك المرحلة ، قدمت إلى المنطقة الحملة الصليبية الثالثة وعلى رأسها ثلاثة من كبار ملوك ، وأباطرة أوربا حينذاك ريتشارد قلب الأسد Richard Heart of Lion (١١٨٩ - ١١٩٩م / ٥٨٥ - ٥٩٥ هـ) ملك انجلترا ، وفيليب أغسطس Philip Augustus (١١٨٠ - ١٢٢٣ م / ٥٧٦ - ٦١٩ هـ) ملك فرنسا ، وفردريك باربار وسا Frederick Barbarossa (١١٥٢ - ١١٩٠ م / ٥٤٧ - ٥٨٦ هـ) الإمبراطور الألمانى ، وذلك بعد حدوث معركة حطين الفاصلة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، ونجاح المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبى في دخول مدينة بيت المقدس مظفرين .

ومن المنطقى أن تترك الهزات الزلزالية آثارها على الصعيد الحربى ، وأول ما نلاحظه فى هذا المجال ، أن الزلازل أدت إلى تغير استراتيجية الصراع الحربى الإسلامى - الصليبى ولو بصورة مؤقتة ، ونجد مثالا دالا على ذلك فى عهد الدولة النورية ، وعلاقاتها بالصليبيين ، إذ توقفت السياسة الهجومية - إلى حين - لدى الجانبين الإسلامى ، والصليبى ، وتم اتباع سياسة دفاعية [٤] نظرا لأن تلك الهزات الزلزالية أربكت كل طرف ، وجعلته عاجزا عن مواصلة الحرب ضد خصمه ، في وقت أصيبت فيه موارد الدولة وتنظيماتها ومرافقها بالشلل المفاجئ ، ومن ثم اتجهت كافة الطاقات لمواجهة ما حل بالمناطق المنكوبة ، والعمل على إصلاح ما تهدم وتم إحلال السياسة الدفاعية محل الهجومية ، من أجل تجنب أي عمل حربي مفاجئ إغتناما للفرصة السانحة ، وهكذا اتجه كل جانب إلى اتباع الأسلوب الدفاعي لأن الموقف المأساوي الناجم عن تلك الكوارث الطبيعية أملى عليه ذلك .

ومع ذلك ، ينبغى أن نلاحظ أن ذلك الموقف السابق لا نتوقع أنه دام طويلا ، إذ أنه فى أعقاب معالجة الآثار التدميرية للزلازل عادت الخطط الهجومية من جديد ، ومعنى ذلك أن العمليات الحربية ، والنهب الإقتصادي ، وتدمير موارد كل طرف ، عادت من جديد ، وأن ذلك الإتجاه الدفاعي لم يعمر طويلا ولم تكن له صفة الديمومة بأي حال من الأحوال .

وإلى جانب الناحية السابقة ، تجلى أثر الزلازل على نحو واضح من خلال آثارها التى تركتها على القلاع ، والحصون التى شيدت من جانب المسلمين أو الصليبيين [٥]، والواقع أن

حجم التخريب الذى حل بالقلاع الصليبية فاق ما حل بالقلاع والحصون الإسلامية ، ودليلنا على ذلك أن الصليبيين بصفة عامة حرصوا على تشييد القلاع على امتداد طول المملكة الصليبية ، وعرضها ، وتناثرت عشرات القلاع هنا ، وهناك لدعم الوجود الصليبي فى المنطقة العربية ، ونستطيع القول أن أعداد القلاع الصليبية فاقت تلك التى لدى المسلمين نظرا لأن الأخيرين لم يعانوا أصلا من مشكلة نقص العنصر البشري التي عانى منها الصليبيون ، ودفعتهم إلى الإكثار من تشييد القلاع والحصون ويضاف إلى ذلك أنهم كانوا الغزاة الذين بحثوا عن أية حماية لهم باعتبارهم أقلية فى المنطقة ، وسط محيط بشرى مسلم ، وزد على ذلك أن القلاع كانت تؤدى أدوارها الحربية الهجومية ، والدفاعية وكذلك الإدارية الهامة فى ظل النظام الإقطاعى الصليبى في بلاد الشام .

وقد أقرت المصادر التاريخية الإسلامية والصليبية أن القلاع الصليبية أصابها الدمار والتخريب ، من جراء تلك الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وقد بذل الصليبيون مجهودات مضنية من أجل إعادة بناء ما تهدم ، ويلاحظ أن العديد من تلك القلاع الصليبية التى أضيرت قد خضع لسيطرة عناصر الرهبان الفرسان Fighting Monks أو الهيئات الدينية الحربية Military religious Orders مثل عناصر الإسبتارية Hospitallers [٦] والداوية Templars [٧] ، ومن المعروف أن النصف الثاني من القرن المذكور ، ولاسيما عهد الملك الصليبي عموري الأول Amalric I (١١٦٢ - ١١٧٣ م / ٥٥٧ - ٥٦٩ هـ) ، قد شهد منح تلك الهيئات العديد من القلاع والحصون ، من أجل أن تتولى مهمة الدفاع عنها ، وعن المناطق المحيطة بها ضد هجمات المسلمين ولتتخذها - بطبيعة الحال - مراكز هجومية عدوانية ضد الأعمال الإسلامية المجاورة [٨].

ولما كانت الهيئات الصليبية قد تمتعت بثراء عريض من جراء ما منح لها من منح وهبات وإقطاعيات أوضحته بجلاء الوثائق اللاتينية [٩] ، فمن ثم توفر لها الرصيد المالي الكبير من أجل أن تقوم باعادة بناء ما تهدم من تلك القلاع ، وبالاضافة إلى ذلك ، سعت قيادات تلك الهيئات إلى طلب عون الغرب الأوربى المادى ومن أمثلة ذلك الرسالة التي أرسلها مقدم الاسبتارية جوفري الدنجوي Geoffrey of Donjon (من ١١٩٣ إلى ١٢٠٢ - ١٢٠٣م / ٥٨٩ إلى ٥٩٧ - ٥٩٨ هـ) إلى الملك سانشو السابع ملك نافارا Navara والرسالة التى أرسلها مقدم الاسبتارية فيليب دي بليسيس Philip du Plessis إلى أرنولد الأول Arnold I

رئيس رهبان سيتو Criteauy وذلك على أثر وقوع زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، كما وضح لنا في الفصل السابق .

أما تأثير تلك الزلازل على القلاع الإسلامية ، فينبغي أن نلاحظ أن القلاع الإسلامية كانت قليلة العدد ، وارتبطت ارتباطا وثيقا فى غالبها بالمدن الإسلامية ذاتها في بلاد الشام ، مع عدم إغفال وجود بعض القلاع المهمة فى مناطق حدودية بعيدة عن المدن الإسلامية ، وبصفة عامة اتجه المسلمين - شأنهم فى ذلك شأن أعدائهم اصليبيين - إلى إعادة تعمير تلك القلاع التي أضيرت لاسيما في مدن حلب وحماه ودمشق وغيرها من أجل تدعيم دفاعات تلك المدن .

ومع ذلك ، ينبغي أن ندرك أن مطالعة نصوص المصادر التاريخية الإسلامية ، تكشف لنا بجلاء أن جل إهتمام المؤرخين المسلمين إنصب على ذكر ما حل بالمناطق الشامية المنكوبة من مظاهر التخريب ، لاسيما بالنسبة للمنازل ، ولم تلق تلك المصادر أضواء كاشفة على الآثار التى تعرضت لها القلاع ، وهذا يعطى لنا إنطباع بأن قضية القلاع وإصابتها من جراء الزلازل لم تكن تمثل تلك الصورة التى لدى الجانب الصليبي الذي أشارت مصادره بوضوح إلى حجم التأثير التخريبي في عمائره الحربية .

مهما يكن من أمر ، فقد إنصرف الطرفان إلى عمليات الترميم وإعادة البناء ، وهنا تبدو لنا ملاحظة مهمة ، إذ أن تلك العمليات المعمارية لم تهدف فقط إلى إعادة الوضع إلى ما كان عليه سلفا ، بل أيضا تقوية الدفاعات والأجزاء المدمرة بصورة أكثر صلابة من ذى قبل من أجل أن تتحمل أية هزات زلزالية متوقعة فى المستقبل قد تحدث آثارا أسوأ من ذي قبل ، وإذا كان الصليبيون عندما شيدوا قلاعه قد شيدوها ولم يتوقعوا - على الأرجح - أن المنطقة سوف تشهد تلك الهزات الزلزالية المدمرة ، فان الموقف الآن تغير ، فقد خبروا الموقف ، وصارت قلاعهم وهى يعاد بناؤها وترميمها تحتاج أكبر قدر من المنعة والحصانة ، من أجل تحمل المزيد من الهزات الزلزالية المتوقعة ، وحقيقة أن المنطقة شهدت زلازل عنيفة فى النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، لكن لم تكن بنفس عنف النصف الثاني لاسيما على القلاع .

أما الجانب الآخر من الجوانب التي أثرت فيهاالزلازل على الناحية الحربية ، فيمكن إدراكه من خلال الأثر على العنصر البشري المحارب ، إذ لاريب في أن الكثيرين من القتلى الذين قتلوا على مدى نصف قرن كامل شهد العديد من الهزات الزلزالية المدمرة ، كان منهم عناصر

من المحاربين المدربين على فنون القتال سواء لدى الجيش المسلم أو الجيش الصليبي ، ولا ريب - وكما هو متوقع فقد عملت الدولتين النورية والأيوبية وكذلك المملكة الصليبية على معالجة ذلك الموقف باعادة تنظيم جيوشهم ومواجهة ما حدث من نقص جزئي في القوة البشرية المحاربة، ومع ذلك فان في ضوء صمت المصادر التاريخية والأبحاث التاريخية الحديثة - قدر علمي المتواضع - عن بحث تلك الناحية ، فليس من السهل الخوض فيها برأى أكثر مما حاولت جاهدا تناوله .

وإذا نحينا جانبا الآثار السياسية ، والحربية واتجهنا صوب الآثار الاقتصادية ، نجد أنها كانت متسعة وشملت كافة النواحى الزراعية والصناعية والتجارية ؛ ففى المناطق الزراعية التى نكبت بتلك الهزات الزلزالية المدمرة ، تدمرت المحاصيل الزراعية ، ولاريب فى أن الفلاحين - وهم عصب الإنتاج الزراعي - قد أصابهم القتل من جراء ما حدث ، حقيقة أن المصادر التاريخية الرسمية ، وحتى مؤرخو التواريخ المحلية نظروا إلى ذلك القطاع نظرة ازدراء فى عصر ساد فيه النمط الإقطاعى ، ولم يلق المؤرخون بالا للفلاحين إلا من خلال روايات تاريخية عرضية يسودها الاحتقار والنظرة الطبقية الاستعلائية [١٠] التى حكمت بعض المؤرخين حينذاك ، كذلك فانهم عنوا بالحديث عن الحواضر الشامية الكبرى ، ولم يوجهوا إهتمامهم الكبير بنفس القدر ، إلى المناطق الريفية ، وما حل بأهلها من أضرار ، إلا أننا من الممكن أن ندرك - دونما إعتساف فى الأحكام - أن المناطق الزراعية نكبت هي الأخرى من جراء تلك الهزات الزلزالية على مستوى البنية البشرية .

وهكذا تدمرت بعض المحاصيل الزراعية في بعض المناطق ، وسقط الفلاحون البؤساء صرعى من جراء تلك الأحداث ، وتوقف - إلى حين - الإنتاج الزراعى على الرغم من أهميته فى توفير الاحتياجات الغذائية الأساسية للسكان ، فاذا أضفنا إلى ذلك انتشار بعض الأمراض الوبائية فى الماشية مثلما حدث لدى الصليبيين عقب زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م[١١] ، اتضحت على نحو جلى .

وقد ترتب على توقف الإنتاج الزراعي أن انعكس ذلك بدوره على المجالين الصناعي الحرفى والتجارى سواء التجارة الداخلية أو الخارجية .

وتجدر الإشارة إلى أنه بالنسبة للجانب الصناعي الحرفى انعدمت - إلى حين - مقوماته نظرا للاضطراب الذي حدث بالنسبة لخامات الصناعة ومراكز تواجدها في أنحاء بلاد الشام أو بالنسبة للعمالة نفسها .

أما الجانب التجاري فقد أصيب - على الارجح - التجارة بالتوقف المؤقت بصورة وضاحة، خاصة أن القطاعين الزراعي والصناعي قد أصابهما الضرر ، كذلك فان حركة التجارة بين المدن الشامية أصيبت بالشلل - على مايبدو - خاصة أن الأسواق التجارية النورية التى شهدت من قبل إزدهارا واسع النطاق ، أصابتها مظاهر التخريب ، والدمار [١٢] هى الأخرى ، وكذلك قطاعات المستهلكين ، وهم أداة الطلب السلعي ، فمع فقد الكثيرين من القتلى فى مناطق متفرقة من بلاد الشام ، أثر ذلك بدوره على القوة الشرائية ، وأعداد المستهلكين التى حل بها انخفاض مفاجئ آذن بدوره بحدوث ركود مفاجئ فى اقتصاديات الأسواق التجارية سواء فى عهود كل من الدولة النورية ، والأيوبية في المناطق الإسلامية ، وكذلك فى عهد الملوك الصليبيين في المناطق الخاضعة للسيادة السياسية الصليبية .

ومن الطبيعي أن نتصور أن خطوط التجارة بين المدن الشامية المختلفة أو بين المناطق الإسلامية ، والصليبية أصابتها الفوضى هي الأخرى ، خاصة تلك التى مرت بالمناطق المنكوبة واستمر ذلك الوضع إلى أن أمكن تعمير تلك المناطق وإعادة مظاهر الحياة الطبيعية إليها ، مع ملاحظة أن التعمير البنائي أو المعمارى من حيث إقامة المساكن ، والأبنية إحتاج وقتا محدودا نسبيا بينما إعادة التعمير البشري إحتاج إلى عدة أجيال خاصة فى المدن التى حدثت فيها معدلات مرتفعة من الوفيات من جراء تلك الكوارث الطبيعية .

ويلاحظ أن المدن الشامية الكبرى مثل دمشق ، وحلب ، وحماه ، وشيزر وغيرها - فى النطاق الإسلامى على سبيل المثال - إرتبط جميعها بشبكات تجارة داخلية نشطة وكذلك تجارة خارجية مع المناطق المجاورة ، ولامراء فى أن تلك الزلازل المدمرة قد أثرت سلبيا على تلك الطرق التجارية ، ونفس الأمر يمكن أن يقال حيال المدن الصليبية الكبريمثل أنطاكية ، وطرابلس ، وعكا .

ومن النتائج الاقتصادية المهمة التى نجمت عن تلك الأحداث الغير مؤثر هام فى سوق العمالة فى بلاد الشام ويتمثل ذلك فى ازدياد الطلب على عناصر البنائين والفعلة من أجل إزالة الأنقاض والأبنية المتهدمة ، وإعادة تشييد أبنية جديدة لكى تفى باحتياج الذين شردتهم تلك الزلازل . وطبيعي أن الاتجاه نحو سكن الأبنية وجد بعد أن توقفت الزلازل تماما ، وقد أقرت المصادر التاريخية الإسلامية أهمية ذلك العنصر الحرفى فى المرحلة التي تلت حدوث تلك الكوارث الطبيعية [١٣].

ومن جهة أخرى ، إزداد الطلب على الخيام بعد أن هدمت الزلازل مساكن الناس وقد أشارت المصادر التاريخية إلى فرار الناس فى الصحراء فى أعقاب حدوث الهزات الزلزالية وسكنهم فى الخيام ، كذلك وجد إتجاه قوى أكده اسامة بن منقذ نفسه يتمثل فى قيام الأهالى الذين دمرت الزلازل مساكنهم باقامة مساكن من الأخشاب لتلافي تكرار الأحداث ، ولرخص تكلفة ذلك النوع من المنازل ولمحدودية الخسائر البشرية الناجمة عنه (١٤).

ولعل من أهم الجوانب التى تركت الزلازل آثارها الفعالة عليها ، مايمكن وصفة بالبنية السكانية فى بلاد الشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى ، وقد وجهت إليها ضربات قوية مؤثرة ، لم يكن من الممكن معالجتها إلا بعد مضى مرحلة زمنية طويلة نسبيا .

ومن الواضح أن تلك الزلازل مثلت أحد ثلاثة عناصر قوية أثرت على البنية السكانية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية بصفة عامة ، وخلال المرحلة الزمنية التى نحن بصدد البحث فيها خاصة ويمكن إجمال تلك العناصر فى :

أولا : الصراع الحربى الإسلامى - الصليبي .

ثانيا : إنتشار الأمراض من خلال الأوبئة وإنخفاض مستوى الوعى الصحى بصفة عامة فى ذلك العصر .

ثالثا : الزلازل .

وسيتم تناول كل عنصر على حدة من أجل إبراز دور الزلازل وتأثيراتها فى بلاد الشام حينذاك .

والواقع أن الصراع الإسلامى - الصليبي على المستوى الحربى قد إستهلك طاقات بشرية كبيرة فى عمليات الهجوم والدفاع إلى غير ذلك ، ولعل الأعوام الأولى التى أعقبت الدعوة للحركة الصليبية وزحف الصليبين صوب بلاد الشام قد شهدت العديد من المذابح الدموية التى كشفت الطابع التعصبى الشديد الذى اتصفت به تلك الحركة ، ولعل مذبحة بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩م (١٥) تمثل ذروة تلك المذابح التى استهدفت البنية السكانية المسلمة فى بلاد الشام ، مع ملاحظة أن المصادر التاريخية العربية تجعل أرقام القتلى من المسلمين تبلغ نحو مائة ألف شخص ، ومع تقديرنا لأحتمالات المبالغة الدقيقة ، إلا أن تلك المذبحة بصفة عامة نتج عنها سقراط أعداد كبيرة من المسلمين باعتراف حتى المصادر الصليبية .

ومن الأمثلة الأخرى ذات الدلالة ، أنه في أعقاب سقوط مدينة عكا الباسلة خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، أجرى ريتشارد قلب الأسد مذبحة لحاميتها المسلمة فقتل على أثر ذلك نحو ٢٦٠٠ من المدافعين .

وقد استمر العداء الإسلامى - الصليبي وتعددت المعارك الحربية بين الجانبين ، ولايمكن بأى حال من الأحوال أن نقدر بوجود سلام حقيقى راسخ القدم بين الطرفين ، إذ تشهد كتب الحوليات أن المواجهة الحربية كانت بمثابة اللغة المؤكدة بصفة شبه مستمرة وإن عقدت هدنات أو اتفاقيات سلام (١٦)، فانها كانت باهتة ، وغير مستقرة في الغالب ، ولم تصمد أمام سنابك خيول الصليبيين الذين طالما نقضوها بسبب أطماعهم فى ثروات المسلمين أو نتيجة حمق وإندفاع بعض أمرائهم .

وبصفة عامة ، عدت الحرب بمثابة الميدان التقليدي للفاقد البشري خلال ذلك العصر سواء بالنسبة للمسلمين أو الصليبيين . ومع ذلك لم تكن هي الميدان الوحيد .

أما إنتشار الأمراض وإنخفاض مستوى الوعي الصحي فتلك حقيقة واقعة عرفها ذلك العصر ، وينبغي أن نقرر بداية أن أوضاع المسلمين الصحية فاقت - على الأرجح - أوضاع الصليبيين ، نظرا لتقدم المعارف الطبية عند المسلمين ، بينما بقيت أساليب العلاج لدى الصليبيين متخلفة وبدائية ، وتؤدى إلى القضاء على أرواح المرضى لا علاجهم ، وقد أوضح أسامة بن منقذ - وهو الذى خالطهم وصار عارفا حق المعرفة بدقائقهم - ، أوضح ذلك الأمر فى كتابة الأعتبار (١٧)، ومن ناحية أخرى أفادت إشارة مهمة وردت في رحلة الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجي John of Wurzburg الذي زار مملكة بيت المقدس الصليبية فى سبعينات القرن الثانى عشر الميلادى - أفادت فى توضيح الأمر بصورة جليلة ومن خلال ناحية رقمية ، إذ أنه قرر أن عدد الوفيات فى مستشفى القديس يوحنا St . John التابعة لهيئة الاسبتارية Hospitallers بلغ خمسين شخصا فى اليوم(١٨) ، ولا شك فى أن هذا القول يفيد في تصورحجم الوفيات حينذاك .

ومن جهة أخرى ، لم يتوافر فى ذلك العصر الوعي الصحي الكافي الذي يمكن أن يقلل من نسبة الأصابة بالأمراض ، بالإضافة إلى أن عددا من الأمراض لم يعرف لها الأطباء المعاصرون علاجا ، وزد على ذلك أن كثيرا ما تردد لدى المصادر التاريخية إشارات متناثرة هنا ، وهناك عن انتشار بعض الأمراض بشكل جماعى أو وبائي (١٩)، ولا جدال فى أن ذلك كله ساهم

بدوره في إلحاق الضرر بالبنية البشرية في بلاد الشام في ذلك العصر سواءً لدى المسلمين أو لدى الصليبيين .

أما الزلازل ، فقد ألحقت أضرارا جسيمة بتلك البنية البشرية ، ولا ريب في أن الأرقام المرتفعة للخسائر البشرية التي أوردتها المصادر التاريخية - وإن أشرنا سلفا إلى طابع المبالغة الذي قد يحيطها - تعكس بصورة أو بأخرى حجم تلك الخسائر البشرية ، ويمكن القول أن مدن حماه، طرابلس ، وحلب ، وأنطاكية ، وطرابلس ، كانت من أكثر المدن الإسلامية ، والصليبية وضوحا في فقدانها الكبير والمفاجئ لاعداد كبيرة من السكان من جراء تلك الهزات الزلزالية المدمرة .

وتبقى ناحية على جانب كبير من الأهمية ، ألا وهي أن فقدان الصليبيين لأعداد كبيرة من السكان كان أكثر خطرا ، وتأثيرا عما كان عليه الحال بالنسبة للمسلمين ، نظرا لأن مملكة بيت المقدس الصليبية عانت أصلا من مشكلة مزمنة ألا وهي نقص العنصر البشري ، خاصة مع ملاحظة أن القادمين من الغرب الأوربي في الحملة الصليبية الأولى عادوا أدراجهم في معظمهم إلى بلادهم بعد نجاح الحملة في تحقيق أهدافها التي قامت من أجلها(٢٠) ، كذلك فان الحجاج المسيحيين لم يمثلوا عنصرا سكانيا مستقرا وقائما ، نظرا لأنهم لم يستقروا في أغلبهم في المملكة بل بعد تأديتهم للحج ، رحلوا وعادوا إلى بلادهم ، واضطر الصليبيون إلى بناء القلاع الحصينة لمواجهة تلك المشكلة (٢١)، كذلك عملوا على أن يقوموا بجلب عناصر من المسيحيين الشرقيين مثل الأرمن والسريان والموارنة من أجل أن يتم إسكانهم في مناطق من المملكة لتعويض ذلك النقص البشري الحاد ونجد ذلك بوضوح خلال سياسة الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨م / ٤٩٣ - ٥١١ هـ) (٢٢).

وهكذا ، كان حدوث تلك الزلازل في المناطق الصليبية كان بالنسبة للصليبيين كارثة كاملة، أما المسلمين بفضل السهول الفيضية لأنهار الشام مثل الفرات ، وبردى ، والعاص ، وغيرها والتي عرفت منذ القدم بكثافتها السكانية المرتفعة نسبيا ، فقد أمكن - أن تعوض إلى حد ما - ذلك الفاقد البشري بصورة فاقت بمراحل وضع الصليبيين ، وإن كان ذلك بالطبع احتاج مرحلة زمنية مناسبة حتى يتم تعويض ذلك النقص البشري .

ويلحظ أن تأثيرات تلك الهزات الزلزالية على البيئة البشرية شمل كافة الأعمار سواء من الصبية أو الشباب أو النساء أو الشيوخ (٢٣)، ويهمنا في المقام الأول عنصر الشباب لأنهم

مثلوا طاقة انتاجية حرفية ، زراعية ، وصناعية ، وتجارية إنعكس تدميرها على الفعاليات الأقتصادية بصورة سلبية ، وكذلك طاقة حربية أمكن استغلالها فى ساحات الوغي لتحقيق الإنتصارات الحربية .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض العوامل التى ساعدت - بصورة أو بأخرى - على إرتفاع معدل الوفيات من جراء تلك الهزات الزلزالية . فالأحياء الفقيرة في المدن الشامية خلال المرحلة موضوع البحث ، والتى كانت تعاني من التكدس السكاني أصلا ، أصابها نصيب وافر من الوفيات ، خاصة أن منازل تلك القطاعات العريضة لم تكن مؤسسة تأسيسا قويا ، يمكن أن يصمد إلى حد ما أمام تلك الهزات الزلزالية المدمرة . ولذلك كان من السهل أن تنهار على رؤوس ساكنيها محدثة نسب وفيات مرتفعة فى صفوفهم على ما هو متوقع .

ومن جهة أخرى ، فان حدوث تلك الهزات بصورة فجائية ، وبعنف وضراوة ، وعدم وجود فرق للأنقاذ مخصصة لأنقاذ أولئك الذين يحبسون تحت الأنقاض والمنازل المتهدمة ، جعل ذلك الكثيرين يلقون حتفهم من قبل أن تصل إليهم عناصر الانقاذ التى كانت بامكانها اخراجهم أحياء من تلك الأجزاء المنهارة ، ومنطقى أن مثل تلك العناصر - إن وجدت - لم تكن ذات صفة رسمية ، بل على الأرجح كانت مجهودتها شعبية غير منظمة ، مما أفقدتها فعالياتها ، وقد خلت المصادر التاريخية المعاصرة عن أدنى إشارة إلى مثل ذلك الدور الانقاذي ، وركزت اهتمامها على جهود الدولة فى إعادة بناء ما قد تهدم من جراء تلك الزلازل .

ولا نغفل أيضا أن الأبنية التى شيدت من عدة طوابق مثل تلك التى وجدت فى مدينة طرابلس[٢٤] ، على سبيل المثال ، أصابت سكانها بنسبة وفيات مرتفعة ، - كما هو متوقع - خاصة بالنسبة للزلازل العنيفة المدمرة وليست مجرد تلك التى تبعث الرعب والفزع دون أن يكون لها تأثير فى الأبنية وساكنيها .

وهناك ناحية أخرى على جانب من الأهمية ، فعندما كانت تحدث الهزة الزلزالية الأولى بعنف بالغ محدثة نسبة كبيرة من الإصابات لم يكن من الممكن تداركها ، بيد أنه عندما كانت تقع بصورة ضعيفة ، وجد المعاصرون الفرصة سانحة للتصرف على عجل ، والإنتقال مهرولين إلى المناطق النائية خاصة فى الصحراء طلبا للأمان ، مثلما حدث بالنسبة للزلزال الذى أصاب حمص عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، ويبدو أن الزلازل التى نجم عنها ارتفاع كبير فى معدل القتلى من جرائها ، كانت من النوع الأول ، ولم يكن عندئذ أمام المعاصرين فرصة للوقاية منها بالفرار إلى المناطق الآمنة .

ويضاف إلى كافة العناصر السابقة ، أن الزلازل ارتبطت بزاوية الأمراض والأوبئة فى بعض الأحيان ، على نحو أثر بصورة مباشرة على البنية السكانية فى بلاد الشام خلال تلك المرحلة موضوع البحث ، حقيقة أن المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة لم توضح ذلك صراحة ، غير أن الوثائق اللاتينية كشفت النقاب عن ذلك بجلاء فى أعقاب زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م فى بلاد الشام ، إذ انتشر الطاعون بين ثلث أولئك الذين نجوا من الموت من جراء الهزات الزلزالية فأفناهم ، ومنطقى تصور أن عدم القدرة على دفن الموتى الذين تزايدت أعدادهم من جراء مثل تلك الكوارث الطبيعية ، قد أدى إلى انتشار مثل تلك الأوبئة فى صفوف الذين فروا من ذلك المصير المأساوى ، وأمام العجز عن مواجهة اتساع الإصابة بمثل تلك الأوبئة ، لم يكن هناك مفر من ارتفاع معدلات الوفيات بصورة متضاعفة .

من المحتمل أن انتشار الأمراض الوبائية فى أعقاب ذلك الزلزال ، وجد لدى زلازل أخرى سابقة وقعت فى بلاد الشام ، ولم يقتصر على زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، ولكن أمام صمت المصادر لا نملك تأكيد ذلك .

وبالإضافة إلى النتائج السابقة ، هناك نتيجة مهمة أخرى نتجت عن حدوث تلك الهزات الزلزالية ، وهى نتيجة دينية نفسية فى المقام الأول ، إذ أنه مع تعاظم الظاهرة الدينية بصفة عامة ، فى عصر شهد الصراع بين عالمى الإسلام ، والمسيحية نجد أن المجتمع الإسلامى في بلاد الشام قد نظر لتلك النكبات على أنها ابتلاء من الله عز وجل ، أو أنها شكل من أشكال العقاب الإلهى العادل نظرا للآثام التى ارتكبت من قبل اتلبعض ، أو لأبتعاد بعض العناصر عن جادة الدين الحنيف ، ومثل ذلك التفسير لقى رواجا كبيرا ، وعلى أوسع نطاق فى نفوس المعاصرين الذين تملكهم الرعب والذعر والهلع من رؤية منازلهم تتهدم فوق رؤوسهم ، وكان اللجوء للدين هو الملاذ ، ولذا أقر ابن القلانسي صراحة فى كتابه بأن الناس أكثروا من الصلاة، والتسبيح ، والاستغفار[٢٥] طلبا لرحمة الله جل شأنه وتخفيفا لتلك الكوارث المدمرة التى ألمت بهم .

ولا نزاع فى أن مثل تلك الحوادث كانت من عوامل تزايد إتجاه الناس إلى التمسك بدينهم خشية حدوث المزيد من الهزات الزلزالية الناجمة ، وإذا ما لاحظنا أن الآيات القرآنية الشريفة ، جاءت للتحدث عن أن يوم البعث يبدأ بزلزلة شديدة وإن هناك سورة مستقلة فى القرآن الكريم هى سورة الزلزلة [٢٦] ، فمن الطبيعي أن يزداد وجل المعاصرين ، ورهبتهم من حدوث مثل تلك الأحداث ، ومن ثم يتزايد احساسهم بقدرة الخالق عز وجل ويتعمق شعورهم الديني فى نفوسهم بصورة أكبر من ذى قبل .

ونفس الموقف نجده لدى الجانب الصليبي ، إذ أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري أشار إلى أن تلك الكوارث جاءت نتيجة للآثام التي اقترفت ، حقيقة أنه رجل دين عن الأصل وعمل رئيسا للأساقفة مدينة صورة ، ومن ثم فمن الطبيعي أن نتوقع منه مثل ذلك التفسير ، غير أنه من الواضح أنه عبر عن قطاعات عديدة من الصليبيين رأوا نفس التصور .

ولعل من الآثار الناجمة عن الزلازل أيضا ما يمكن وصفه بالتراث الأدبى المتعلق بها ، وفى هذا المجال اتجاهين محددين :

الأول : مؤلفات متخصصة عن الزلازل كتبها مؤرخون معاصرون حفزتهم الأحداث والنكبات التى نجمت عنها وشجعتهم على مايبدو على التأليف فى ذلك المجال ، ومن أمثلتها ما ألفه المؤرخ الدمشقي الكبير الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) عن الإنذار بوقوع الزلازل [٢٧]، والذى لم يصل إلينا للأسف الشديد وقد استعان به السيوطي عن ما ألف كتابه كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة وذكره بهذا الاسم ، ويرى كان المقصود به ما أورده ياقوت الحموي فى معجم الأدباء حيث ذكر أن أبن عساكر له كتاب بعنوان « الانذار بحدوث الزلازل »[٢٨] ، وهكذا ساعدت تلك النكبات على ما يبدو ، على إدراك المعاصرين لأهميتها ومن ثم ألفوا بشأنها مؤلفات مهمة .

ومع ذلك ينبغي أن نلاحظ أن ابن عساكر لم يكن أول من ألف في هذا المجال ، بل سبقته بعض المحاولات والإسهامات الهامة من جانب بعض المؤرخين والمفكرين المسلمين ، وربما ساهمت تلك المؤلفات بدورها فى حفز ابن عساكر على تأليف كتابه المذكور آنفا.

ومن أمثلة ذلك هناك رسالة ألفها أبو يوسف بن اسحق الكندى (ت ٢٥٤ هـ / ٨٥٩ م) بعنوان « علم حدوث الرياح فى باطن الأرض المحدثة كثير الزلازل » وقد أشار إليها ابن النديم فى كتابه الفهرست[٢٩] ، كذلك هناك قول غير مؤكد يتجه إلى أن الخطيب البغدادى (ت ٣٦٤ هـ / ١٠٦٨ م) له أيضا فى مجال التأليف عن الزلازل [٣٠].

ومن ناحية أخرى ، ألف أبو بكر العرشاني (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م) كتابا بعنوان «الزلازل والأشراط » [٣١]، وهكذا ، فقد ألفت العديد من المؤلفات في هذا المجال من قبل أن يقوم ابن عساكر بتأليف كتابه السالف الذكر ، والإتجاه الثاني ، يمكن نتلمسه في القصائد الشعرية العربية التى قيلت بشأن الزلازل ، ووردت فى دواوين الشعراء المعاصرين ، وعكست مدى آثار الهلع ، والذعر الشديدين التى تركتها الزلازل فى نفوس المعاصرين ، وكذلك حجم

التأثير على المستوى المادى فى صورة المنازل ، والأبنية المختلفة ، وكذلك القلاع والحصون التى أضيرت من جراء تلك الهزات الزلزالية .

ومن أمثلة ذلك ديوان أسامة بن منقذ ، وما احتواه من أشعار عن الزلازل ، وأثرها المدمر فى مسقط رأسه شيزر [٣٢] ، وكذلك هناك القصيدة المجهولة المؤلف [٣٣] ، والتى ترددت لدى العديد من المؤرخين المعاصرين واللاحقين ، ولعل أول من أوردها فى مؤلفه ابن القلانسي (ت٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) فى كتابه ذيل تاريخ دمشق[٣٤] ، ومن بعده ترددت بكثرة في مؤلفات المؤرخين ، الذين نقلوا عنه أخبار تلك الزلازل، وهناك أيضا قصيدة نظمها العماد الكاتب الأصفهانى[٣٥] ، أشار فيها إلى تأثير المناطق الصليبية ، بأحداث الزلازل ، لاسيما خلال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

ومع ذلك ، ينبغى أن نقرر أن نظم القصائد الشعرية عن الزلازل الشامية - من الزاوية الأدبية - لايعدو أن يكون امتداد للرثاء ، والبكاء على الأطلال [٣٦] فى الشعر العربى ، ومن ثم لا نتصور أن تلك الزلازل قد أوجدت مجالات جديدة للكتابة الشعرية ، ومع ذلك ، فانها تمثل من الزاوية التاريخية مادة تاريخية مهمة تعين عليّ إلقاء الضوء على تلك الكوارث الطبيعية المفجعة ، والآثار التي أحدثتها فى نفوس المعاصرين الذين بقوا أحياء من بعدها ، وكذلك آثارها فى الأبنية على حد سواء .

ومن جهة أخرى ، فاننا لا نملك سوى تلك القصائد التى نظمها الشعراء المسلمون ، غير أننا - على ما يبدو - ليس لدينا قصائد صليبية يمكن أن تفيدفى إبقاء الضوء على ما حل بالمناطق الصليبية من مظاهر التدمير والتخريب ، مع ملاحظة أن الأشعار الصليبية التى وصلت إلينا تناولت رثاء المدن التى سقطت فى قبضة المسلمين [٣٧] ، وليس لدينا - على ما يبدو - أشعار متخصصة عن الزلازل وآثارها فى المناطق الصليبية .

ختام القول ، أن الزلازل التى نكبت بها بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى قد تركت آثارها العميقة على الجانبين الإسلامي والصليبي في ذلك العصر الذي شهد الصراع بين الجانبين ، وكان ذلك التأثير من القوة والفعالية بصورة وجدناه فى كافة مناحى الحياة في ذلك العصر ولدى الجانبين المتصارعين على نحو كشفت عنه بجلاء الصفحات السابقة .

الهوامش :

١ - ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٤٣ - ص ٣٤٤ ، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ٢٨٨ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ١٥٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٢٥ ، ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ، محمد محمد الشيخ ، الإمارات العربية في بلاد الشام، ص ٣٧٢ ، حسن عباس ، أسامة بن منقذ ، حياته وشعره ، ص ٤٣ .

٢ - مسفر الغامدي ، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، ط . جدة ١٩٨٦م ، ص ٢٨٢ .

٣ - عن ذلك انظر : الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ، ص ٤٨ - ص ٤٩ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م ٤ / جـ ١ ، ص ٩٦ - ص ٩٧ ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ص ٢١٢ - ص ٢١٣ ، أيضا القسم الخاص بالملاحق حيث يوجد النص الكامل للوثيقة .

٤ - William of Tyre , vol .II, p . 370 , Ruhricht , Geschichte des Konigreichs , p . 340 . Stevenson , The Crusaders in the east , p . 199 .

٥ - أبو شامة ، الروضتين ، ص ٤ ، ص ١٨٤ ، أنتونى بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٦٥ .

٦ - الإسبتارية ، Hospitallers ، هم فرسان المستشفى ، وقد أسس تلك المستشفى الأمالفيون أهل مدينة أمالفى Amalfi فى بيت المقدس Jerusalem من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة ، وعند مقدمهم إلى بيت المقدس ، كان يدير المستشفى رجل يسمى جيرارد Gerard ، واهتمت المستشفى بعلاج المرضى ، والجرحى، وقامت بدور كبير فى هذا المجال ، ومع مضى الوقت تحولت هيئة الإسبتارية وصارت هيئة حربية إلى جانب كونها تقوم بالنشاط العلاجي ، ويعتقد بعض الباحثين أن ذلك تم حوالى عام ١١٣٧م / ٥٣٢ هـ ، عندما عهدت مملكة بيت المقدس الصليبية للهيئة بأمر قلعة بيت جيرين ، والدفاع عن المنطقة المجاورة لها ، وفيما بعد سيطرت هيئة الإسبتارية على عدد كبير من القلاع الصليبية تناثرت على امتداد طول المملكة الصليبية وعرضها ، كذلك شاركت الهيئة المذكورة فى العديد من المعارك التى خاض الصليبيون غمارها ضد المسلمين ، واستمر هذا الدور الحربي حتى الساعات الأخيرة قبيل سقوط عكا فى قبضة المماليك فى عام ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ ، ويلاحظ أن تزايد نفوذ هيئة الإسبتارية قد أدى إلى أن صارت بمثابة دولة داخل الدولة الصليبية .

عن هيئة الإسبتارية انظر :

William of Tyre , vol . II , P. 241 - 242 , King , The Kinghts Hospitallers in the Holy Land , London 1930 .

Riley - Smith , History of the Hospital of St.John of Jerusalem , London 1967 .

سامى سلطان سعد ، الإسبتارية فى رودس ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٠م ، نبيلة مقامي ، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ م ، محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ص ٣٥٩ - ص ٣٧٣ .

٧ - هيئة الداوية Templars ، فرسان المعبد ، وقد تأسست تلك الهيئة عام ١١١٨م / ٥١٢ هـ ، عندما أسسها هيودى باين Hugh de Paynes ، وجودفري دي سانت أومير Godfrey de St. Omer ، وقد بدأت الهيئة - على عكس الإسبتارية - بداية حربية ، وقد عهد إليها الصليبيون بأمر الدفاع عن الطريق الممتد من يافا Joppa إلى بيت المقدس Jerusalem ، وفيما بعد صارت الداوية بالإضافة إلى الإسبتارية من أهم القوى الحربية فى الجيش الصليبي ، وشاركت فى العديد من المعارك ضد المسلمين ، وأقرت المصادر التاريخية العربية بتفوقهم فى المعارك ضد المسلمين ، ودخلت الداوية فى صراع تنافسي مع هيئة الإسبتارية ، على نحو أدى إلى أوخم العواقب على اصليبيين ، وعمل على إضعاف قوتهم ، كما امتلكت الداوية العديد من القلاع الصليبية الحصينة ، وامتلكت العديد من المناطق التابعة للمملكة الصليبية ، ومهما يكن من أمر ، فان الداوية شاركت فى المعارك الحربية ضد المسلمين ، وكان آخرها معركة حصار عكا الأخير على يد الأشرف خليل بن قلاوون عام ١٢٩١م / ٦٩٠ هـ ، وأقرت المصادر التاريخية العربية بدورهم فى تلك الأحداث ، عن الداوية انظر :

William of Tyre , vol . II , p . 81 .

بيبرس الدواداري ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٢ م ، ص ٢٢٥ ، مفضل بن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٥٤٧ ، إبراهيم خميس ، جماعة الفرسان الداوية وعلاقاتهم بالقوى الإسلامية حتى معركة حطين عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الأسكندرية عام ١٩٨٣م .

John de Villiers , A letter of John de Villiers , Master of Hospital describing the Fall of Acre , in King , the Kinghts Hospitallers in the Holy Land , p . p . 301 - 303 .

Northup , the Kinghts Templars in the Holy Land (1118 - 1187) , thesis of Master of Arts , Univ., of California 1943 .

٨ - عن ذلك انظر :

نبيلة مقامي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ، رنسيمان ، الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ت . السيد الباز العريني ، ط . بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٦١٨ ، حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، جـ٣ ، ط . القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٦١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

٩ - ومن أمثلة تلك الوثائق اللاتينية التى تشير إلى ثراء تلك الهيئات الحربية الصليبية من خلال المنح ، والهبات المقدمة لها انظر :

Delaville le Roulx , " Trios chartres de XII siecle concernant l'Ordre de St.Jean de Jerusalem " , A.O.L., T.I. , Annee 1893 , pp . 409 - 415 , " Inventaire de pieces Terre de l'Ordre de l'Hospital" , R.O.L., T.II, Annee 1895 .

١٠ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ، ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٣٣ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ١٧٠ .

١١ - Mayer , Two unpublished letters on the Syrian earthquake of 1202 , p. 304 , p . 305 .

١٢ - عن أسواق الدولة النورية انظر :

ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، م (٢) ، ص ٨٠ ، ترجمة محمود بن زنكى ، تحقيق نكيتا اليسيف B.E.O., T.XXV,Annee 1972 ص ١٣٧ .

Elisseeff , " Corporation de Damas sous Nur Al.Din , materiaux aux une Topographie economique de Damas au XII siecle " , R.E.A., T.III, Annee 1956 .

محمد مؤنس أحمد عوض ، " الأسواق التجارية فى عهد النورية " ، الدارة ، السنة (١٦) ، العدد (٣) عام ١٩٩١م ، ص ٧٢ - ص ٩٢ .

١٣ - أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ .

١٤ - أسامة بن منقذ ، أشعار له وردت فى السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٠٦ ، وانظر الملاحق .

١٥ - عن مذبحة بيت المقدس انظر :

Anonymous , The deeds of the Franks and other pilgrims , Trans . by Hill, New York 1962 , p . 51 .

Raymond d'Aghilliers , in Peters , The First Crusada , pennsylvania 1971, p . 209 , Fulcher of chartres , A History of the expedition to Jerusalem , p . 122 .

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدوز ، ط . بيروت ١٩٠٨م ، ص ١٣٧ ، ابن ميسر ، منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hist. Or .T.III ، ص ٤٦٣ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ط . بيروت ١٨٩٠ م ، ص ١٩٧ ، اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ ٣ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٤٨ هـ، ص ١٥٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ ٩ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ ، ص ١٠٨ .

Hagenmeyer, "Chronologie de la premiere croisade ", .O.L.,T.VII, Annee1809, p. 477- 478
Gottein , " Contemporary letters on the capture of Jerusalem by the Crusaders " , J.J.S., vol . X, 1952 , pp . 162 - 177 .

سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحوب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٥٧ - ص ٥٨ ، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق ، ط . القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢٧٦ ، العروسي المطوى ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ط . بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٥٤ ، حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، ط . القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٧٩ ، جوزيف نسيم يوسف ، الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي ، ط . بيروت ١٩٨١م ، ص ١٥ .

١٦ - من أمثلة إتفاقيات السلام بين المسلمين والصليبيين انظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٣ - ص ٢٣٤ ، نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط . القاهرة ١٩٦١م ، ص ٤٩ - ص ٥٥ ، عمر كمال توفيق ، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، دراسة تحليلية وثائقية في تاريخ الدبلوماسي ، ط . الإسكندرية ١٩٨٦م، ص ١٨٣ .

١٧ - أسامة بن منقذ ، الإعتبار ، ص ١٧٠ - ص ١٧٢ .

١٨ - John of Wurzburg , Description of the Holy Land , Trans . by Aubrey Stewart , p.p.T.S., vol . V, London 1896 , p . 44 .
Woodings, " The Medical resources and practice of the Crusader states in Syria and Palestine (1096 - 1193) , M.H., vol . XV,No3 , 1971 .

محمد مؤنس أحمد عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ١٣١ .

١٩ - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

٢٠ - محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية ، ص ٤٢٠.

٢١ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ٤٢٠ - ص ٤٢١ .

٢٢ - Prawer , The settlement of the Latins , p . 497 - 498 .

عاشور ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، أيضا إشارة هامة لدى :

شفيق جاسر محمود ، القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها (١٠٩٩ - ١٢٤٤م / ٤٩٢ - ٦٤٢ هـ) ، ط . عمان ١٩٨٩م ، ص ١١٩ .

٢٣ - ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٢ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، م (٨) ، ق(١)، ص ٢٣٨ .

٢٤ - ناصر خسرو ، رحلة ناصر خسرو القبادياني ، ت . أحمد خالد البدلي ، ط . الرياض ١٩٨٣م ، ص ٤٣ ، ويقول ناصر خسرو ما نصه " رأيت فيها بيوتا تتكون من أربعة أدوار وخمسة وستة أيضا " .

٢٥ - السيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٩٧ ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٩٢ .

وفى ذلك يقول السيوطي بشأن زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ، نقلا عن بعض البلغاء دون تحديدهم ، " فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل ، وحسرة المصر الغافل ، وتنبيها على إخلاص التوبة من المتغافل ، وإزعاجا للمتباطئ عن الطاعة والمتثاقل ، وما ظلم الله عباده باهلاك النسل والناسل ، ولكنهم لما تعادوا عن الحق ، وتمادوا فى الباطل ، وأضاعوا الصلوات ، وعكفوا على الشهوات والشواغل ، وأهدروا دم المقتول ، وأرشوا فى ترك القاتل ، وارتكبوا الفجور ، وشربوا الخمور ، وانتشر فسقهم فى القبائل ، وأكلوا الربا ، والرشا ، وأموال اليتامى وهو شر المآكل ، وزهدوا فيما رغبوا فيه ، وطمعوا فى الحاصل ، ومن بقى منهم إنما يستدرج فى أيام قلائل ، وما جرى على البلاد فعبرة ، وموعظة للخارج والداخل " ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

٢٦ - القرآن الكريم ، سورة (٩٩) وهى مكية .

٢٧ - السيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ٧٢ .

٢٨ - ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ١٣ ، ط . القاهرة ، ص ٧٩ .

٢٩ - ابن النديم ، الفهرست ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٢٦١ .

٣٠ - عبد الله يوسف الغنيم ، أسباب الزلازل وأحداثها فى التراث العربى ، ص ١٨٦.

٣١ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ١٨٧ .

ومن أمثلة المؤلفات المتأخرة انظر :

محمد مطيع الحافظ ، " نصوص غير منشورة عن الزلازل "
B.E.O., T.XXXII - XXXIII , Dama , Annee 1980 - 1981 , pp . 255 - 262 .

مصطفى أنور طاهر ، " تحصين المنازل من هول الزلازل لأبى الحسن على بن الجزار " B.E.O., T.XII, le Caire , Annee 1974 , pp. 136 -159 ، " نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر
B.E.O., T.XXVI, Damas, Annee 1964 , pp. 55 - 108 . "

وهناك إشارة هامة عن العلماء المسلمين الذين كتبوا مؤلفات عن الزلازل وتناولوها بالذكر فى مؤلفاتهم ، عن ذلك انظر : على عبد الله الدفاع وزغلول النجار ، إسهام علماء المسلمين الأوائل فى تطور علم الأرض ، ط . الرياض ١٩٨٨م ، ص ٢٤٠ .

٣٢ – ومن أمثلة أشعاره انظر :

أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ، محمد على الهرفي ، شعر الجهاد فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، ط . القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٢٩٢ – ص ٢٩٣ ، وانظر أيضا : القسم الخاص بالملاحق .

٣٣ – أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، السيوطى ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

٣٤ – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٤٤ ، محمد على الهرفي ، المرجع السابق ، ص ٨١ ، ص ٨٢ ، وانظر أيضا : القسم الخاص بالملاحق .

٣٥ – أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

٣٦ – عن ذلك انظر :

مصطفى عبد الواحد ، الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى القرن الخامس الهجرى ، ط. مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م ، مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ط . بيروت ١٩٨٣م ، ص ٥١٢ – ص ٥٦٣ ، نورى حمودي القيسي ، الطبيعة فى الشعر الجاهلي ، ط . بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٥٧ – ص ٢٧٦ .

٣٧ – علية عبد السميع الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٣٨٥ – ص ٣٩٥.



الخاتمة



الخاتمة

مثلت بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية ، وعلى مدى القرنين السادس ، والسابع الهجرى / الثانى عشر ، والثالث عشر الميلادى ، منطقة لتركز النشاط الزلزالى المدمر ، بيد أن المرحلة الزمنية الممتدة على مدى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى مثلت على نحو خاص أهمية متميزة نظرا للآثار ، والنتائج التى نجمت عن تلك الكوارث الطبيعية المدمرة .

وقد أصيبت مناطق المسلمين ، وكذلك الصليبيين بالضرر من جراء تلك الأحداث ، وهذا يعنى أن الطرفين تشابهت أوضاعهما من خلال المصير المأساوي الناجم عن الزلازل ، وإن كان ذلك بصورة متفاوتة .

والواقع أن لدينا العديد من المصادر التاريخية المهمة سواء لدى الجانب الإسلامى أو الجانب الصليبي ، أعانت على إلقاء الضوء على تلك الزلازل ، وآثارها التدميرية ، والنتائج المتعددة التى نتجت عنها .

وبعيدا عن اللهث وراء أحداث تلك الزلازل ، فقد تعددت الآثار الناجمة عنها خلال المرحلة موضوع البحث ، ويمكن إجمال تلك الآثار فى النواحى السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والبنية السكانية ، وكذلك الجوانب الدينية ، والأدبية .

ومما ذكر فى هذا المجال ، أن الكيانات المحلية الشامية هرعت الى القوى الكبرى فى المنطقة ، وفى الغرب الأوربي طلبا للمساعدة، ونجد أن الدولة النورية - على سبيل المثال - طلبت عون الخلافة العباسية فى بغداد من أجل معاونتها على تحمل نفقات إعادة بناء ماقد هدمته الزلازل المدمرة ، أما الصليبيين ، فقد كشفت وثائقهم اللاتينية عن ارتمائهم فى أحضان الغرب الأوربي- وهو الذى هندس المشروع الصليبي ، وتبناه ورعاه منذ أن كان فى المهد - وهكذا ، طلب الصليبيون معاونة الغرب الأوربى ماديا ، ومعنويا على نحو عكس أن ذلك الكيان الدخيل لم يتمكن على مدى قرن كامل من وجوده فى بلاد الشام ، من أن يثبت أقدامه أو يعتمد علي موارده المحلية لمواجهة المشكلات التى صادفته ، وإنما عاش عالة تاريخية على الغرب الأوربى ، وظلت تلك الزاوية بمثابة صفة أساسية له ، ومثلت واحدة من أخطر نقاط الضعف التى ارتبطت به منذ بداية تاريخه فى بلاد الشام حتى نهايته .

أما على المستوى الحربى ، فقد أدت الزلازل إلى وقف العمليات الحربية الهجومية لدى كل من الطرفين ، وتحول الجانبان إلى اتباع سياسة دفاعية تقوم على الترقب ، والحذر ، نظرا لانشغال المسلمين ، والصليبيين بعمليات إعادة التعمير وترميم ماقد تهدم ، غير أن ذلك لم يكن ليستمر طويلا ، إذ سرعان ماعاد الصراع إلى طبيعته الأصلية ، وشهدت ساحات الوغى بين الجانبين تعالى صليل السيوف ، واحتدام المعارك الدموية .

وفى ذات المقام ، تأثرت القلاع الحربية لدى كل من الجانبين بتلك الهزات الزلزالية المدمرة ، مع ملاحظة أن قلاع الصليبيين على نحو خاص ، تعرضت للتأثير الأكبر بالمقارنة بقلاع أعدائهم ، نظرا لأنهم أكثروا من إقامة القلاع ، وكانت تلك العمائر الحربية تحت سيطرة عناصر الإسبتارية والداوية ، ونظرا لامكاناتهم المادية الكبيرة ، فقد تم تمويل عمليات إعادة بناء القلاع بسيولة نقدية وفيرة على الأرجح .

ومع ذلك فان الآثار الإقتصادية شكلت - فى تقديرى - أحدأهم الآثار التى نتجت عن تلك الهزات الزلزالية ، إذ أصيبت كافة مجالات النشاط الاقتصادى بالشلل إلى حين أمكن إعادة الحياة إلى طبيعتهافى المدن الشامية المنكوبة ، ومن جهة أخرى ، تم انفاق الأموال الطائلة على عمليات التشييد ، وإعادة البناء ، والترميم ، ولاريب فى أن ذلك استهلك جانبا كبيرا من ميزانيات الجانبين الإسلامى ، والصليبي حينذاك ، كل حسب حجم الدمار فى مناطقه .

وقد عانت البنية البشرية من تلك الأحداث بصورة فعالة ، إذ أن المصادر التاريخية المعاصرة سواء الإسلامية أو الصليبية أشارت صراحة إلى الآلاف من القتلى من جراء تلك الزلازل ، وأن حجم وأعداد القتلى ارتفع بشكل ملحوظ فى بعض المدن الشامية التى تأثرت بصورة أكبر من غيرها بتلك الهزات المدمرة ، وإذا كان إعادة بناء المبانى المهدمة أمراً ميسوراً، فان إعادة البنية السكانية إحتاج سنوات طوال من أجل تكوينها من جديد .

ولا نغفل فى هذا الصدد أن الصليبيين أضيروا أكثر من المسلمين - على الأرجح - فيمايتصل بالخسائر البشرية حيث أنهم عانوا أصلا من نقص العنصر البشرى - وجاءت الزلازل الواقعة خلال النصف اثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى لتزيد من تفاقم المشكلة ، أما الجانب الإسلامى فالمتصور أن معاناته لم تكن بصورة مماثلة ، إذ أن سهول أودية الأنهار فى الشام ، ومصر ، اتسمت بكثافة سكانية تقليدية كان بامكانها أن تقلل من فداحة الخسائر البشرية الناجمة عن تلك الهزات الزلزالية المدمرة .

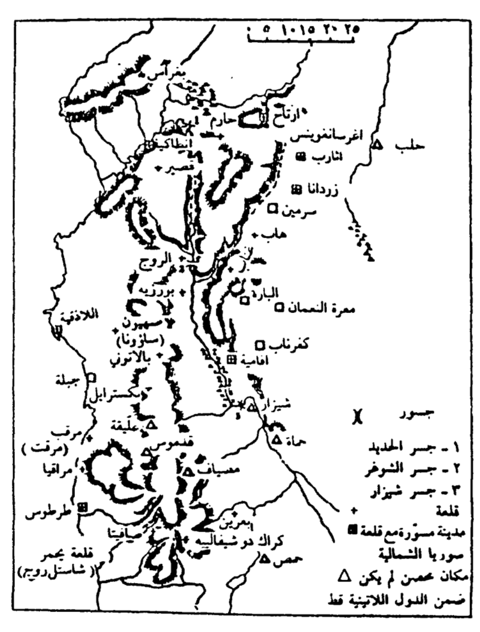
ولا مراء ، فى أن حجم الكوارث التى منيت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة قد دفع القوم نحو الجانب الدينى ، فزاد تمسكهم بدينهم أكثر من ذى قبل ، ونجد ذلك واضحا لدى المسلمين، إذ أكثروا من الصلاة ، والعبادة ، والتسبيح والاستغفار ، ومن المعروف أن الإنسان -بصفة عامة - عندما تعتريه الأزمات والخطوب التى يعجز عن مواجهتها يهرع إلى الله تعالى ، اعترافا بعظمة الخالق ، وعبودية المخلوق ، وعجزه وقلة حيلته .

ومن جهة أخرى ، تركت لنا تلك المرحلة الزاخرة بصراع البشر بعضهم مع البعض الآخر ، وصراع الإنسان مع المظاهر الجغرافية المختلفة المحيطة به - تركت آثاراً أدبية هامة هى التى بقيت كنتيجة لتلك الزلازل العنيفة ، بينما ضاعت كافة الآثار الأخرى مع تقادم الأزمنة ، ومن أمثلة تلك الآثار الأدبية ، القصائد الشعرية المعبرة من جانب الشعراء ، ومنهم المجهول ، وكذلك المعروف لدينا ، وعكست - فيما عكست - أن الشعر العربى أرخ ليس فقط لقضية الجهاد ضد الصليبيين ، بل لكافة الأحداث التى مر بها المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ومنها النوازل ، والكوارث كالزلازل ، ولذا اتخذنا من تلك القصائد مادة تاريخية مهمة معبرة عن إيقاع الأحداث ، والآثار النفسية التي شملت المعاصرين ، خاصة أن لدينا قصائد هامة نظمها أحد المكلومين على المستوى الشخصى من تلك الزلازل ونعنى به الشاعر الشيزرى البارز أسامة بن منقذ ، ولذا فان آثاره الشعرية فى رثاء شيزر تعبر أصدق تعبير عن حجم المأساة التى وقعت هناك ، وتعطى لنا صورة معبرة عن الآثار النفسية المأساوية التى تركتها الزلازل الشامية حينذاك فى نفوس المعاصرين .

مجمل القول وصفوته ، أن بلادالشام خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى نكبت بهزات زلزالية مدمرة ، أدت إلى إحداث آثار متعددة على كافة الأصعدة والمستويات السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والسكانية ، والدينية ، والأدبية ، على نحو كشفت عنه نصوص المصادر التاريخية المعاصرة الإسلامية والصليبية .

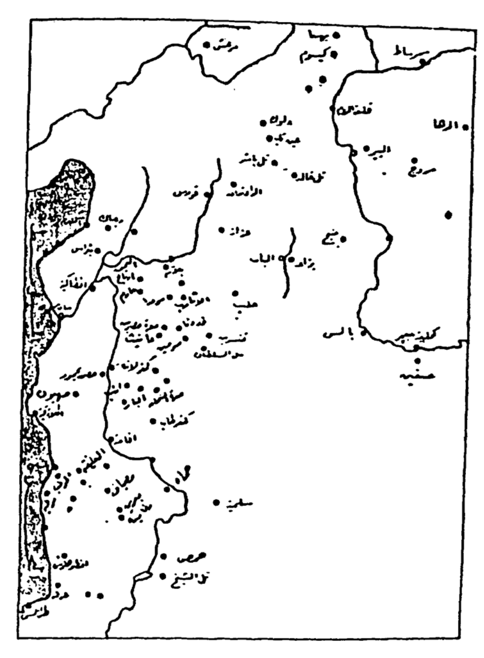


الخرائط

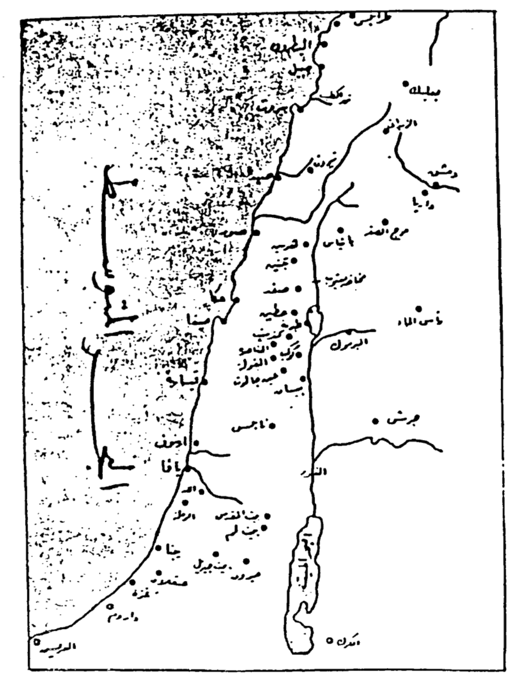


القلاع الصليبية فى إمارتي أنطاكية وطرابلس

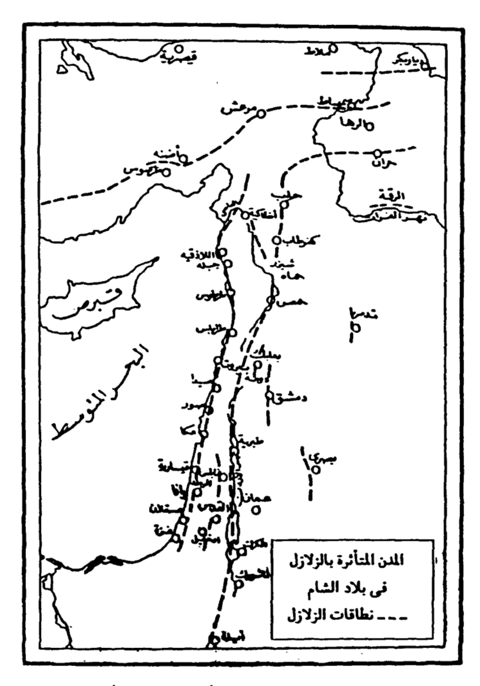
نقلا عن سمايل ، الحروب الصليبية



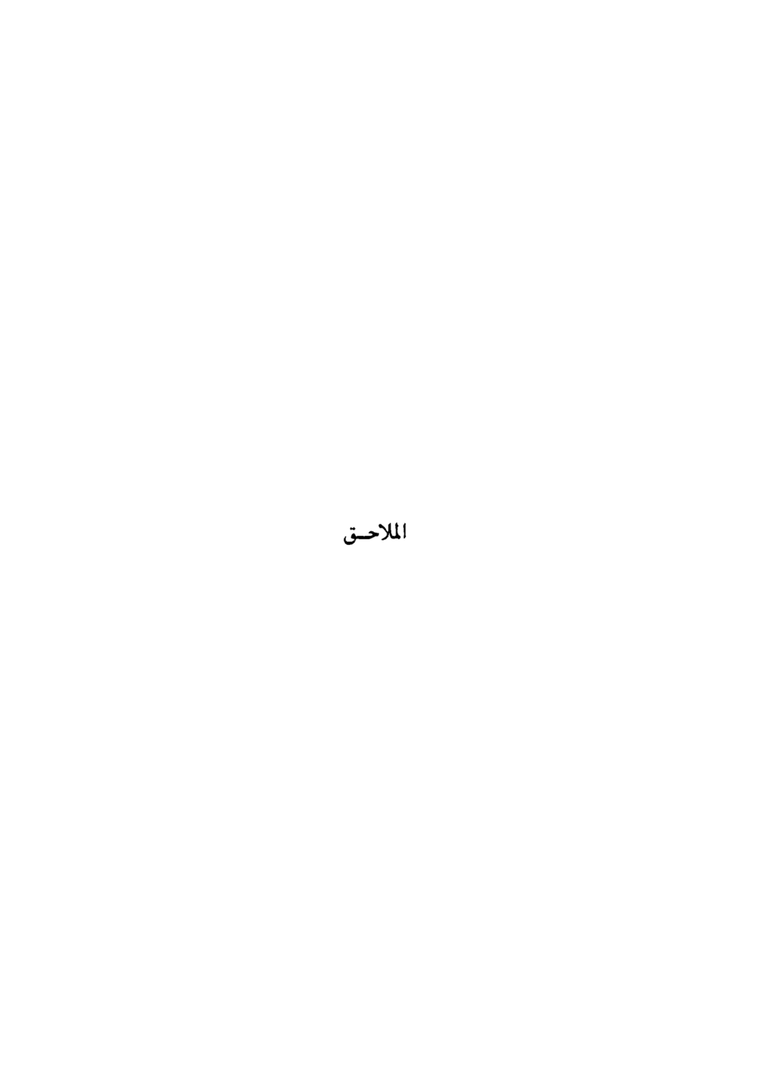
شمال الشام نقلا عن العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية



فلسطين نقلا عن العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية



نقلاً عن عبد الله يوسف الغنيم : أسباب الزلازل وأحداثها



الملاحـق

ملحق رقم (١)

من وصف ابن القلانسى لزلزال عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦م

" فى ليلة الخميس التاسع من شعبان ، الموافق لليوم السابع والعشرين من أيلول فى الساعة الثانية منها ، وافت زلزلة عظيمة ، رجفت بهاالأرض ثلاث أو أربع مرات ، ثم سكنت بقدرة من حركها ، وسكنها سبحانه وتعالى من مليك قاهر ، ثم وافى بعد ذلك ليلة الأربعاء الثانى وعشرين من شعبان المذكور ، زلزلة جاءت قبلها وبعدها مثلها فى النهار ، وفى الليل ، ثم جاء بعد ذلك ثلث دونهن بحيث أحصين ست مرات ، وفى ليلة السبت الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، جاءت زلزلة ارتاع الناس منها فى أول النهار وآخره ثم سكنت بقدرة محركها سبحانه وتعالى .

وتواصلت الأخبار من ناحية حلب ، وحماه ، بانهدام مواضع كثيرة ، وإنهدم برج من أبراج أفامية بهذه الزلازل الهائلة ، وذكر أن الذى أحصى عدده منها تقدير الأربعين على ما حكى والله تعالى أعلم وما عرف مثل ذلك فى السنين الماضية والأعصر الخالية " (١).

ملحق رقم (٢)

من وصف ابن القلانسى لزلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م

" ... ولما كانت ليلة الأربعاء التاسع عشر من صفر ، وافت زلزلة عظيمة عند انبلاج الصباح فروعت ، وازعجت ثم سكنها محركها بلطفه ورأفته بعباده ، ثم تلا ذلك أخرى دونها إلى ليلة الخميس تالية بعد مضى ساعات منها ووافقت بعدهما أخرى بعد صلاة الجمعة تالية ، وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الأول منها ، والآخر فى مدينة شيزر ، وحماة ، وكفر طاب ، وأفامية وما والاها إلى مواضع من حلب والله تعالى ذكره وعز اسمه أعلم وأرحم لخلقه " (٢).

---

١ - ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م ، ص ٣٣٤ - ص ٣٣٥ .

٢ - ابن القلانسى المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

ملحق رقم (٣)

زلازل عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م فى بلاد الشام من خلال ابن الأثير

" في هذه السنة في رجب ، كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد ، وهلك فيها ما لايحصى كثرة فخرب بالمرة حماه ، وشيزر ، وكفر طاب و المعرة ، وأفامية وحمص ، وحصن الأكراد ، وعرقة ، واللاذقية ، وطرابلس ، وأنطاكية ، وأما مالم يكثر فيه الخراب ، ولكن خرب أكثره فى جميع الشام وتهدمت أسوار البلاد والقلاع ، فقام نور الدين محمود فى ذلك المقام المرضى ، وخاف على بلاد الإسلام من الفرنج ، حيث خربت الأسوار فجمع عساكره وأقام بأطراف البلاد فلم يزل كذلك حتى فرغ من أسوار البلاد وأما كثرة القتلى فيكفى أن معلما كان بالمدينة ، وهى مدينة حماه ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت أحد يسأل عن صبى كان له بالمكتب " [١].

ملحق رقم (٤)

ابن الجوزى يتناول زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م

" ووصل الخبر فى رمضان بزلازل كانت بالشام عظيمة ، فى رجب تهدمت منها ثلاثة عشر بلدا ثمانية من بلاد الإسلام وخمسة من بلاد الكفر ، أما بلاد الإسلام فحلب ، وحماه ، وشيزر ، وكفر طاب ، وأفاميه ، وحمص ، والمعرة وتل حران ، وأما بلاد الأفرنج فحصن الأكراد ، وعرقة ، واللاذقية ، وطرابلس ، وأنطاكية ، فأماحلب فأهلك منها مائة نفس ، وأما حماه فهلكت جميعها إلا اليسير وأما شيزر فما سلم منها إلا إمرأة وخادم لها وهلك جميع من فيها ، وأما كفر طاب فما سلم منها أحد وأما أفامية فهلكت وساخت قلعتها وأما حمص فهلك منها عالم عظيم ، وأما المعرة فهلك بعضها وأما تل حران فانه انقسم نصفين وظهر من وسطه نواويس وبيوت كثيرة وأما حصن الأكراد وعرقة فهلكت جميعا ، وهلكت اللاذقية فسلم منها نفر ، ونبع فيها جوبه فيها حمأة وفى وسطها صنم واقف ، وأما طرابلس فهلكت أكثرها ، وأما أنطاكية فسلم بعضها " [٢].

---

١ - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٥٣ .

٢ - ابن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم ، جـ ١٠ ، ط . حيدر آباد الدكن ١٣٥٨هـ . ص ١٧٦ - ص ١٧٧ .

ملحق رقم (٥)

أسامة بن منقذ يصف ما أحدثته الزلازل فى شيزر عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م

" .. وبعد جعلك الله بنجوة من النوائب ، وأصفى لك الحياه من كدر الشوائب ، ولا راعك بحادثة تنسى ما قبلها ، وتصغر ما بعدها ، وتفتح من النكبات أبوابا لا نستطيع سدها ، فانى دعانى إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادى ، وأوطانى من الخراب ، فان الزمان جر عليها ذيله ، وصرف إلى تعطيتها حوله وحيله ، فاصبحت كأن لم تغن بالأمس ، موحشة العرصات بعد الأنس ، قد دثر عمرانها ، وهلك سكانها ، فعادت مغانيها رسوما ، والمسرات بها حسرات وهموما ، ولقد وقفت عليها بعد ما أصابها من الزلازل ما أصابها ، وهى أول أرض مس جلدى ترابها ، فما عرفت دارى ، ولا دور ، والدى ، وإخوتى ، ولا دور أعمامى ، وبنى عمى ، وأسرتى ، فبهت متحيرا مستعيذا باللهمن عظيم بلائه ، وانتزاع ما خوله من نعمائه [١].

ملحق رقم (٦)

من قصائد أسامة بن منقذ فى وصف زلازل الشام عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م

أغنا على الموت والمعاد ... وأصبحنا نظن اليقين أحلاما
فحركتنا هذه الزلازل أن ... تيقظوا كم ينام من ناما

وقال أيضا :

أيها الغافلون عن سكرة المو ... ت وإذ لا يسوغ فى الحلق ريق
كم إلى كم هذا التشاغل والغف ... لة حار السارى وضل الطريق
إنما هزت الزلازل هذى ال ... أرض بالغافلين كى يستفيقوا

وقال أيضا :

يا أرحم الراحمين إرحم عبادك من ... هذى الزلازل فهى الهلك ، والعطب
ماجت بهم أرضهم حتى كأنهم ... ركاب بحر مع الأنفاس تضطرب
فنصفهم هلكوا فيها ونصفهم ... لمصرع السلف الماضين يرتقب
تعوضوا عن مشيدات المنازل بالـ ... أكواخ فهى قبور سقفها خشب
كأنها سفن قد أقبلت وهم ... فيها فلا ملجأ منها ، ولا هرب [٢]

---

١ - أسامة بن منقذ ، كتب المنازل والديار ، ط . بيروت ١٩٦٥ م ، ص ٢ ، ص ٣ .

٢ - السيوطى ، كشف الصلصلة فى وصف الزلزلة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى ، ط . المدينة المنورة ١٤٠٤ هـ ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .

ملحق رقم (٧)

من قصيدة أسامة بن منقذ فى رثاء أهله على أثر الزلزال الذى وقع عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م

ويـــح الزلازل أفنت معشرى فاذا ذكرتـهم خلتنى فى القوم سكرانا

لا ألتقى الدهر مـن بعد الزلازل ما حيت إلا كسـير القلب حيرانـا

أخنت على معشرى الادنين فاصطلمت منهم كهـولا وشبـانا ولـدانا

لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت بأسـا تبادره الأقران أزمـانا

أن اقفرت شيزر منهم فهم جعلوا منيـع أسوارها بيضا وخرصـانا

هم حموها فلو شاهدتهم وهم بهـا لشاهدت أسـا دا وخفـانا

بنو أبى ، وبنو عمى دمى دمهم وان أرونـى منـاواة وشنآنا

يطيب النفس عنهـم أنهم رحلوا وخلفونـى على الآثار عجلانا[١]

ملحق رقم (٨)

وصف زلزال عام ٥٥٢هـ / ١١٥٧م من خلال ابن العبرى

" فى سنة أثنين وخمسين وخمسمائة فى رجب ، كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد ، فخربت منها حمص ، وحماه ، وشيزر ، وكفر طاب ، والمعرة ، وأفامية ، وحصن الأكراد ، وعرقة ، واللاذقية ، وطرابلس ، وأنطاكية ، وأما كثرة القتلى فيكفى منها أن معلما كان بمدينة حماة ، وذكر أنه فارق المكتب لهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبى كان له " [٢].

---

١ - أسامة بن منقذ ، ديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد أحمد بدوى وحسان عبد المجيد، ط . بيروت ١٩٨٣م ، ص ٣٥٤- ص ٣٥٩ .

أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط . بيروت ب - ت ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

٢ - ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ط . بيروت ١٨٩٠م ، ص ٣٦٢ .

ملحق رقم (٩)

القصيدة المجهولة المؤلف عن زلزال عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م

روعـتـنـا زلازل حـادثـات ... بـقـضـاء قـضـاه رب الـسـمـاء
هـدمـت حـصـن شـيـزر ، وحـمـاه ... أهـلـكـت أهـلـه بـسـوء الـقـضـاء
وبـلادا كـثـيـرة وحـصـونـا ... وثـغـورا مـوثـقـات الـبـنـاء
وإذا مـا رنـت عـيـون إلـيـهـا ... أجـرت الـدمـع عـنـدهـا بـالـدمـاء
وإذا مـاقـضـى مـن الـلـه أمـر ... سـابـق فـى عـبـاده بـالـمـضـاء
سـار قـلـب الـلـبـيـب فـيـه ومـن كـ ... ـان لـه فـطـنـة وحـسـن ذكـاء
وتـراه مـسـبـحـا بـاكـى الـعـيـ ... ـش مـروعـا مـن سـخـطـه وبـلاء
جـل ربـى فـى مـلـكـه وتـعـالـى ... عـن مـقـال الـجـهـال ، والـسـفـهـاء[١]

ملحق رقم (١٠)

نص الرسالة المرسلة من ديوان الإنشاء النورى إلى الخليفة العباسى المستنجد بالله عقب زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، من إنشاء العماد الكاتب الأصفهانى

" قد أحاط العلم الشريف أجله الله بهذه الحادثة التى ألمت بالشام من الزلزالة التى تداعت لها الثغور بالإنتلام والمعاقل والحصون بالانهداد ، والانهدام ولم يكن إلا عبرة " لأولى الألباب"[٢] ، موعظة وآية من الله لعباده منذرة موقظة ، وقد عمت حتى عطلت كل حال ، وشغلت كل بال ، وألحقت كل جديد ببال ، والحمد لله على كل حال وما سكنت النفوس من رعبها إلا بما دهم الكفار من أمرها ، فانها وافقت يوم عيدهم ، وهم فى الكنائس ، فاصبحوا

---

١ - ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م ، ص ٣٤٤ ، أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ط . بيروت بـ - ت ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .
٢ - آل عمران ، آية رقم (١٣).

للردى فرايس (شاخصة أبصارهم ينظرون) [١](فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) [٢]، ولولا إنشغالهم بما عداهم حيث إنقلعت كل قلعة لهم من أساس بنيانها ورجف كل بلدة فى أيديهم بهلاك سكانها لم تؤمن فى نوبة هذه النبوة معرتهم ولم تخش بعد هذه المضرة إلا مضرتهم وإن بالثغور الإسلامية شدة إفتقار إلى تحصينها وإعادة أبنية حصونها قبل أن يستفحل الداء ويتفرغ لشغلها الأعداء وما أولى المواقف المقدسة بايلاء الأيادى وإسدائها وإعانة من تكفل بسد ثغور الإسلام وصد أعدائها وما أحوج الخادم إلى نظرة شافية وعارفة لهذا المحظور كافية ، ولا ينهض بعبء هذه النوبة إلا بما يرقد به من المعونة ، وما يشمله من بركات الأيام الزاهرة الميمونة [٣].

ملحق رقم (١١)
نص قصيدة من نظم العماد الكاتب الأصفهانى
تناول فيها زلزال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م

جل رزء الفرنج فاستبدلوا منه بلبس الحديد لبس الحداد

فرق الرعب منه فى أنفس الكفار بين الأرواح والأجساد

سطوة زلزلت بسكانها الأر ض وهدت قواعد الأطواد

أخذتهم بالحق رجفة بأس تركتهم صرعى صروف الغوادى

خفضت من قلاعها كل عال وأعادت قلاعها كالوهاد

أنفذ الله حكمه فهو ماض مظهر سر غيبه فهو بادى

آية أثرت ذوى الشرك بالهلك وأهل التوحيد بالارشاد

والاعادى جرى عليهم من التدمير ماقد جرى على قوم عاد

اشركت فى الهلاك بين الفريقين دعاة الإشراك والالحاد

ولقد حاربوا القضاء فأمضى حكمه فيهم بغير جلاد

والإله الرءوف فى الشام عنا دافع لطفه بلاء البلاد[٤]

---

١ - القلم ، آية رقم (٤٣).

٢ - النحل ، آية رقم (٢٦)

٣ - الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى ، ص ٤٨ ، ص ٤٩ .

٤ - أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط . بيروت ب - ت ، جـ ١ ، ص ١٨٤.

ملحق رقم (١٢)

ابن الأثير يصف آثار زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م فى بلاد الشام

" فى شعبان منها ، تزلزلت الأرض بالموصل ، وديار الجزيرة كلها ، والشام ، ومصر ، وغيرها ، فأثرت فى الشام آثار قبيحة ، وخربت كثيرا من الدور بدمشق ، وحمص ، وحماه ، وانخسفت قرية من قرى بصرى ، وأثرت فى الساحل الشامى ، أثرا كبيرا ، فاستولى الخراب على طرابلس ، وصور ، وعكا ، ونابلس ، وغيرها من القلاع ، ووصلت الزلزلة إلى بلد الروم، وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا " [١].

ملحق رقم (١٣)

أبو شامة يصف زلزال عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م وآثاره فى بلاد الشام

" جاءت فى شعبان زلزلة هائلة من الصعيد فعمت الدنيا فى ساعة واحدة هدمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلق كثير ، ثم امتدت على الشام ، والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جدار قائم إلا حارة السمرة .

قال أبو المظفر ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا وهدمت عكا ، وصور وجميع قلاع الساحل وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق ، وأكثر الكلاسة ، والبيمارستان النورى وعامة دور دمشق إلا القليل ، وهرب الناس إلى الميادين ، وسقط من الجامع ست عشرة شرفة ، وتشققت قبة النسر ، وتهدمت بالناس وهو بين بين ، وخرج قوم من بعلبك يجنون الريباس من جبل لبنان فالتقى عليهم الجبلان فماتوا بأسرهم ، وتهدمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها ، ووثيق عمارتها وامتدت إلى حمص ، وحماه ، وحلب ، والعواصم ، وقطعت البحر إلى قبرص ، وانفرض البحر فصار أطوادا ، وقذف بالمراكب على الساحل فتكسرت ، ثم امتدت إلى أخلاط ، وأرمينية ، وآذربيجان ، والجزيرة ، وأحصى من هلك فى هذه السنة على سبيل التقريب فكان ألف ألف أنسان ، ومائة ألف إنسان ، وكان قوة الزلزلة فى مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف ، ثم دامت بعدذلك أياما "[٢] .

---

١ - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ ٩ ، ط . بيروت ب - ت ، ص ٢٥٥ .

٢ - أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ط . بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٢٠ .

ملحق رقم (١٤)

أبو شامة المقدسي يصف زلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م وآثاره في بلاد الشام

" وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة فشققت قلعة حمص ، ورمت المنظرة التي على القلعة ، وأخربت حصن الأكراد ، وتعدت إلى جزيرة قبرص ، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقى ، وقال العز بن تاج الأمناء : هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلاد الساحل صور ، وطرابلس ، وعرقة ، وشعثت كثيرا من البلاد الإسلامية الشمالية ، ورمت بدمشق رؤس منائر الجامع ، وبعض شراريفه من شماله ، فقتلت رجلا مغربيا من الكلاسة ، ومملوكا تركيا لرجل صيرفي ساكن في درب السيمساطي عند تنفس الصبح من يوم الإثنين السادس والعشرين من شعبان الموافق العشرين من آب ، وأعقبها زلزلة خفيفة في صحوة الغد " [١].

ملحق رقم (١٥)

بنيامين التطيلي يتناول بعض الزلازل في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

طرابلس " وقد أصاب طرابلس قبل مدة وجيزة زلزال شديد أدى إلى هلاك خلق كثير من اليهود وغيرهم ، إنهارت عليهم الدور ، والحيطان قطمرتهم ، ونيف عدد من هلك بهذا الزلزال في فلسطين وحدها على العشرين ألفا " [٢].

حماه " هي بلدة حمث الواردة في التوراة على ضفاف نهر يبوق في سفح لبنان ، وقد أصابتها هزة أرضية منذ عهد قريب أهلكت خمسة عشر ألفا من سكانها بيوم واحد ، فلم يبق منهم إلا سبعون نفسا " [٣].

---

١ - أبو شامة المقدسي ، الذيل على الروضتين ، نشر الكوثري ، ط . بيروت ١٩٧٤م ، ص ٢٩ .

٢ - بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ت . عزرا حداد ، ط . بغداد ١٩٤٩م ، ص ٨٨ .

٣ - نفسه ، نفس المصدر ص ١٢٠ .

ملحق رقم (١٦)

الوثيقة الخاصة بزلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م

كما وردت لدى عبد اللطيف البغدادى (كتاب حماه)

" نسخة الكتاب الوارد من حماه ، لما كان سحرة يوم الأثنين السادس والعشرين من شعبان، حدثت زلزلة كادت الأرض تسيرسيراً ، والجبال تمور موراً ، وما ظن أحد من الخلق إلا أنها زلزلة الساعة ، واتت دفعتين فى ذلك الوقت ، أما الدفعة الأولى ، فاستمرت ساعة أو تزيد عليها ، وأما الثانية فكانت دونها، ولكن أشد ، وتأثر منها بعض القلاع ، فأولها قلعة حماه مع إتقانها ، وعمارتها ، وبارين مع إكتنازها، ولطافتها ، وبعلبك مع قوتها، ووثاقتها ، ولم يرد عن البلاد الشاسعة ، والقلاع النازحة إلى الآن ما أذكره ، ثم حدث فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى فى عملها اليقظان ، والنائم وتزعزع لها القاعد ، والقائم ثم حدثت فى هذا اليوم أيضا وقت صلاة العصر ، ووصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع الشرقية ، وأكثر الكلاسة ، والبيمارستان جميعه ، وعدة مساكن تساقطت على أهلها فهلكوا" [١] .

ملحق رقم (١٧)

الوثيقة الخاصة بزلزال عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م

كما وردت لدى عبد اللطيف البغدادى (كتاب دمشق)

" نسخة الكتاب الوارد من دمشق ، المملوك ينهى حدوث زلزلة ليلة الأثنين سادس وعشرين شعبان وقت أنفجار الفجر ، وأقامت مدة قال بعض الأصحاب أنها مقدار ما قرأ سورة الكهف ، وذكر بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلها فيما تقدم ، ومما أثرت فى البلد سقوط ست عشرة شرفة من الجامع إحدى المواذن وتشقق أخرى ، وقبة الرصاص يعنى النسر ، وانخساف الكلاسة ، ومات فيها رجلان ، جل آخرعلى باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة ، وسقط بالبلد عدة دور ، وذكر عن بلاد المسلمين أن بانياس سقطت بعضها ، وصفد كذلك ، ولم يبق بها إلا من هلك سوى ولد صاحبها ، وكذلك تبنين ، ونابلس لم يبق بها جدار قائم سوى السمر - ويذكر أن القدس سالم والحمد لله .

---

١ - عبد اللطيف البغدادى ، الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق أحمد غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٨٣م ، ص ١٠٠ - ص ١٠١ .

أما بيت جن فلم يبق منه ولا أساس الجدران إلا وقد أتى عليه الخسف ، كذلك أكثر بلاد حوران غارت، ولم يعرف ليلة منها موضع يقال فيه القرية الفلانية ويقال أن عكة سقط أكثرها، وصور ثلثها ، وعرقة خسف بها ، وكذلك صافيتا ، وأما جبل لبنان موضع يدخل الناس إليه بين جبلين يجمع منه الريباس الأخضر فيقال الجبلين أطبقا على من بينهما ، وكذلك عدتهم تناهز مائتى رجل ، وقد أكثر الناس فى حديثهما ، وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث فى النهار والليل، ونسأل الله عطفه وتدبيره وهو حسبنا ونعم الوكيل " [١] .

ملحق رقم (١٨)

جدول بالأعوام التى وقعت فيها الزلازل فى بلاد الشام

فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى

والمدن المنكوبة من جرائها

السنة	المدن المنكوبة
٥٥١ هـ / ١١٥٦ م	دمشق - حلب - حماه - أفامية - شيزر - كفر طاب .
٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م	حماه - شيزر - حمص - حلب - دمشق - بعرين - طرابلس - أنطاكية - صيدا - بيروت - عكا - صور - حصن الأكراد - حران - معرة النعمان - عرقة - اللاذقية .
٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م	حلب - دمشق
٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م	دمشق
٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م	حلب - دمشق - حماه - حمص - شيزر - بعرين - بعلبك - أنطاكية - طرابلس - صور - جبلة - اللاذقية - حصن الأكراد - عرقة - صافيتا.
٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م	دمشق - حمص - حماه - بصرى - نابلس - طرابلس - صور - عكا.
٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م	دمشق - حماه - بانياس - صفد - تبنين - نابلس - حوران - جبل لبنان - عكا - صور [٢]

١ - عبد اللطيف البغدادى ، الإفادة والإعتبار ، ص ١٠٢ - ص ١٠٣ .
٢ - عن هذا الجدول راجع فصول الكتاب ، والمصادر التاريخية المتعددة التى أشارت إلى إصابة تلك المدن بالزلازل .

ومن الممكن استنتاج عدة دلالات من ذلك الجدول ، وهى كالآتى :

أولا : تأثرت مدينة دمشق بكافة الهزات الزلزالية التى تعرضت لها بلاد الشام خلال النصف الثانى القرن الساس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، غير أنها لم تكن أكثر المناطق المنكوبة من جرائها ، وهذا يمكن إستنتاجه من مطالعة نصوص المصادر التاريخية المعاصرة .

ثانيا : عكس هذا الجدول وجود نطاقين أساسيين للإصابة بتلك الزلازل فى بلاد الشام وهى، النطاق الساحلى ومن أمثلته طرابلس - صيدا - بيروت - عكا - صور - اللاذقية ، ثم هناك المدن الواقعة فى شمال الشام ومن أمثلتها أنطاكية - حلب - حماه - شيزر ، وهذين النطاقين كانا - وبحق - ، مناطق تركز النشاط الزلزالى بآثاره التدميرية .

ثالثا : مثلت مدينة حلب المدينة الشامية التى تعرضت للإصابة بالزلازل لاسيما أعوام ٥٥١ هـ / ١١٥٦م ، ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م ، ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، ومعنى هذا أنها تأثرت بالزلازل الواقعة فى أوائل النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وزلازل ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م ، بينما لم تصب إصابات كبيرة بزلازل أخريات تلك المرحلة ونعنى بها ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م .

رابعا : مثلت مدينة حماه المدينة الشامية التى تعرضت لزلازل عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، ٥٩٨ هـ/ ١٢٠٢ م ، مع ملاحظة أن أهمها عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وهو ما عرف بزلزال حماه ، وتعرضت حتى لتلك الزلازل التى وقعت فى ختام القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ويبدو أن مدينتى حلب وحماه كانتا أكثر المدن المسلمة تضررا من جراء تلك الزلازل .

خامسا : مثلت طرابلس ، وأنطاكية المدن الصليبية المتضررة من جراء الزلازل ، خاصة خلال أعوام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، مع ملاحظة أن زلازل ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، كان أعنف تلك الزلازل فيما يتصل باصابة أنطاكية وطرابلس على نحو خاص .

سادسا : من الملاحظ أن مدينة بيت المقدس لم تصب من جراء زلازل تلك المرحلة بأضرار جسيمة وقد أغفلت المصادر التاريخية المعاصرة سواء الإسلامية أو الصليبية - فى الأغلب الأعم - الإشارة إليها ضمن المدن التى تضررت من جراء تلك الهزات الزلزالية التى أصيبت

بها بلاد الشام حينذاك وهى بذلك تختلف عما حدث عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦م[1] - أي أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى - عندما تأثرت من جراء زلزال ذلك العام .

---

١ - السيوطى : اتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى ، ق ٢ ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، ط . القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٢٠٤ .

قائمـــة المختصـــرات

A . O . L . : Arshives de l'Orient Latin .

B . F . A . A . U . : Bulletin of Faculty of Arts Alexandria University .

Chamb . Ency . : Chambers's Ency .

Ency . Amer . : Encyclopedia Americana .

Ency . Brit . : Encyclopedia Britannica .

Ency . Judeca : Encyclopedia Judeca .

Eng . Hist . Rev . : English Historical Review .

J . J . S . : Journal of Jewish Studies .

Med . stud. : Medieval Studies .

M . H . : Medical History .

R . E . A : Revue d'Etudes Arabes (Arabica) .

R . O . L . : Revue de l'Orient Latin .

Univ . Ency . : Universal Encyclopedia .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية والمعربة :

القرآن الكريم

ابن أبى أصيبعة (أحمد بن القاسم الخزرجى ت ٦٦٨ هـ / ١٢٨٠ م) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، الجزء الثانى ، ط . القاهرة ١٨٨٢ م ، تحقيق نزار رضا ، ط . بيروت ١٩٦٥ م .

ابن أبى الفضل (ق ٨ هـ / ١٤ م) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، تحقيق بلوشيه P.O.,T. XII.

ابن الأثير (عز الدين محمد بن عبد الكريم ت - ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الكامل فى التاريخ ، ط . القاهرة ب - ت ، ط . بيروت ب - ت ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر طليمات ، ط . القاهرة ١٩٦٣ م .

ابن إياس (أبو البركات محمد ابن أحمد ت - ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ط . القاهرة .

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) الرحلة المسامة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط . بيروت ب - ت .

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة ط . القاهرة . المنهل الصافى المستوفى بعد الوافى ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ط . القاهرة ١٩٥٦ م .

ابن جبير (أبو الحسن محمد الكنانى ت ٦١٦ أو ٦١٧ هـ / ١٢١٩ - ١٢٢٠ م) الرحلة ، ط . بيروت ١٩٨٠ م.

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٢ م) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الجزء التاسع ، الجزء العاشر ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٥٨ هـ - ١٣٥٩هـ

ابن الحنبلى الحلبى (رضى الدين محمد بن إبراهيم ت ٩٧١ هـ/ ١٥٧٦م) الزبد والطرب فى تاريخ حلب ، تحقيق محمد التونجى، ط . الكويت ١٩٨٨ م .

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صورة الأرض ، تحقيق دي جويه ، ط . ليدن ١٩٦٧ م .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط . القاهرة ١٩٤٨ م .

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد العلائى ت ٨٠٩ هـ / ١٤١٠ م) الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، ط . مكة المكرمة ١٩٨١ م .

ابن الراهب (بطرس بن أبى الكرم ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) تاريخ ابن الراهب ، تحقيق لويس شيخو ، ط . بيروت ١٩٠٧ م .

ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله بن على ت ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م) الشفاء ، المعادن ، والآثار العلوية ، تحقيق عبد الحليم منتصر ، وآخرون ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م .

ابن شاكر الكتبى (محمد بن أحمد ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) فوات الوفيات ، جـ ٢ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط . القاهرة ١٩٥١ م ، من جـ ٢ إلى جـ ٤ تحقيق إحسان عباس ، ط . بيروت ١٩٧٣ م .

ابن شاهين (غرس الدين خليل ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط . باريس ١٨٩٤ م .

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق إلياس سركيس ، ط . بيروت ١٩٠٩ م .

ابن شداد (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ / ١٢٢٤ م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٦ م .

ابن شداد (عز الدين بن شداد ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة تحقيق سامى الدهان ، ط . دمشق ١٩٥٦ م .

ابن طولون (شمس الدين أبو الفضل ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م) قرة العيون فى أخبار باب حبرون ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . دمشق ١٩٦٤ م .

ابن عبد الظاهر (محيى الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢ هـ / ١٣٣٨م) تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل ، ط . القاهرة ١٩٦١م .
الروض الزاهرة فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط . الرياض ١٩٧٦ م .

ابن العبري (غريغوريوس الملطى ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٦ م) تاريخ مختصر الدول ، ط. بيروت ١٨٩٠م ، تاريخ الزمان ، ت . إسحاق أرملة ، ت . بيروت ١٩٩١م .

ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م) زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، جـ ٢ ، ط . دمشق ١٩٥٤م ، جـ٣ ، ط . دمشق ١٩٦٨م ،

بغية الطلب فى تاريخ حلب ، القسم الخاص بتراجم الأمراء السلاجقة ، تحقيق على سويم ، ط . أنقرة ١٩٧٦م ، الدرارى فى ذكر الدرارى ، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد ، ط . القاهرة ١٩٨٤ م .

ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) تاريخ مدينة دمشق ، م (٢) ، ق(١)، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . دمشق ١٩٥٥ م ، " ترجمة محمود بن زنكى " ، تحقيق نيكيتا اليسيف B.E.O.,T.XXV , Annee 1972

ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عب الحى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٩٤ م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب،ط.بيروت ب- ت.

ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم بن على ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥م) تاريخ الدول والملوك م (٢) / جـ (١) ، تحقيق محمد حسن الشماع ، ط . البصرة ١٩٧٦م . م(٣)، ق (١) ، تحقيق حمدى أنور السيد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق ، عام ١٩٨٨م .

ابن قاضى شهبة (محمدبن أبى بكر ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط . بيروت ١٩٧١ م .

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨ م ، تحقيق سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٣ م .

ابن القوطى (كمال الدين عبد الرازق الشيبانى ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٤ م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ، ط. بغداد ١٣٥١ هـ ؛ تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب

جـ ٤ / ق ، تحقيق مصطفى جواد ، ط. دمشق١٩٦٧م .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) البداية والنهاية ، ط . القاهرة ب - ت.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ط . بيروت ب - ت .

ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) تاريخ مصر ، منتخبات منه فى R.H.C.,Hist.Or T.III.

ابن النديم (أبو الفرج إسحاق بن يعقوب ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م) الفهرست ، ط . بيروت ب - ت .

ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد بن على ق ٧ هـ / ١٣ م) التاريخ المنصورى ، أو تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو، ط . دمشق ١٩٨٢ م .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٥٣ م .

ابن الوردى (أبو حفص زين الدين عمر ت ٧٤٧ هـ / ١٣٤٩م) تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ط . القاهرة ب - ت، ط . بيروت ١٩٧٠ م .

أبو حيان التوحيدى (ت ٤١٤ هـ / ١٠١٩ م) الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح وشرح أحمد أمين ، وأحمد الزين ، ط . القاهرة ١٩٤٢ م .

أبو شامة المقدسى (عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ /

١٢٦٨م) الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية جـ١/ق١ ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط. القاهرة ١٩٦٢م . الذيل على الروضتين، نشر الكوثرى ، ط . القاهرة ١٣٦٦ هـ ، ط . بيروت ١٩٧٤ م .

أبو الفداء (إسماعيل بن على ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢٢م) تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ، ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر فى أخبار البشر ط . صيدا ١٩٦٠م .

أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٥م) المنازل والديار ، ط . بيروت ١٩٦٥م ، الإعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط . بيروت ١٩٨٢م ، ديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، وحامد عبد المجيد ، ط . بيروت ١٩٨٣ م .

الأسنوى (جمال الدين بن عبد الرحيم ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠م) طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبورى ، ط . بغداد ١٣٩٠هـ .

بنيامين التطيلى (ابن يونه النبارى ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) الرحلة ، ت . عزرا حداد ، ط . بغداد ١٩٤٣م .

بيبرس الدواداري (ركن الدين ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ، رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة عام ١٩٧٢ م .

الديار بكرى (حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٨٢ هـ / ١٥٨٧م) الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، جـ ٢ ، ط . بيروت ب - ت .

الذهبى (الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) دول

الإسلام ، جـ ٢ ، تحقيق شلتوت وزميله ، ط . القاهرة ١٩٧٠م . جـ ٢ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٣٦٥ هـ .

رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (ط . بيروت ١٩٥٧م)

سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ ٨ / ق ١ ط . حيدر أباد الدكن ١٩٥٥م ، وتحقيق مسفر سالم الغامدى ، ط . مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

السبكى (تقى الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٢م) طبقات الشافعية الكبرى ، ط . القاهرة ب - ت .

السيوطى (أبو عبد الله شمس الدين ت ٨٨٠ هـ / ١٤٨٥ م) اتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى ، الجزء الأول، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، ط . القاهرة ١٩٨٤م .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥١٦ م) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م . تاريخ الخلفاء ، تحقيق الرفاعى والعثمانى، ط . بيروت ١٩٨٦ م . كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي ، ط. المدينة المنورة ١٤٠٤ هـ . وتحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، ط . بيروت ١٩٨٧ م .

شيخ الربوة الدمشقى (أبو طالب الأنصارى ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر تحقيق مهرن ط . بطرسبرج ١٨٣٥م .

الصقاعى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبلة ط .دمشق ١٩٧٤ م .

عبد اللطيف البغدادى (موفق الدين ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض

مصر ، تحقيق غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٨٣ م .

عماد الدين الأصفهانى (القاضى عماد الدين ت بعد ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود طاهن B.E.O.,T.VII-VII,ANNEE 1957- 1958

العماد الأصفهانى (محمد بن محمد ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد صبيح ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م .

العمادى (حامد بن على بن إبراهيم ت ق ١١ هـ / ١٧ م) الحوقلة فى الزلزلة ، نشر مصطفى أنور ، B.E.O.,T.XXVII , Annee 1974 .

الفتح البندارى (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، ط . القاهرة ١٩٧٩ م .

القزوينى (زكريا بن محمد بن محمد ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ط . بيروت ١٩٧٨ م .

القفطى (جمال الدين أبو الحسن ت ٦٤٦ هـ / ١٢٥١ م) إنباه الرواه عن أنباه النحاه ، تحقيق أبو الفضل ط . القاهرة ١٩٥٢ م ، ط . القاهرة ١٩٨٩م ، ط . القاهرة ب - ت .

مجهول (بعد القرن ٨ هـ / ١٤ م) تاريخ سلاطين المماليك ، نشر زيترشتين ط . ليدن ١٩١٩ م .

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله ت ٣٨٠ هـ / ٩٨٥ م) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق دى جويه، ط . ليدن ١٩٠٩ م ، ١٩٦٧ م .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)

السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ / ق٢ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، جـ ٣ ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط . القاهرة ١٩٧٣ م . المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ ٢ ، ط . بيروت ب - ت .

ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر الخسرو ق ٥ هـ / ١١ م) رحلة ناصر خسرو القبادياني ، ت . أحمد خالد البدلى، ط . الرياض ١٩٨٣ م .

النعيمى (عبد القادر بن محمد الدمشقى ت ٩٢٧ هـ / ١٥٣٢ م) الدراس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، ط . دمشق ١٩٤٨م .

وليم الصورى (القرن ١٢ م / ٦ هـ) تاريخ الحروب الصليبية ، ت . حسن حبشى ، جـ ١ ، ط . القاهرة ١٩٩١م .

الهمذانى (الحسن بن أحمد بن يعقوب ت . بعد عام ٣٣٤ هـ/ ٩٣٩ م) كتاب الجوهرتين العقيقتين الصفراء والبيضاء ، تحقيق حمد الجاسر ، ط . الرياض ١٩٨٧م .

ياقوت الحموى (شهاب الدين بن أبى عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) معجم البلدان ، تحقيق وستفيلد ، ط . ليبسك ١٨٨٩ م ، ط . بيروت ١٩٧٩م ، ط .بيروت ب - ت . المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ط . بيروت ١٩٨٦ م . إرشاد الأريب إلى معرفة لأديب ، أو معجم الأدباء ط. القاهرة ب - ت .

اليونينى البعلبكى (قطب الدين أبو الفتح ت ٧٢٦ هـ / ١٣٣١ م) ذيل مرآة الزمان ، حيدر أباد الدكن ١٣٤٨ هـ .

ثانيا : المصادر اللاتينية والسريانية والأرمينية [1]

-Annales de Terre sainte , ed . par Raymond et Ruhricht , A.O.L.,T.II, Paris 1884 .

- Anonymous pilgrims , Anonymous pilgrim V , Trans . by Aubrey Stewert, P.P..T.S., vol V., London 1933 .

- Anonymous Syriac chronicle , the First and Second crusade , Trans . by Tritton , J.R.A.S., London 1933 .

- Anonymous , the deeds of the Franks and other pilgrims , Trans. by Hill , New York 1962.

- Fulcher of Chartres , A History of the expedition to Jerusalem , Trans . by Rita Rian , Tennesse 1969 .

- Geoffrey of Donjon , in Mayer , " Two unpublished letters on the Syrian earthquake of 1202 " , in medieval and middle eastern studies , the honor of Aziz Surial Atiya , ed . by Sami Hanna , Leiden 1972 .

- Guide Book to Jerusalem , trans . by J.J.Bernard , p.p.T.S., vol . VI , Lon don 1894 .

- Hethum cont of Gorigos , Table chronologique , R.H.C., Doc . Arm., T.I .

- Joannes phocas , A brief Description of the Holy Land , trans . by A . Stewart , p.p.T.S, vol . V , London 1896 .

- John Poloner , Description of the Holy Land , trans . by . A.Stewart , p.p.T.S., vol VI, London 1890 .

- Les Gestes des chiprois , R.H.C, Doc . Arm . T.I.

- Marino Santo , Secrets for the crusaders to help them to recover the Holy Land , trans . by A.Stewart ., p.p.T.S., vol . VII , London 1896 .

- Michael the Syrian , chronique , T.III, trans . by Chabot , Paris .

- Philip de Plessis , in Mayer , two unpublished letters , in medieval and middle eastern studies , the honor of Aziz Surial Atiya , Lieden 1972 .

- Raymond d'Aghilliers , in Peters , the first crusade , pennsylvania 1971.

- The City of Jerusalem , trans . by C.R.Conder , P.P.T.S., vol . VI , London 1894 .

- Theoderich , Thederich's Description of the Holy Places , trans . by Au brey Stewart , p .p.T.S., vol V , London 1896 .

- William of Tyre , A History of the deeds done beyond the sea , trans . by Babcock and Krey , New York 1943 .

---

١ - إستعنت بالترجمات الإنجليزية والفرنسية لأغلب تلك المصادر .

ثالثا : المراجع العربية والمعربة

أبراهيم خميس (د.) جماعة الفرسان الداوية ، وعلاقاتهم بالمسلمين حتى معركة حطين عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م .

إبراهيم نصيرات ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم ط . عمان ١٩٨١ م.

أبو السعود الفخرانى (د.) البحث اللغوى عند إخوان الصفا ، ط . القاهرة ١٩٩١م .

أبو الفرج العش آثارنا فى الإقليم السورى ، ط . دمشق ١٩٦٠م.

أحمد أحمد بدوى (د.) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ط . القاهرة ب - ت . الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ط . القاهرة ب - ت .

أحمد رمضان أحمد (د.) الرحلة والرحالة المسلمون ، ط . جدة ب - ت . " المسجد الأموى فى دمشق بين الحقيقة والأسطورة كما جاء فى تاريخ ابن عساكر " ، الدارة ، العدد (٤) ، السنة (٥) عام ١٩٨٠م .

أحمد الشامى (د.) " دراسة فى مخطوط تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات الحنفى " ، الدارة ، العدد (٢) ، السنة (١٠) ، سبتمبر ١٩٨٤م .

أحمد الصابونى تاريخ حماه ، ط . حماهب - ت .

أحمد المهندس (د.) " توقع الزلازل والتحكم فيها " ، القافلة ، عدد شوال ١٤٠٩هـ/ مايو - يونيو ١٩٨٩م .

إرنست باركر الحروب الصليبية ، ت . السيد الباز العرينى ، ط . بيروت ب - ت .

إسحق أرملة — الحروب الصليبية فى الآثار السريانية ، ط . بيروت ١٩٢٩ م .

إسحق عبيد (د.) — الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط . القاهرة ١٩٧٩م .

أكرم الدجانى — " المشافى والتمريض فى التراث الطبى الإسلامى " مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى – الموسم الثقافى الخامس ، ط . عمان ١٩٨٧م .

الياهو أشتور — التاريخ الإقتصادى والإجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ت . عبد الهادى أبو عبلة ، ط . دمشق ١٩٨٥م .

أنتونى بردج — تاريخ الحروب الصليبية ، ت . غسان سبانو والجيرودى ط . دمشق ١٩٨٥ م .

أيوب عيسى أبو دية — " الزلازل " ، الفيصل ، العدد (١٩٠) ، ربيع الثانى ١٤١٣هـ / أكتوبر ١٩٩٢ م .

برايس ووكر — الزلازل ، ت . محمد فهمى محمود ، المعهدالقومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان، ط . القاهرة ١٩٨٩ م .

بول غليونجى (د.) — عبد اللطيف البغدادى ، طبيب القرن السادس ، ط. القاهرة ١٩٨٥ م .

جمال الدين الشيال (د.) — التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ، ط . بيروت ب – ت .

جوده حسنين جوده(د.) — معالم سطح الأرض ، ط . الإسكندرية ١٩٨٣ م .

جوده حسنين جوده وأبو عيانه (د.) قواعد الجغرافية العامة الطبيعية والبشرية، ط . بيروت ١٩٨٦م .

جوزيف نسيم يوسف (د.) الوحدة وحركات اليقظة إبان العدوان الصليبى ، ط .، بيروت ٩٨١ م .

حامد محمودصفراته (د.) " إستخدام الطاقة الشمسية فى المحطات النائية لرصد الزلازل " ، الندوة الثالثة لأقسام الجغرافية لجامعات المملكة العربية السعودية ١٧ - ١٩ رجب ١٤٠٧ هـ / ١٧ - ١٩ مارس ١٩٨٥م .

حسن إبراهيم (د.) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، ط . بيروت ب - ت .

حسن أبو العينين (د.) كوكب الأرض ، ظواهره التضاريسية الكبرى ، ط. بيروت ١٩٧٩ م . أصول الجيمورفولوجيا ، دراسة للأشكال والتضاريس لسطح الأرض ، ط . بيروت ١٩٨١م .

حسن حبشى (د.) الحرب الصليبية الأولى ، ط . القاهرة ١٩٥٨م .

حسن عباس (د.) أسامة بن منقذ ، حياته وشعره ، ط. الإسكندرية ١٩٧٩ م .

حسن عبد الوهاب (د.) " أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولى حتى معركة حطين ١٠٩٧ - ١١٨٧ م / ٤٩٠ - ٥٨٣ هـ " ، الندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافية بالمملكة العربية السعودية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ديسمبر ١٩٩١م.

حسين عاصى (د.) المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط . بيروت ١٩٩١م.

حسين مؤنس (د.) نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق ، ط . القاهرة ١٩٨٤ م .

حنيفة الخطيب (د.) الطب عند العرب ، ط . بيروت ١٩٨٨ م .

راغب طباخ " بغية الطلب فى تاريخ حلب " ، مجلة المجمع العلمى العربى ، م (٣) ، لعام ١٩٤٨ م .

روبرت فوستر الجيولوجيا العامة ، ت . عبد القادر عابد ، وشاكر نرسى ، وسعد الباشا ، ط . عمان ١٩٨٠ م .

روزنتال علم التاريخ عند المسلمين ، ت . صالح أحمد العلى ، ط .بيروت ١٩٨٣م .

الزركلى الأعلام ، ط . بيروت ١٩٨٦ م .

سامى الدهان (د.) " بغية الطلب " ، الحوليات الأثرية السورية ، م (١) ، جـ (١) ، ط . دمشق ١٩٥١ م .

سامى سلطان مسعد (د.) الإسبتارية فى رودس ، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٠م .

ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ت . السيد الباز العرينى ، ط . بيروت ١٩٦٧ م .

سعيد برجاوى الحروب الصليبية فى الشرق ، ط .بيروت ١٩٨٤م.

سعيد البيشاوى (د.) الممتلكات الكنسية فى بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١٢٩١ م) ، ط . الإسكندرية ١٩٩٠م.
نابلس ، الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ، ط. عمان ١٩٩١م .

سعيد قدرى وصالح عبد العزيز وخليل فوزى الموسوعة الجغرافية ، جـ ١ . ط . القاهرة ١٩٣٨م .

د . سعيد عبد الفتاح عاشور (د.) الظاهربيبرس ، سلسلة أعلام العرب ، ط . القاهرة ١٩٦٣م . أضواء جديدة على الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٦٤م . العصر المماليكي فى مصر والشام ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م . الناصر صلاح الدين الزيوبى ، سلسلة أعلام العرب ، ط .

القاهرة ١٩٦٥ م . الحركة الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٦٦ م.

سمايلى — المؤرخون فى العصور الوسطى ، ت . قاسم عبده قاسم، ط . القاهرة ١٩٨٠ م .

سميل (ر - س) — الحروب الصليبية ، ت . سامى هاشم ، ط . بيروت ١٩٨٢ م .

سوتيرتون — الأرض من تحتنا ، ت . محمد يوسف حسن ، وفتح الله عوض ، ط . القاهرة ب - ت .

سهيل السنوى (د.) — مقدمة فى الزلازل ، ط . بغداد ١٩٨٥م .

السيد الباز العرينى (د.) — مصر فى عصر الأيوبيين ، ط . القاهرة ١٩٦٠ م. مؤرخو الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٦٢ م . الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ط . القاهرة ١٩٦٣ م . الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، الأيوبيين ، ط . بيروت ، ب - ت .

السيد عبد العزيز سالم (د.) — دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط . بيروت ١٩٧٠م ، ط . الإسكندرية ١٩٨٦م ، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، ط . الإسكندرية ١٩٦٣ م .

شارل جنبير — المسيحية نشأتها وتطورها ، ت . عبد الحليم محمود، ط . القاهرة ١٩٨٥م .

شاكر أبو بدر — الأسرة الزنكية والحروب الصليبية ، ط . بيروت ، ب - ت .

شاكر مصطفى (د.) — التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الإسلام ، ط . بيروت ١٩٧٩ م .

شفيق جاسر أحمد (د.) — القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين فى تحريرها ١٠٩٩ - ١٢٤٤ مـ / ٤٩٢ - ٦٤٢ هـ

ط . عمان ١٩٨٩ م .

شوقى ضيف (د.) الرحلات ط . القاهرة ١٩٧٩ م .

صلاح الدين بحيرى (د.) أشكال الأرض ، ط . دمشق ١٩٧٩ م .

صلاح الدين الشامى ومحمد الصقار جغرافية الوطن العربى الكبير ، ط . الإسكندرية ١٩٧٥ م .

صلاح الدين المنجد (د.) معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ، ط . بيروت ١٩٧٨ م . " المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة "، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م (٢) ، جـ (١) ، ط . القاهرة مايو ١٩٥٦ م .

طه جاد وعبد الله الغنيم (د.) أسس البحث الجيمورفولوجى - الجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد (٢) ، ط . الكويت ١٩٧٩م .

طه عبد العليم رضوان (د.) فى الجغرافية العامة ، ط . القاهرة ١٩٨٤ م .

عادل زيتون (د.) العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطة فى القرن الثانى عشر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ م .

عادل عوض(د.) الزلازل ، مأساة هزت العالم ، خطر الزلازل على البيئة ، ط . بيروت ١٩٩٢ م .

عباس عزاوى التعريف بالمؤرخين ، ط . بغداد ١٩٥٧ م .

عبد الحليم منتصر (د.) تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ط . القاهرة ١٩٧٣ م .

عبد الرحمن حميدة (د.) أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ط. دمشق ١٩٨٠ م .

عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المؤرخ ، ط . القاهرة ١٩٦٩ م.

عبد العزيز شرف (د.) الجغرافية الطبيعية ، أشكال السطح ، ط . الرياض ١٩٨٥ م .

عبد العزيز عبد الدايم (د.) إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م .

عبد الله حسن نصر الأحداث الزلزالية فى الجزيرة العربية والمناطق المجاورة خلال التاريخ الهجرى ، ط . الرياض ١٩٩٢ م .

عبد الله سعيد الغامدى (د.) صلاح الدين والصليبيون واسترداد بيت المقدس ، ط . مكة المكرمة ١٩٨٥ م .

عبد الله العلايلى الصحاح فى اللغة والعلوم ، م(١) ، إعداد نديم وأسامة مرعشلى ، ط . بيروت ١٩٧٤ م .

عبد الله يوسف الغنيم (د.) " أسباب الزلازل وأحداثها فى التراث العربى ، دراسة جغرافية " ، مجلة المجمع العلمى العراقى م (٣٢) ، جـ (٤) ، عام ١٩٨٤م .

عبد المنعم بلبع (د.) الأرض والإنسان فى الوطن العربى ، ط . القاهرة ١٩٧٣ م .

عدنان حمودى (د.) " علم الزلازل عند ابن سينا " ، رسالة الخليج العربى، العدد (١٠) ، السنة (٣) ، عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . " تطور الفكر الجيمورفولوجى فى العصر الإسلامى الوسيط - القرن الخامس الهجرى وما بعده " ، رسالة الخليج العربى ، العدد (١٨) ، السنة (٦) ، عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

العروسى المطوى الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، ط. بيروت ١٩٨٣ م .

على أحمد محمد السيد (د.) إمارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها السياسى فى الصراع الصليبى الإسلامى فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى (١٠٩٩ - ١١٥٤م / ٤٩٢-٥٤٩ هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٨ م .

على السكرى (د.) " الجيمورفولوجيا عند العرب " ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، م(١) ، ط . بيروت ١٩٨٦ م.

على السيد على (د.) " أضواء جديدة على العلاقات الإقتصادية بين المسلمين والفرنج فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية - بلاد المناصفات " ، الدارة ، العدد الأول، السنة (١٨) شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٢ هـ .

على عبد العظيم تعيلب (د.) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية - المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان - ط. القاهرة ١٩٩٠ م.

على عبد الله الدفاع (د.) " علوم الكون فى الإسلام ، القزوينى " ، الدارة العدد(٣) ، السنة (٧) ، ربيع ثانى ١٤٠٢ هـ / فبراير ١٩٨٢م . أعلام العرب والمسلمين فى الطب ، ط . بيروت ١٩٨٣ م . المناحى العلمية عند ابن سينا ، ط . الطائف ١٩٨٧ م .

على عبد الله الدفاع وزغلول النجار (د.) إسهام علماء المسلمين الأوائل فى تطور علوم الأرض ، ط . الرياض ١٩٨٨م.

على عبد الرهاب شاهين (د.) بحوث فى الجيمورفولوجيا ، ط . الإسكندرية ب - ت .

على موسى ومحمد الحمادى (د.) جغرافية القارات ، ط. دمشق ١٩٧٢ م .

علية عبد السميع الجنزورى (د.) إمارة إلرها اصليبية ، ط . القاهرة ١٩٨٦ م.

عماد الدين خليل (د.) عماد الدين زنكى ، ط . بيروت١٩٨٢ م . نور الدين محمود ، وتجربته الإسلامية ، ط . دمشق ١٩٨٧ م .

عمر الحكيم (د.) تمهيد فى علم الجغرافيا - الكتاب الأول- التضاريس ، ط . دمشق ١٩٦٥ م .

عمر رضا كحالة العلوم العملية فى العصور الإسلامية ، ط .

دمشق ١٩٧٢ م .

عمر الساريس (د.) نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية ، ط . جدة ١٩٨٥ م .

عمر كمال توفيق (د.) " المؤرخ وليم الصورى " ، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، م (٢١) ، عام ١٩٦٧م ، الدبلوماسية الإسلامية ، والعلاقات السلمية مع الصليبيين - دراسات وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى ط . الإسكندرية ١٩٨٦ م .

عمر عبد السلام تدمرى (د.) تاريخ طرابلس السياسى والحضارى عبر العصور عصر الصراع العربى - البيزنطى والحروب الصليبية ط . بيروت ١٩٨٤ م .

فاروق الباز (د.) وميشيل حلوانى " البحر المتوسط ، نشأته وتاريخ تطوره " ، ت محمد فكرى أنور ، مجلة الفيصل ، العدد (١٤٨) ، السنة (١٣) ، مايو - يونيو ١٩٨٩ م .

فردريك بو الزلازل والبراكين ، ت . الدمرداش سرحان ، ط . القاهرة ١٩٨٩م .

فيصل السامرائى (د.) ابن الأثير ، ط . بغداد ١٩٨٤ م

فيليب رفلة وأحمد مصطفى (د.) جغرافية الوطن العربى ، ط . القاهرة ١٩٧٠م.

فتحى أبو عيانه (د.) جغرافية أفريقية ، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء ، ط . بيروت ١٩٨٢ م .

قاسم الرفاعى بعلبك فى التاريخ ، دراسة شاملة لتاريخها ومساجدها ومدارسها وعلمائها ، ط . بيروت ١٩٨٤ م .

قاسم عبده قاسم (د.) الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق قام بجمعها وترجمتها ، ط . القاهرة ١٩٨٢ م .

كارل بروكلمان	تاريخ الأدب العرب ، جـ ٦ ، ت . السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ، ط . القاهرة ١٩٧٧م.
الكتاب المقدس	ط . القاهرة ب – ت .
كرد على	" تأليف ابن العديم " ، مجلة المجمع العلمى العربى ، م (١٦) ، عام ١٩٤١ م . غوطة دمشق ، ط . القاهرة ١٩٥٢ م، خطط الشام ، ط . بيروت ١٩٧٢ م ، ط . دمشق ١٩٨٣ م .
لويس شيخو	" تاريخ دمشق لإبن القلانسى " ، المشرق ، عدد (٨) عام ١٩٠٨ م .
مارجليوس	المؤرخون العرب ، ت . حسين نصار ، ط . بيروت ب – ت .
مجموعة من الباحثين	المؤتمر الدولى عن ابن عساكر ، ط .دمشق١٩٧٧م.
مجموعة من الباحثين	جلال الدين السيوطى ، ط . القاهرة ١٩٧٦ م .
محمد فؤاد عبد الباقى	المعجم المفهرس لألفاظ تالقرآن الكريم، ط . القاهرة ١٩٨٨ م .
محمدكمال الدين عز الدين (د.)	أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، ط . القاهرة ١٩٩٢ م .
محمد عبد المنعم خاطر	جلال الدين السيوطى، ط . القاهرة ١٩٦٨ م .
محمد على المغربى	الهزات الزلزالية ، ط . القاهرة ١٩٥٨ م .
محمد على الهرفى (د.)	شعر الجهاد فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٨٠ م .
محمد ماهر حمادة (د.)	الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ط . بيروت ١٩٨٤ م .
محسن محمد حسن (د.)	" مستولية صلاح الدين فى فشل حصار صور " المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، م(٧) ، العدد (٢٦) ط . الكويت ١٩٨٧م .

محمد أحمد حسين — أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٤٦ م .

محمد بن أحمد العقيلى — " جهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط " ، الدارة ، العدد (٢)، السنة (٥) ، المحرم ١٤٠٠هـ/ ديسمبر ١٩٧٩م.

محمد بهجة الأثرى — " كاتب الدولتين النورية والصلاحية " ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م(٤) ، جـ (١) ، عام ١٩٥٩ م .

محمد توفيق بلبع (د.) — " عبد اللطيف البغدادى ، أضواء جديدة على سيرته ومنهجه التاريخى " ، مجلة عالم الفكر ، م (١٩) ، العدد (٣) ، الكويت ١٩٨٥ م.

محمد جمال الدين سرور (د.) — دولة بنى قلاوون فى مصر ، ط . القاهرة ١٩٦٠م.

محمد جلال الدين أبو الفتوح (د.) — جلال الدين السيوطى ، منهجه وآراؤه الكلامية ، ط . بيروت ١٩٨١ م .

محمد سامى عسل (د.) — الجغرافية الطبيعية ، ط. القاهرة ١٩٧٣ م .

محمد الشرقاوى (د.) — الزلازل وتوابعها ، ط . القاهرة ١٩٩٢ م .

محمد الصادق عفيفي — تطور الفكر العلمى عند المسلمين ، ط . القاهرة ١٩٧٧م .

محمد صبرى سليم (د.) — الظاهرات الجيمورفولوجية الرئيسية ، دراسة تحليلية ط . القاهرة ١٩٨٣ م .

محمد صفى الدين (د.) — جيمورفولوجيا القشرة الأرضية ، ط . بيروت ١٩٧١ م .

محمد على العبد — نور الدين محمود بن زنكى بطل الوحدة أيام الصليبيين ، ط . الرياض ب-ت

محمد على الهرفى (د.) — شعر الجهاد فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، ط . القاهرة ١٩٨٠ م .

محمد مؤنس أحمد عوض (د.) التنظيمات الدينية والمسيحية فى بلاد الشام فى

عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م . " ببلوبوغرافيا الحروب الصليبية ، المراجع العربية والمعربة " ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م(٣) ، عام ١٩٨٥ م . سياسة نور الدين محمود الخارجية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٨ م . "تاريخ الطب العربى ومكانة عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) فيه ، بحث مقدم لمؤتمر تاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمى العربى بجامعة حلب - المنعقد فى مدينة الرقة - الجمهورية العربية السورية - سبتمبر ١٩٩١ م . ، الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية " ، الدارة، العدد (٣) ، السنة (١٦) ، عام ١٩٩١ م . الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧ م) ، ط . القاهرة ١٩٩٢ م . الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٥ م .

محمد متولى (د.) وجه الأرض ، ط . القاهرة ١٩٩٥ م .

محمد محمد مرسى الشيخ (د.) الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين ١١ ، ١٢ م ، ط . الإسكندرية ١٩٨٠ م .

محمدمحمود محمدين (د) الجغرافية والجغرافيون بين الزمان والمكان ، ط . الرياض ١٩٨٧ م . " الزلازل والبراكين فى جزيرة العرب وتراثهم " الدارة ، العدد (١) ، مايو ١٩٨٨م .

محمد مصطفى زيادة (د.) المؤرخون فى القرن الخامس عشر ، ط . القاهرة ١٩٥١ م ، " تاريخ حياة المقريزي " ضمن كتاب دراسات عن المقريزى ط . القاهرة ١٩٧١ م .

محمد مطيع الحافظ " نصوص غير منشورة عن الزلازل من سنة ٩١٤ وحتى سنة ١١٢٤ هـ / ١٥٠٨ - ١٧١٢ م " .
B.E.O., T.XXXII / XXXIII , Annees
1980 - 1981

محمود سعيد عمران (د.) الحملة الصليبية الخامسة ، ط . الإسكندرية ١٩٧٨م

مرفت محمد سعيد حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي - الإسلامي (٥٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١١٩٣ - ١٢٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢ م .

مسفر الغامدي (د.) الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، ط . جدة ١٩٨٦ م .

مصطفى أنور طاهر (د.) تحقيق المنازل من هول الزلازل لأبي الحسن علي بن الجزار " B.E.O., T.XII, Annee 1974 .
"نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر " B.E.O., T.XXXI, Aamas An nee 1974

مصطفى الشكعة (د.) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ط . بيروت ١٩٨٣ م .

مصطفى طلاس ووليد الجلاد حصن الأكراد ، قلعة الحصن ، ط . دمشق١٩٩٢م.

مصطفى عبد الواحد (د.) الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى القرن الخامس الهجري ، ط . مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م .

معالي عبد الحميد حمودة " الزلازل ، تسجيلها وقياس قوتها " ، القافلة ، العدد (١) ، م (٤٠) ، المحرم ١٤١٢ هـ .

منى عبد الرحمن السفارات الدبلوماسية في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة .

الموسوعة الحديثة ج (٥) ، الجيولوجيا ، ط . سويسرا ١٩٨٩ م .

مولر القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت . محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان ، ط . دمشق ١٩٨٤ م.

نبيلة مقامي (د.) فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ م .

نظير حسان سعداوى (د.) الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط . القاهرة ١٩٦١ م .

نفيس أحمد (د.) الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى ، ت . فتحى عثمان ، ط . الكويت ١٩٧٨ م .

نقولا زيادة (د.) رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ، ط . بيروت ١٩٨٦ م .

نورى حمودى القيسى (د.) الطبيعة فى الشعر الجاهلى ، ط . بيروت ١٩٨٤ م.

ونستك ومنسنج المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، جـ ٢ ، ط . ليدن ١٩٤٣ م .

هاملتون جب " تاريخ دمشق" ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبى ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ت . يوسف أيبش، ط . بيروت ١٩٧٣ م .

يحيى أنور وآخرون (د.) الجيولوجيا العامة ، ط . الإسكندرية ١٩٧٥م .

يسرى الجوهرى (د.) الوطن العربى ، دراسة فى الجغرافية التاريخية والإقليمية ، ط . الإسكندرية ١٩٧٩م . أسس الجغرافية العامة الطبيعية والبشرية ، ط . الإسكندرية ١٩٨٢ م

يوسف عبد المجيد فايد (د.) جغرافية السطح ، ط . بيروت ١٩٧٢ م .

يوسف نصر الله " ابن العديم ومكملوه " ، مجلة المسرة ، م(٤١) ، عام ١٩٥٥ م .

رابعا : المراجع الأجنبية

Archer (T.) and Kingsford (C.) , The crusades , the story of the Latin Kingdom of Jerusalem , London 1894 .

Asher (A.) , the itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela ,vol . I , London 1840 .

Attwater (D.) , the penguin Dictionary of saints , London 1997.

Baldwin (M.) ., " The latin states under Baldwin III and Analric I " , in setton , A History of the crusades , vol . , I , pennsylvania 1995 .

Boase (T.S.R.) , Kingdoms and strongholds of the crusades , London 1971 .

Benvenisti (M.) , The crusaders in the Holy Land , Jerusalem 1975 .

Bolt (B.) , Earthquakes , A primer , San Fransisco 1978 .

Bradford , The shield and the sword , London .

Brockelmann (C.) , Geschichte der Arabischen literature , vol . , I , leiden 1943.

Cahen (C.) , " Une chronique chiite au temps des croisades " , compte rendus de l'academie des inscriptions et belles lettes , paris 1935 . , la Syrie du nord a'lepoque des croisades , Paris 1940 .

Campbell (D.) , Arab Medicine , London 1926 .

Cavaliero , The last of crusaders , London .

Chambers's Ency . , " Earthquakes " , vol . IX , London 1973 .

Crawford (R.) , " William of Tyre and the Maronites " . speculum , vol . XXX , 1955 .

Davis (R.) " William of Tyre " , in Relations between East and the west in the middle ages , ed . Derck Baker , Edinburgh 1971 .

Delavill le Roulx (J.) , " Trois chartres de XII siecle concernant l'Ordre de st.Jean de Jerusalem " , A.O.L.T.I., Annee 1893 .

Deschamps (R.) , les chateaux des croises, crac des chevaliers , paris 1934 .

Dussaud (R.) , Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, paris 1927 .

Edbury (P.W.) " William of Tyre , A Historin of the crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130 - 1184) , in B.E.A.A.U , 1988 .

Edbury (P.W.) and John Rowe , " William of Tyre and the patriarchal Election of 1180 " , Eng , Hist. Rev., XCIII , 1978 .

Elisseeff (N.) . la Description de Damas d'ibn Asakir , Damas 1959 . " Corporation de Damassous Nur Al. Din , Materiaux uneTopographie au XIIe siecle " , R.E.A., T.III, Annee 1956 .

Ency . Amre., " Earthquackes " ,vol . IX , New york 1980 .

Ency . Brit ., " Earthquakes " , vol . XVII, chicago 1987 .

Ency , Judeca , " Benjamin of Tudela " , vol . IV, Jerusalem 1973 .

Fedden (R.) , Crusader castles , Beirut 1957 .

Flint (R.E.) , and skinner (B.) , physical geology , New York 1974 .

Frederick (C.E.) , Sidon , A study in Oriental History , New York 1967 .

Gabrieli (F.) , Arab Historians of the crusades , trans . by Costello , London 1969 .

Gibb (H.) , " The career of Nur Al. Din " , in setton , A History of the crusaders , vol . I, pennsylvania 1955 .

Gottein (S.D.) , " Contemporary letters on the capture of Jerusalem by the crusaders " J.J.S., vol . X, 1952 .

Hagenmeyer (H.) , " Chronology de la premiere croisade " , R.O.L., T.VII, Annee 1889 .

Helmy Ahmed (m.) , Arab historiography during the Zengid and Ayyubid periods " , in Historans of the middle east , ed . Holt and Lewis , Oxford 1962.

Holmes (H.) , principles of physical geology , London 1963 .

Jipejian (N.) , Byblos through the ages , Beirut 1968 .

King (C.) , " The taking of krak des chevaliers , " Antiquity , vol XXIII, No . 89 , March 1949 .

Krey (A.C.), " Willim of Tyre : the making of an Historian in the middle ages " , speculum , vol . XVI, 1941 .

King (E.J.), the kinghts Hospitallers in the Holy Land , London 1930 . , the kinghts of st. John in British Kingdom , London 1948 .

Lange , Ivenva , lebeleva , General geology , Moscow N.D .

Lawrence (T.E.) , Crusader castles , vol ,.I , London 1936 .

Levin (H.) , contemporary phisical geology , chicago 1985 .

Le strange (G.) , Palestine under Islam , London 1890 .

Lexicon Universal Ency ., " Earthqukes : vol. VII, U.S.A. , 1981 .

Mann ( ) , the Jews in Egypt and in Plestine under the Fatimids , Oxford 1922 .

Mayer (H.) , Bibliographie zur Geschichte der kreuzzuge , Hannover 1965 . " Two unpulished letters on the Syrian earthquacke of 1202 " , in Medieval and middle eastern studies , the honor of Aziz Surial Atiya , ed., Sami Hanna 1972 .
The crusades , trans . by John Gillingham , London 1978 .
Nantet (J.) , Histoire de Leban , Paris 1963.
Northup (L.E.), The kinghts templars in the Holy Land (1118 - 1187) , thes is of Master of Arts , California Univesity , 1943 .
Polyakov (S.V.) , Design of Earthquake resistant structures (Basic theory of seismis stability) , trans . from the Russin by Alexander Kuzuelser , Moscow 1985 .
Prawqe (J.) , " The settlement of the latins in Jerusalem " , speculum, vol XXVII , 1952 .
Rihaoui , le Crac des chevaliers , Guide Touristique et Aechaeologique , Damas 1975 .
Riley - Smith (J.), A History of the Order of the Hospital of st. John of Jerusalem , London 1967 . , the Feudal Nobility in the latin kingdom of Jerusalem , London 1973 .
Roth (C.), Ashort History of the Jewish people , London 1953 .
Ruhricht (R.), Geschichte des kongreichs Jerusalem , Innsbruck 1889 . , chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen landes Bezuglichen literature , von 333 Bis 1878, Berlin 1878 . , Regesta Regni Hierosolmitana , Innsbruck 1892 .
Runciman (s.) , A History of the crusades m vol . II, Cambridge 1978 .
Sarton (G.), An Introduction to the History of science , vol . I , part II, Washington 1932 .
Stevenson (W.B.), the crusaders in the east , Beirut 1968 .
Stiegeler (S.), A Dictionary of earth sciences , London 1976 .
Strahler (A.), physical geography , Torento 1975 . Study Guide for elements of physical geology , Torento 1976 . the Uinversal Ency . , " Benjamin of Tudela " , vol II , New York 1969 .
Tobler (T.) , Bibliographia Geographia palestinae , leipzg 1867 .
Tsuigitako (S.), The Syrian coastal town of Jabala , its History and present situation, Tokyo 1989 .
Vissey (D.) , " William of Tyre and the art of Historiography " Med . Stud., vol. XXXV, 1973 .

Woodings (A.) , " The Medical resource and practice of the crusader states in Syria and palestine (1096 - 1193) , M . H ., vol . XV, 1971 .

Wright (J.) , The Geographical lore of the time of the crusades , A study in the History of medieval science and tradition in Wester Europe New York 1965 .

Wright (w.) , Early travels in palestine , London 1848 .

Ziada (M.) , " The Mamluk sultan to 1293 " , in setton , A History of the crusades , vol . II , pennsylvania 1955 .

Ziada (N.) , Urban life in Lebanon under the early Mamluks , Beirut 1953 .

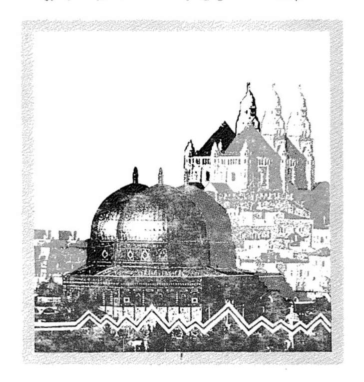
رقم الإيداع ٩٦/٤٣٧٩

الترقيم الدولى I.S.B.N 977 - 5487 - 45 - 5

طبع بمطابع دار روتابرينت

الزلازل في بلاد الشام

عصر الحروب الصليبية





للدراســـات و البحـوث الانســـانية و الاجتماعية

FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES